


منهاج المسلم
بين العلم والعمل



التربية والآداب



تأليف
سماحة الشيخ العلامة
د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله (ت ١٤٣٠هـ)



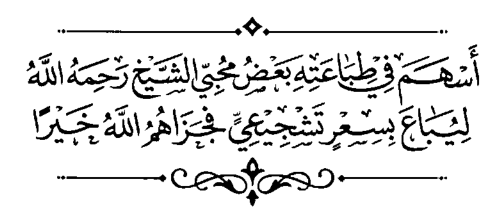
أعيد طبعه بإشراف مؤسسة الشيخ عبدالله ابن جبرين الخيرية

ⓒ مؤسسة ابن جبرين الخيرية، ١٤٣٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
ابن جبرين، عبدالله بن عبدالرحمن
منهاج المسلم بين العلم والعمل./ عبدالله بن عبدالرحمن بن جبرين - ط ٢ - الرياض، ١٤٣٨هـ
٢٧٦ ص؛ ١٧ x ٢٤ سم
ردمك: ٢ - ٢١ - ٨٢٢٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١- الفقه الاسلامي ٢- الشريعة الاسلامية أ- العنوان
ديوي: ٢٥٠ ١٤٣٨/٩٩٨٨

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٩٩٨٨
ردمك: ٢ ـ ٢١ ـ ٨٢٢٤ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الثانية
١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م

المملكة العربية السعودية
ص.ب: ٣٣٥ الرياض ١١٤١١
هاتف: ١٤٢٦١٠٠٠ ١ ٩٦٦+
فاكس: ١٤٢٦٣٧٠٠ ١ ٩٦٦+
جـوال: ٠٠٨٠١٠٠ ٥٦ ٩٦٦+
www.ibn-jebreen.com
info@ibn-jebreen.com
book@ibn-jebreen.com





مؤسسة ابن جبرين الخيرية
Ibn Jebreen Foundation

تقديم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فحيث إن مؤسسة ابن جبرين الخيرية بعد وفاة سماحة الشيخ الوالد عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين رحمه الله حملت مهمة نشر تراثه العلمي، وحصلت من ورثته على الحق الحصري لنشر تراثه من كتب وغيرها.

وقد قامت المؤسسة بعدة خطوات في ذلك منذ وفاة الشيخ رحمه الله: حيث عملت على جمع المواد الصوتية والمرئية وتصفيتها وفهرستها وترتيبها وتفريغها، وجمع ما كتبه الشيخ بخط يده أو أملاه من كتب ورسائل وفتاوى؛ وذلك لإخراجها في عدد من المنتجات الورقية والإلكترونية والصوتية وغيرها.

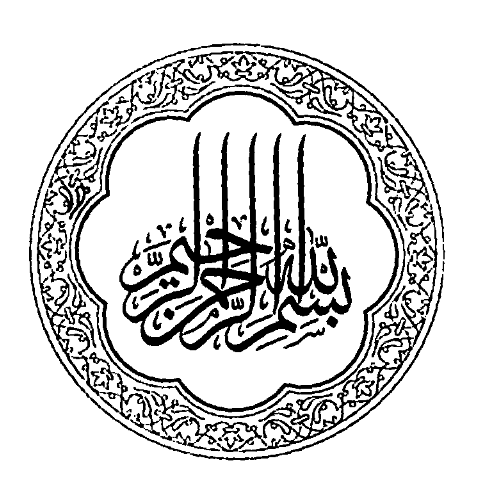
وفي خطوة للتعجيل بنشر بعض كتب الشيخ رحمه الله وقع اختيار المؤسسة على عدد من الكتب التي طبعت في حياة الشيخ رحمه الله، وكان اختيار هذه الكتب لسببين: وهما: أهمية الكتاب، وكون العمل فيه متقنًا في الجملة.

وكان من هذه الكتب كتاب (منهاج المسلم بين العلم والعمل)، والذي اعتنى به وطبعه سابقًا الشيخ (علي بن حسين أبو لوز)؛ فندعو الله أن يثيبه ويجزيه خيرًا على ما بذل من جهد.

والمؤسسة إذ تسعى في إعادة طباعته رغبة في نفع القارئ، وإكمالًا لرسالة الشيخ رحمه الله في نشر العلم الشرعي، وأملًا في أن يستمر أجر هذا العلم لمؤلفه ومن سعى فيه.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي خير الجزاء

قسم البحث العلمي في مؤسسة ابن جبرين الخيرية


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فهذه مجموعة رسائل لفضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين - حفظه الله تعالىٰ - قمت بإعدادها وتهذيبها للنشر، وقد راجعها وصححها فضيلته، وقد بقيت طيلة السنوات الماضية دون طبع، وقد اقترح علي بعض الأخوان أن تجمع وتطبع وتنشر في كتاب واحد حتىٰ يستفاد منها، وكان رأياً صائباً، فعزمت علىٰ ذلك، وتوكلت علىٰ الله.

أسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، وأن يجعله في موازين أعمال شيخنا الشيخ ابن جبرين، وكل من ساهم في إخراج هذا العمل إنه سميع مجيب.

كما أسأله تعالىٰ أن يمد في عمر شيخنا بالعمل الصالح ونفع الإسلام والمسلمين، ونسأله تعالىٰ أن يهدينا إلىٰ الحق ويثبتنا عليه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

قاله وكتبه

علي بن حسين بن خليل أبو لوز




الرسالة الأولى:

الحث على التمسك بالسنة النبوية

الرسالة الثانية:

البدع والمحدثات في العقائد والأعمال

الرسالة الثالثة:

فضل العلم ووجوب التعلم

الرسالة الرابعة:

أهمية العلم ومكانة العلماء

الرسالة الخامسة:

السلف الصالح بين العلم والإيمان

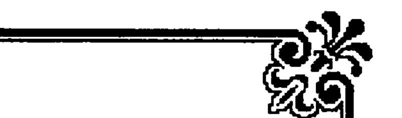
الرسالة السادسة:

العمل الصالح: أهميته وشروطه

الرسالة السابعة:

المسلم بين عام مضى وعام حل





الرسالة الأولى:

الحث على التمسك بالسنة النبوية




تقـــديم فضيلة الشيخ العلامة
عبد اللّٰه بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه.

وبعد:

فهذه كلمات ألقيتها محاضرة في بعض المساجد، تتضمن الحث على العمل بالسنة النبوية، وتحتوي جانباً من المعاصي التي خُولفت فيها السنة رغم وضوحها، وأسباب تمكنها وانتشارها، وتبين أسباب النجاة والفكاك والفلاح والسلامة من المعاصي، وكذا ما يعين على ظهور الحق وتمكن السنة من الانتشار والقوة، ونحو ذلك، وقد كتبها بعض التلاميذ بعد تسجيلها ورغب في نشرها، ونعتذر عما بها من سوء التعبير وركاكة التركيب؛ حيث أنها ألقيت ارتجالاً ونسخت كما ألقيت، نسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن يعيد للإسلام قوته ومكانته، وأن يذل الكفر وأهله، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

٩/ ١/ ١٤١٣هـ.

■ ■ ■ ■ ■

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:(١)

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

فقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات أن الهدف الأساسي من خلق الإنسان هو عبادة الله وحده لا شريك له، ولهذا أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ليبينوا هذه العبادة، ويوضحوها للناس؛ فوجب على الإنسان أن يطيع هذا الرسول ويتبعه، ولا يخالف أمره ولا نهيه، لأنه يتكلم عن الله ويبين حكم الله وشرعه.

ونبينا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل، أمرنا الله سبحانه باتباعه وطاعته، وعدم مخالفته، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأمرنا الله عز وجل بعدم مخالفة أمره أو نهيه، فنطيعه فيما أمر، ونبتعد عما

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين حفظه الله تعالى ونفع بعلمه، وقد قمت بتفريغها، ثم إعادة صياغتها وتجهيزها للنشر، ومن ثم قام فضيلة الشيخ بمراجعتها وتصحيحها والتقديم لها، ثم أذن لنا بطبعها ونشرها على الله أن ينفع بها. (أبو أنس).

نهى عنه وزجر، فقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

ثم يبين لنا الرسول ﷺ أنّ طاعته سبب لدخول الجنة، ومخالفته سبب لدخول النار، ففي الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[١]. ففي هذا الحديث بيان أهمية طاعة الرسول ﷺ؛ حيث إنه ينبني عليها شيء عظيم، ألا وهو دخول الجنة، فكانت الطاعة ثمناً لدخول الجنة، فياله من مكسب عظيم لمن يسّره الله له.

فعلى المسلم العاقل الذي يريد النجاة والدار الآخرة أن يبحث عما ينفعه في دينه ودنياه، ولا يكن في جهل من أمره فيخسر دينه ودنياه.

هذا وأسأل الله أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه، وأسأله تعالى أن يجعلنا ممن يقولون القول فيتبعون أحسنه،

وأن يجعلنا وجميع المسلمين من الذين يطيعون الله ورسوله، ويتبعون أوامره ويجتنبون نواهيه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).

الحكمة من خلق الإنسان

يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. تشير هذه الآية الكريمة إلى أن الإنسان لم يُخْلق عبثاً، ولكن خُلقَ لحكمة.

فما أوجد الإنسان لكي يأكل ويشرب، ويتمتع بزخرف الدنيا، ولكنه مكلف من قبل ربه، بأمر ونهي، وإيجاب وتحريم، ثم إنه بعد ذلك يثاب على الخير، ويعاقب على الشر، فإما جنّة أو نار.

أما الكافرون والمشركون ونحوهم، فهم الذين يعتقدون أنهم خلقوا في هذه الحياة الدنيا كما وجدت البهائم، وليتمتعوا متاع البهائم!

ولسان حالهم ومقالهم يقول، كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]. فحكم الله عليهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤]. ويتوعدهم الله تعالى بالنار مثوى لهم على اعتقادهم هذا، فيقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. فهم لا يؤمنون ببعث ولا جزاء! ولا يؤمنون بالدار الآخرة! فأولئك مثل الكافرين والمنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. وقال تعالى في حق الكافرين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، أي: أنهم لا يسمعون الحق؛ ولو سمعوا ما استجابوا! وأنهم لا ينطقون بالحق، ولو تكلموا به ما فعلوه، وما عملوا به! ولكنهم يميلون إلى ما تشتهيه أنفسهم! فلا جرم صاروا بمنزلة البهائم!

ثم ضرب الله مثلاً آخر بقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً﴾ [البقرة: ١٧١]. فجعلهم كمثل الإبل والغنم يناديها الراعي؛ إلا أن تلك البهائم لا تعقل ما يقوله لها، وإنما تسمع الصوت فتتبع ذلك المصدر. وهذا مثلٌ سيءٌ لهؤلاء!

وينبغي للمسلم أن يعتبر ويبتعد عن أي تشبه بأمثال هؤلاء، وذلك بأن يكون نظره نظر اعتبار، وسمعه سمع استدلال واستفادة، وعقله مفكراً فيما ينفعه، وعليه أن يستفيد من نطقه وكلامه فيما يرجع إليه بالفائدة، وذلك أن الرب سبحانه وتعالى الذي خلق العباد، إنما خلقهم في أحسن تقويم، وأتم عليهم النعمة، وكمّل لهم ما يطلبونه، وما يحتاجون إليه ولم يترك شيئاً فيه فائدة لهم أو فيه منفعة إلا مكنهم منه، وكل ذلك ليعرفوا ويعترفوا أنّهم مخلوقون ومسخرون ومدبرون، وأنّ لهم رباً خالقاً متصرفاً فيهم.

وواجب عليهم أن يستدلوا بذلك على قدرة ربهم وقوته وخلقه وسيطرته؛ حتى يستفيدوا من حياتهم، ويستخدموا كل جوارحهم فيما خلقت له.

ومن هنا يجب أن نعلم ما هي الحكمة من خلق كل عضو في الإنسان؟ وذلك بعد معرفة خلق الإنسان كله. وفيما يلي نأتي بمثال واحد فقط للاستدلال به فنقول:

لماذا خلق اللّه البصر للإنسان؟!

هل خلقه لكي يبصر به الطريق مثلاً؟!

أم أن هناك مقصوداً آخر. وهذا ما نريد أن نبينه ونوضحه إن شاء اللّه تعالى.

نعم، ليس الحكمة من خلق البصر للإنسان لكي يبصر به الطريق فقط. وهذا وإن كان مقصوداً لكن هناك ما هو الأهم؛ بأن ينظر نظر اعتبار، وألا يقع النظر

علىٰ شيء إلا ويتخذ منه آية، كما لفت الله أنظار الناس إلىٰ ذلك في آيات كثيرة، كقوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩].

فالمراد بالنظر هنا: النظر في آثار الأمم السابقة، وكيف أنه تعالىٰ أهلك الأمم وأبقىٰ آثارهم وديارهم؟! فالذي يمر علىٰ ديارهم ينظر بعينيه ويعتبر، ويعلم أنّه لا بد وأن يلحق بتلك الأمم، ويحشر كما حشروا! ولذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٦، ٧].

فالنظر هنا ليس كنظر الحيوان البهيم؛ بل إنه النظر الذي يصل إلىٰ القلب، فيستفيد منه الإنسان.

فالمسلم إذا نظر إلىٰ آية من آيات الله في الكون، أو إلىٰ شيء من خلق الله، استدل به علىٰ حكمة الخالق وقدرته، وأنه لم يخلق شيئاً عبثاً، ولن يترك الإنسان سدىٰ مهملاً.

ومن فوائد هذا البصر الذي أنعم الله به علينا: أن نقرأ كتابه العزيز، ونتدبر معانيه، ونتفكر فيه، فإنه سبحانه قد أنزل علىٰ عباده هذه الكتب السماوية متضمنة الأحكام والشرائع، لذلك فقد حفظها الله، وضمن حفظها، فحفظت، وكتبت، وسطرت، ونقلت، وقد منّ الله علىٰ الإنسان أن وهبه عينين، وعلمه كيف يقرأ، وكيف يكتب، وعلمه كيف يستفيد من ذلك كله: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]. وفي ذلك عظة وعبرة لكل من أراد الانتفاع بهذه الحاسة.

■ ■ ■ ■ ■



ضرورة العمل بالسنة الشريفة

إن البحث فيما كُلِّفنا به ـ وهو الأمر والنهي ـ واجب على كل مسلم بالغ عاقل مميز ذكراً كان أو أنثى، ذلك أنه لا عذر أن يبقى الإنسان على جهله ولا يتعلم ما كُلّف به.

فقد أوضح الله تعالى ذلك في كتبه، وعلى السنة رسله، وقد بلّغ الرسل أوامر اللّه ونواهيه، فليس لأحد عذرٌ في أن يبقى على جهله؛ بل يجب عليه أن يتعلم ما كلّف به.

ولذا وجب على كل مسلم أن يبحث عن كيفية تلك الأوامر وينفذها، فيبحث عن واجبات الدين وأركانه الخمسة، ويبحث عن كيفية أداء هذه الأركان الخمسة، وسيجد من أراد المعرفة والتعلم شرح ذلك كله في كتاب الله تعالى، وفي سنة الرسول ﷺ، وفي كتب أهل العلم.

وهكذا يلزم المسلم أن يبحث عن التكليفات الشرعية حتى يلتزم بها، وعليه أيضاً أن يبحث عن المحرمات حتى يبتعد عنها، ويكون على بصيرة من أمره. ولاشك أن ذلك متوفر في المسلمين الذين ظهروا في بيئة إسلامية، وبينهم كتب العلم، وبينهم حملة العلم، وبينهم أولياء الله، فيعرفون ذلك منذ طفولتهم. ولكن الشأن كل الشأن في التطبيق، فإنّا نخاف أن نعلم ولا نعمل! وهو شر ما نحذر منه، وشر ما نخافه، وقد وقع كثير من الناس في هذا الأمر؛ فإن الكثيرين إذا سألتهم عن حكم أظهروا لك بيانه، وأظهروا لك أدلته، ولكنهم لا يعملون به!

وإذا عَلِمَ المسلم الحديث فإن من واجبه العمل به، ومن رد السنة ـ ولو كانت من السنن المستحبات ـ اعتُبر مستخفًا بأمر الرسول ﷺ، ولو اعتذر بما اعتذر به.

أمثلة لإهمال جانب من السنة:

إن هناك كثيراً من المسلمين تأتيهم الشرائع والسنن، ولا يعملون بها، بل يلقون بها، وينبذونها وراء ظهورهم!.

وسأذكر بعض الأمثلة الدالة على ترك بعض الناس لكثير من السنن الثابتة عن النبي ﷺ، فمن ذلك:

١ـ غسل اليدين قبل لعقهما:

حدثني أحد الثقات أنه كان مع بعض أصدقاء له، فلما قاموا بعد الأكل لغسل أيديهم وعليها بقايا الطعام لم يلعقوها! قال أحدهم: ألم تسمعوا حديث رسول الله ﷺ: **«إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح يده حتى يَلْعَقَها أو يُلْعِقَها»**[1]. ولم يتم الحديث حتى سبقوه إلى إتمامه، لكنهم قالوا: لم نألف ذلك ولا حاجة لنا الآن في لعقها، فغسلها في الحمامات أفضل، ولو كانت تختلط بالقاذورات والفضلات.

فهؤلاء ردوا السنة وهم يعرفونها! كما أنهم يعلمون الحديث، ومع ذلك يخالفونه!!

٢ـ النظر إلى الصور الفاتنة:

وهذا آخر لما رأى صاحبه يحمل مجلة خليعة، قال له: ألا تتقي اللّه، فإن هذه المجلة مليئة بالصور الفاتنة؟! فقال: نعم، ولقد قال النبي ﷺ: **«لا تدخل**

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤٥٦)، ومسلم برقم (٢٠٣١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة»[١]، ولكن لنا حاجة فيها، نقرؤها ثم نلقيها.

فقال له: أنت تعلم الدليل ولا تعمل به! وتعتذر بما ليس بعذر!

فعلى المسلم أن يعمل بالسنة ما استطاع ذلك.

٣ـ لبس الثوب الطويل:

وآخر رأى صاحبه يجر ثوبه، وقد أسبله كثيراً، فأخذ ينصحه ويبين له أن هذا لا يجوز، والسنة أن ترفع ثوبك فوق الكعبين، وبين له الدليل في ذلك، فقرأ عليه حديث الرسول ﷺ: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه»[٢]، وقوله ﷺ: «ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار»[٣]. فاعتذر عن ذلك أنه لم يكن عن قصد، وإنما الخياط هو الذي زاد فيه!

وذلك كله ليس بعذر في مخالفة السنة، وهذه من الأمور المستحبة، فضلاً عن الواجبات المحتمات.

٤ـ عدم أداء الصلاة جماعة في المسجد:

نسمع أن كثيراً ينصحون إخوانهم، ويقولون لهم: لماذا لا تأتون إلى المساجد للصلاة، وأنتم حاضرون وقريبون؟.

فينصحونهم ويبينون لهم الأدلة، ويقرؤون عليهم حديث رسول الله ﷺ الذي جاء فيه: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر»[٤]، ثم تجد من

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٢)، ومسلم برقم (٢١٠٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن ماجة برقم (٧٩٣)، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، وصححه محقق شرح السنة للبغوي (٣٤٨/٣).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٦٦٥)، ومسلم برقم (٢٠٨٥)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. وأخرجه برقم (٥٧٨٤)، عن سالم بن عبدالله رضي الله عنه.

يقول عندما تنصحه: أني أعرف هذه الأدلة وهذه الأحاديث، ويعتذر بما يعتذر به!.

فما يمنعه من حضور الجماعة إلا التكاسل والتثاقل عن الطاعة ووسوسة الشيطان له؛ ثم يقول: نسأل الله الهداية والإيمان!.

فهذا قسم من الناس يعرف الأحاديث الدالة على وجوب حضور الجماعة، ولكنهم يخالفونها، ويعرضون عنها، ولا يعملون بها!

٥ـ تبرج النساء :

كثير من النساء يُلاحَظُ عليهن التبرج والسفور، والخروج للأسواق، والتسكع في الشوارع بدون حياء ولا خجل! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهن مع ذلك يحفظن الأدلة التي تنهى عن ذلك!.

ولا يخفى عليهن قول الله عز وجل: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الاحزاب: ٣٣]. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. ومع ذلك فإنها تخالف هذه النصوص الصريحة في النهي عن التبرج والسفور، بل ربما تعاند، وتقول: هذا أمر عادي ولا شيء فيه! وقد سار عليه الناس وألفوه، وأنا من جملتهم!!

٦ـ مشاهدة الأفلام الخليعة :

ننصح كثيراً من الذين يعكفون على مشاهدة الأفلام الخليعة والفاتنة، ونخبرهم بمضارها، ويعترفون بخطئهم، وخطر تلك الأفلام عليهم، ولكنهم يحتجون بأنه شيء ألفته النفوس، وأحبته، فيصعب عليهم تركه!!

وهذا لا شك أنه ليس بعذر. فلأجل هذا نحذر الواقعين في مشاهدة هذه الأفلام بأنها خطر على دينهم وحياتهم، نسأل الله لهم الهداية والثبات على

الحق.

٧ـ شرب الدخان :

كذلك ننصح مدمني التدخين عن تعاطي هذه الآفة الخبيثة، ونبين لهم مضارها وخطرها؛ فيعترفون لك أنه فعلاً ضار بالصحة، وأنه محرّم، ولكنهم يعتذرون بأنهم قد انهمكوا فيه، فتمكّن منهم، ولا يستطيعون منه فكاكاً!! ولاشك أن ذلك من ضعف النفس.

وأخيراً نقول: إن هؤلاء الذين ابتلوا بمثل هذه المعاصي من مخالفة السنة، أو ارتكاب المكروه أو الحرام؛ قلّ أن يوجد بيت أو مسكن يخلو من واحد أو من عدد منهم، يجر بعضهم بعضاً إلى ما هو فيه!!

وهذه سنة الله في خلقه، أن جعل للشر أعواناً، كما جعل للخير أعواناً.

■ ■ ■ ■ ■



الأسباب التي تفتح طريق المعصية

إن دعاة الشر الذين يقترفون المعاصي والآثام كثيرون ومتمكنون لأسباب كثيرة؛ وفيما يلي نحاول أن نأتي على بعض هذه الأسباب حتى ينتبه المسلم ويحذر من الوقوع في المعصية، **فمن ذلك:**

١- طاعة الشيطان:

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ٥، ٦]. فقد أخبر الله تعالى بأن الشيطان عدو للإنسان، وأنه يجرّه ويجرِّئه على ارتكاب المنكرات، وعلى ترك الواجبات والطاعات، فإذا تجرأ على ذلك ثقلت عليه العبادة، وصعب عليه التخلص من ارتكاب المعاصي، فيصير بعد ذلك من أعوان الشيطان! يدعو إلى ما يدعو إليه، فيدعو إلى المنكر الذي وقع فيه!!

* **فإن كان من أهل ترك الصلاة؛** دعا إلى تركها حتى يكثر منهم أعوانه!

* **وإذا كان من أهل الخمور والمسكرات والمخدرات؛** دعا إلى فعلها كل من اختلط به أو احتك به!

* **وإن كان من أهل الملاهي والغناء ونحوها؛** دعا إلى العكوف عليها، وحبّذها، وزين للناس الوقوع فيها!

* **وإن كان من أهل الصور الخليعة، والأفلام الماجنة؛** حرص على نشرها حتى يزيد عدد من يحبونها مثله!

وهكذا فإن الشيطان هو الذي زيّنها، ودعا إليها أصلاً، ثم بعد ذلك أمر أولياءه بأن يدعوا إليها وسلطهم على من خالفها، فمتى رأوا إنساناً متمسكاً بدينه سددوا إليه سهامهم، واتهموه بالنقص والتأخر! ورموه بالجمود والتقهقر! وعابوه! وعيروه! ولمزوه بالضعف والسخافة! وبقلة العقل، وما أشبه ذلك!

وما علموا أنهم هم السفهاء، وهم الجهلة، كما وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

٢ - كثرة الشهوات وتيسُّرها:

إذا مالت النفس إلى حرام، ووجده الإنسان متيسراً، ومتوفرة أسبابه، ولم يكن من أهل الإيمان القوي، الذي يردعه إيمانه عن اقتراف المحرمات! ولم يزجره زاجر! ولم يمنعه مانع! فإنه بلاشك سوف يقع في الحرام!!

* **فإن تمنت نفسه سماع أغنية، وجدها قريبة منه!**

* **وإن تمنت نفسه رؤية أفلام خليعة، وصور نساء متبرجات، وجد ذلك متاحاً!**

* **وإن تمنت نفسه لذة محرمة كمسكر أو مخدر، وجد ذلك أو أُوجِد من ييسره له، ومن يدله عليه، فيتبع ما تتمناه نفسه!!**

ومعلوم أن النفس أمارةٌ بالسوء، يقول الشاعر:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى

فإن أطمعت تاقت وإلا تسلت

ولكن ما هو علاج ذلك؟!!

إن علاج ذلك في أن يُبَصّر الذي هَمَّ بمنكر، وأن يُرشد، ويُبَيَّن له أن شهواته المحرمة زائلة وفانية، وأن عاقبتها سيئة، كما قال الشاعر:



تـفـنـى الـلـذاذةُ ممـن نـال صـفـوتـهـا
مـن الحـرام ويـبـقـى الإثـم والـعـارُ
تـبـقـى عـواقبُ سـوءٍ لا مـصـيـر لهـا
لا خـيـر فـي لـذة مـن بـعـدهـا الـنـارُ

٣- الجهل بحكم المنكرات :

تفشت المنكرات وانتشرت، ولتمكُّنها وظهورها يظن الجهلة ويجزمون أنها ليست منكرات فينغمسون فيها؛ وذلك إما للجهل المركب، وإما للجهل البسيط؛ فإن الجهلة وعوام الناس يحتجون علينا فيقولون:

فإذا كان الدخان حراماً، فَلِمَ يباع في الأسواق علناً؟

وإذا كان الغناء حراماً فلم ينشر ويذاع في الإذاعات القريبة والبعيدة؟... وهكذا.

إذن فما هو العلاج؟

يُبَصَّر هؤلاء بالحقيقة، فنقول لهم: إن الحق واضح، وإن الإنسان يهدف إلى الحق أينما كان ولا يضره تفشِّي المنكرات، أو قلة المعروف، فإن الحق حق ولو قل الذين يعملون به، وإن الشر شر ولو كثر أهله.

٤- كثرة الدعاة إلى المنكرات من الخارج :

لاشك أن من أسباب كثرة المنكرات وتمكّنها كثرةَ الدعاة إليها من الخارج، فمعلوم أن الكفرة والعصاة من أعداء الشريعة يحرصون على طمس الإسلام، وعلى طمس معالمه، وأنهم أعداء لدين الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هكذا حكى الله عن اليهود والنصارى، ويقاس عليهم غيرهم؛ فكل الكفار

وكل المشركين على اختلاف أنواعهم أعداء ألداء للمسلمين، لأن الإسلام إذا ظهر أذلهم وقهرهم، وبدّد اجتماعهم، وفند شبهاتهم، وأعلن الحرب ضدهم.

لذلك فإنهم حريصون على إذلال المسلمين، بل إنهم حريصون على الطعن في الإسلام، والطعن في تعاليمه، ويبحثون بقدر ما يستطيعون للتشكيك بالله، وبالعقيدة، حتى يقل الذين يتمسكون بالإسلام.

فإن استطاع أولئك الكفار أن يُنَصِّروا المسلم أو يُهَوِّدوه، أو يخرجوه من الإسلام كلياً إلى غير دين فعلوا! وإن لم يستطيعوا عملوا جهدهم على إظهار دينهم، ومدحه ـ ومعلوم أن أديانهم باطلة ـ وبيان شيء من آثارهم وأفعالهم التي يمتدحون بها، وعملوا جهدهم على ما يستطيعون من نقص للإسلام والمسلمين، حتى يظن أهل الإسلام أنهم أولى بالتقدم!

وكل ذلك إنما يروج على الجهلة الذين لم يتعمقوا في الإسلام، ولأجل هذا فهم يحرصون دائماً على أخذ صغار المسلمين ليربوهم كتربيتهم! ويغسلون معرفة الإسلام من رؤوسهم وأذهانهم، ولا يعلّمونهم شيئاً عن سيرة آبائهم وأجدادهم! بل يربونهم على كل ما هو ضد ذلك حتى ينمحي الإسلام منهم شيئاً فشيئاً!! وهكذا يتمكنون من نشر دعايتهم إلى دينهم علناً!

ونعود للعلاج مرة أخرى فنقول:

على المسلمين بعدما عرفوا ما وقع من أعدائهم في الماضي، وما يحدث منهم في الحاضر، وبعدما تأكدوا من عدائهم للإسلام، أن ينتبهوا إلى حيلهم وإلى شبهاتهم، وعليهم بعد ذلك:

١ ـ القضاء على شبهاتهم التي يروجونها.

٢ـ ذكر محاسن الإسلام، وبيان ملاءمة أعماله، وأنه الدين الحنيف الذي يدعو إلى كل خير، ويحذّر من كل شر، وبعد ذلك يكثر الذين يعتنقونه من الديانات الأخرى.

وقد يساهم في هذا الجهد الجاليات الإسلامية في الخارج بالأسلوب الحسن، مخاطبين الكفار بلغتهم، شارحين لهم شيئاً من تعاليم الإسلام، فعسى أن يهدي الله بسببهم خلقاً كثيراً بدخولهم في الإسلام.

ولكن للأسف فإن كثيراً من البلاد الإسلامية تحولت إلى بلاد كافرة، كلها أو معظمها، بسبب تحكّم غير المسلمين في أمورها.

ولاشك أن المسلمين لو بذلوا بعض الجهد الذي يبذله المبشرون إلى النصرانية لتغير الحال، فضلاً عن أن هؤلاء الدعاة إلى الإسلام قلة قليلة في معظم هذه البلاد، وبدون إمكانات أو إغراءات كأولئك المبشِّرين الذين تمدهم دولهم الكافرة بكل ما يحتاجون إليه، فإذا بهم يمنحون الناس أكسية وأموالاً، ويبنون مدارس ومستشفيات ودوراً للسكنى، ونحو ذلك.

ومع ذلك فإنّ أعداد الذين يستجيبون لدعاة الإسلام أكثر بكثير من أولئك الذين يستجيبون لدعاة الكفر، ولكن المشكلة الحقيقية أن دولاً كثيرة ليس فيها دعاة إلى الإسلام أصلاً! أو أن الدعاة لا يتمكنون من الاتصال بالسكان لبعدهم، وقلة عددهم، فيتمكن منهم أعداء الإسلام، ويحولون المسلمين إلى نصارى! كما تمكن أعداء الإسلام في كثير من البلاد المتقدمة إلى سلب الإسلام من جوهره ـ وإن لم يُدْخِلُوا الناس في النصرانية ـ وذلك بدعوتهم إلى الكسل، وترك العمل للدين، وصار كثير منهم لا عمل له، ولا هَمَّ له إلا الإخلاد إلى الشهوات،

وتناول المحرمات، وانشغل الكثير في البلاد المتقدمة، وفي البلاد العربية بشهوات الدنيا وجمع حطامها، وتحصيل الأموال، وسخّروا أنفسهم للعمل لهذا ليلاً ونهاراً!! وهؤلاء أيضاً قد خسرهم الإسلام!

ونحن لا نقول بأنه لا يجوز للإنسان أن يتكسب المال، ولكن نؤكد أن يكون هذا التكسب ـ وإن كثر ـ من مصدر حلال، وألا يكب عليه الرجل، وينشغل به عن الواجبات، ثم عليه أن ينفق من هذا المال الذي كسبه في أوجه الخيرات.

■ ■ ■ ■ ■

دور المسلمين لإعلاء كلمة الله

إن للمسلمين دوراً يجب أن يبذلوه إحقاقاً للحق، وإعلاءً لكلمة الله، فالملاحظ أن أكثر المسلمين ممن أصلحهم الله وهداهم، اقتصروا على أنفسهم، وأعرضوا عن مخالطة الآخرين، وفيما يلي نشير إلى بعض الأمور التي يمكن من خلالها أن يكون للمسلمين دور بارز في إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى، ونحن نشير إليهم بعدة أمور يفعلونها:

١ - بذل النصح أفراداً وجماعات:

فنحن نعرف أن هناك شباباً قد وفقهم الله، وكذلك بعض المسنين ممن هداهم الله ولا نزكي على الله أحداً لا يستطيعون العمل على نشر الدعوة، ولكنا ننصح هؤلاء أن يختلطوا بأولئك الذين هم على شفا جرف فتحذرهم وتنصحهم، فإن لم يقبلوا منك في أول مرة، فكرر الجلسة معهم واغشهم في مجالسهم الخاصة والعامة، وحذّرهم من مغبة ما هم منهمكون فيه من شرب المسكرات، أو العكوف على الملهيات، وما أشبه ذلك.

وعليك أن تحاول وأن تكرر المحاولة، وأن تنوع في أساليب الدعوة، فإن كان لك احتكاك واجتماع يومي بهم كما في المدارس، أو في المكاتب ونحوها، فاستصحب كل ما يكون وسيلة إلى إعزاز مقامك، وإلى رفع دينك، واشغل وقت فراغك بقراءة القرآن، أو بتدارسك للسنة وقراءة كتب أهل العلم، وتعلق وتفسر بعض ما يكون غامضاً، وتبين دلالة بعض الآيات على ما هو لائق ومناسب لتلك الحال التي أنت فيها، وتبين حالة من خالفها، وجزاء من ارتكب

منكراً، وثواب من عمل طاعة، حتىٰ تشغل الوقت، وتكون الغلبة لك، وتأخذ علىٰ أيدي هؤلاء الفسقه والعصاة، فلا تكون لهم صَوْلَةٌ، ولا يكون لهم كلام، فتصير لك المكانة دونهم، لأن الحق هو الغالب.

فإن لم تسفر محاولتك عن شيء فيجب استدعاء من يدعو إلىٰ الله تعالىٰ ممن هم مشهودٌ لهم في هذا المجال.

٢- التدرب والتعلم في مجال الدعوة إلى الله:

فهناك نخبة ممن هم في سن التعلم والطلب، ولديهم مقدرة علىٰ مزاولة الدعوة إلىٰ الله، ونشر الإسلام، ولو قليلاً.

فينبغي أن يُعقد لهؤلاء اجتماع خاص، يتدربون فيه علىٰ إلقاء النصائح، حتىٰ يكتسبوا جرأةً ومهارةً في إلقاء الكلمات، ثم ينتقلون بعد ذلك من الأماكن الخاصة إلىٰ الأماكن العامة؛ فينفعون وينتفعون.

ومن الممكن أن يختار أهل المسجد أو المدرسة أو المعهد أو نحو ذلك، عشرة أو عشرين لسلك الدعوة إلىٰ الله، يتم تدريبهم، وتأهيلهم للقيام بالإلقاء والنصح، ولا يقف السن عقبة أمام ذلك، فمن الممكن أن يمارس ذلك الطلبة في الثانوية أو المتوسطة مثلاً، فيفيدوا ويستفيدوا.

ولقد تم تجربة ذلك منذ سنوات، فاختيرت مجموعة كبيرة تضم من بينها من لا يحسن الحديث أمام ثلاثة!! فصار بعد ذلك يلقي خطباً ارتجالية أمام العشرات في المساجد وغيرها. ولكن ذلك يحتاج إلىٰ همة في النفس، وتدرب، ثم بعد ذلك يقومون بالدعوة العامة، ويُعْطَوْنَ رخصة من مراكز الدعوة الخاصة بذلك.

٣ - ضرورة تولي أهل الصلاح الوظائف المؤثرة:

خير للإسلام والمسلمين أن يتولىٰ من هداهم الله، ووفقهم لرضاه، أن يتولوا الأعمال، فيكون في تلك الولاية خير للإسلام والمسلمين؛ وللأسف فإنا نرىٰ كثيراً من أهل الصلاح يُدْعَوْنَ إلىٰ الوظائف التي لها أهمية، ولكنهم لا يقبلونها مخافة ألا يقوموا بحقها! أو أنهم لا يمكّنون!

وهذا خطأ ظاهر، فإن تأثير الذين يتولون الوظائف الهامة كبير علىٰ المجتمعات.

ألا تنظروا إلىٰ تأثير خطباء المساجد إذا كانوا صالحين أتقياء. كيف يختار أحدهم الخطبة الملائمة التي تعالج المشاكل، والتي تثير هِمَمَ الناس، والتي يستمع إليها العاصي والمطيع فيتناقلونها في المجالس، ويكون لها تأثير كبير في نفوس العصاة؟!!

وهكذا نقول: إن علىٰ من يجد من نفسه كفاءة وغيرَةً أن يتولىٰ هذا الأمر الذي هو الخطابة في المساجد، فيكون أصاب التوفيق والسداد، وكذلك الحال في مقام الدعوة إلىٰ الله؛ سواء كانت نظامية أو غيرها.

وقد اهتمت حكومتنا وفقها الله فجعلت مناصب للدعاة إلىٰ الله، وعينت لهم مراكز إدارية، وصرفت لهم مرتبات مغرية، ولكن مع ذلك يقل عدد من يتقدم لهذه الوظائف التي مقامها شريف، ولو قامت نخبة كبيرة، وانتظمت في سلك الدعوة إلىٰ الله، وقاموا بهذا الواجب في هذه البلاد المترامية الأطراف، لحدث لهم أثر كبير، فكثيرون من البلاد يشتكون أنه لا يكاد يمر بهم علىٰ مدار العام من يعظهم، ولا من ينصحهم ويرشدهم، فيبقىٰ الجاهل علىٰ جهله والعاصي علىٰ معصيته!!

ولاشك أن بعض العاملين في الدوائر الحكومية جهلة أو عصاة، فحين يتوقف أهل الخير عن الدخول في تلك الوظائف، يبقى المجتمع كله على جهله، وعلى منكراته، وعلى معاصيه، فلاشك أن ابتعادهم عن هذا المجال من الخطأ، فإذاً لابد أن يكون الداعية إلى الله متواجداً في هذه المراكز الهامة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيحدث بذلك نفع كبير.

كذلك مجال التعليم والتدريس، فإنه من الواجب أن يقوم به نخبة من أهل الخير والصلاح، لما لهم من تأثير في التلاميذ والأطفال وغيرهم.

ونحن نحث كل من كان في استطاعته وقدرته القيام بعبء التدريس؛ سواء في المدارس العامة أو الخيرية في المساجد ونحوها أو في المكتبات أن يبادر إلى المساهمة في ذلك، لما له من تأثير كبير.

فعلى كل مسلم أن يكون متيقناً أنه مسؤول عند الله، ومسؤول عما يراه أمامه من منكر يستطيع تخفيفه، ومسؤول في الدعوة إلى الله بحسب استطاعته، وألا يترك أهل المنكر يفشون منكرهم، ويدعون إليه، فإنهم إن فعلوا ذلك نكون قد فسحنا لهم المجال ليتغلبوا علينا.

ولنا مما حدث ببعض الدول عبرة، فبعض الدعاة إلى الله في هذه الدول لظروف سياسية اعتزلوا الوظائف، كالقضاء، والإمامة، والخطابة، والتعليم، والدعوة إلى الله، ونحو ذلك، فتولاها فسقة وكفرة وظلمة! وصار الكفرة هم الذين يتصرفون في هذه المجتمعات طبقاً لأهوائهم! ويأمرون وينهون، ويحكمون بقوانينهم، ويعزلون الشرع فلا يعملون به!

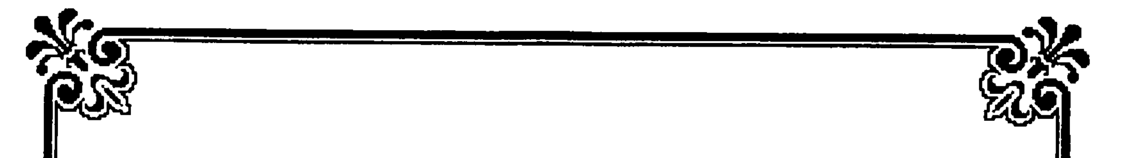
فذلك كله نتيجة انعزال أهل الخير عن الأعمال التي لها أهمية! واقتصارهم على الأعمال الفردية، أو ما أشبه ذلك!

نحن بحاجة إلىٰ أن يقوم بالأعمال الهامة فئة من ذوي الصلاح، ومن ذوي العقيدة الصحيحة، حتىٰ يحسنوا إلىٰ أنفسهم، ويحسنوا إلىٰ الأمة جميعاً، ويخففوا من حدة أولئك العصاة، ويأخذوا علىٰ أيديهم، فيتمكنون بعد ذلك من إقامة الحدود، ومن إجراء العقوبات، ومن إذلال من يُظْهِرُ شيئاً من المنكرات، ويتمكنون من إلزام من تخلف عن صلاة بأن يفعلها طاعة لله سبحانه وتعالىٰ، وكذلك من أعلن معصية بأن يتركها، أو يستخفي بها ولا يعلنها، مخافة أن يجري علينا ما جرىٰ علىٰ من قبلنا، ومخافة أن يُسْلَب ما نحن فيه من خير ورفاهية ونعمة وأمن.

فلنجتهد علىٰ نصر الحق، وعلىٰ إعلانه، وعلىٰ العمل به، وعلىٰ إظهار شعائر الإسلام في أفعالنا، وفي أقوالنا، حتىٰ نتمكن ـ إن شاء الله ـ من القول به، ومن الدعوة إليه، ومن إظهار الخير، وإذلال الكفر وأهله، وبذلك نكون آمنين مطمئنين، ويستمر لنا الخير والأمن والرخاء الذي نتمناه.

نسأله سبحانه أن يمكّن لنا ديننا، وأن يبدلنا بعد الخوف أمناً، وبعد القِلَّة كثرة، وأن يجمع كلمة المسلمين ويوحّد صفوفهم، وأن يعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك وأهله، وأن يدمّر كل عدو للدين، وأن يصلح من كان في صلاحه خير للإسلام والمسلمين، إنّه علىٰ كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■



الرسالة الثانية:

البدع والمحدثات
في
العقائد والأعمال




تقـــــديم فضيلة الشيخ العلامة

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله وحده وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه .

وبعـــد :

فهذه مقالة في إيضاح بعض البدع ، والنهي عنها ، كنت ألقيتها محاضرة لبعض المناسبات ، وسجلها بعض الطلاب ، ثم نسخها ورغب في طبعها ، ولا مانع لديّ من ذلك ، مع العلم أن الموضوع واسع فيها ، وإنما اقتضبت بعض الكلام حول البدع والمحدثات ، دون الاسترسال في ذكر الأدلة ، ووجه الاستدلال بها ، ودون توسع في مناقشة تلك البدع ، وإيضاح معنىٰ كونها بدعة ، لما في ذلك من الإطالة التي لا تناسب العامة ، ومن أراد الزيادة في المناقشة فليرجع إلىٰ الكتب المؤلفة في ذلك وقد أشرنا إلىٰ بعضها أثناء المحاضرة .

ونسأل الله تعالىٰ أن يظهر السنة ويقمع البدعة والمبتدعين ، وينصر الإسلام والمسلمين ، ويذل الشرك والمشركين ، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

٩/ ١/ ١٤١٣هـ

■ ■ ■ ■ ■

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، قيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد[1]:

فإن في اختيار هذا الموضوع ـ وهو التحذير من البدع والمحدثات في العقائد والأعمال ـ إحياءً للسنة، فمن تمسك بالسنة سلم من البدعة، ومن وقع في شيء من البدع نقص تمسكه بالسنة المطهرة، ذلك أنه ليس هناك إلا سنة، أو بدعة!

فالسنة: هي طريق الرسول ﷺ، التي حثنا عليها، فيقول ﷺ في وصيته: **«عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»**[2].

ولا شك أن ذلك حثٌ منه ﷺ، أن نتمسك بهديه، فإن خير الهدي، وخير السنة، وخير الطريقة؛ طريق النبي ﷺ، وسيرته التي سار عليها خلفاؤه

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين حفظه الله تعالى ونفع بعلمه، وقد قمت بنسخها وصياغتها قدر المستطاع، ثم عرضتها على فضيلته لمراجعتها والإذن لي بطباعتها ونشرها، فجزاه الله عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. (أبو أنس).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦)، واللفظ لأبي داود، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

الراشدون وصحابته المتقون، والتي تمسك بها أئمة الدين، وساروا على نهجها إلى يوم الدين.

أما البدعة: فهي خلاف السنة، وقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «البدعة في الدين مالم يشرعه الله ورسوله، وهو ما لم يأمر به أمر إيجاب ولا استحباب»[١].

فكل من أحدث في الدين ما ليس منه في الاعتقادات أو الأقوال أو الأعمال فإنه من أهل البدع والمحدثات، قال ﷺ: **«إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[٢].

وفي هذه الرسالة الصغيرة المختصرة نبين شيئاً من البدع التي وقعت في العقائد وفي الأعمال كي يحذر كل مسلم صاحب سنة من الوقوع فيها.

جعلنا الله من أتباع نبيه ﷺ، الذي قد أضاء لنا الطريق بسنته، فمن أخذ بها نجا، ومن حاد عنها هلك.

والله نسأل أن يوفقنا لعرض هذا الموضع الهام، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٤/١٠٧-١٠٨.

(٢) انظر تخريجه صفحة: ٣٩.

خطورة البدعــة

يقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وذلك يقتضي بلا شك أن الله تعالى ما قبض نبيه ﷺ، إلا بعد أن بلّغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، وعلّم الأمة كل شيء تحتاج إليه، وبين لهم ما أرسل به، وما أنزل عليه، سواء في العقائد، أو في الأعمال.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «إنه لم يكن نبي قبلي، إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يَعْلَمُهُ لهم، وينذرهم شر ما يَعْلَمُهُ لهم»(١). وقد كان النبي ﷺ، يكرر في خطبته في كل جمعة قوله: «إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»(٢).

وقد ثبت أنه ﷺ خط مرة خطاً مستقيماً، وخط عن يمينه وشماله خطوطاً منحرفة، وقال: «هذا سبيل الله - يعني المستقيم - وهذه - يعني المنحرفة - سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه - يعني البدع وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] »(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) والنسائي (٧/ ١٥٢، ١٥٣) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه النسائي (٣/ ١٨٨، ١٨٩) من حديث جابر رضي الله عنه، وانظر صحيح البخاري (٧٢٧٧) وصحيح مسلم (٨٦٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤١٤٢) والنسائي في السنن الكبرىٰ (١١١٧٤) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

ومثَّل ذلك بعض العلماء بجريدة النخل التي تتدلى وتصل إلى الأرض، فهذه الجريدة، وفيها هذا السعف والخوص ملتصق بها، فلو أن حشرة من الحشرات ركبت هذه الجريدة من الأرض، فإنها إذا سارت على وسط الجريدة، وصعدت عليها، وصلت إلى أقصى النخلة، وأكلت من الثمر ما أرادت، لكن لو أنها انحرفت، وركبت خوصة من الخوص الذي يتدلى في تلك الجريدة، فإنها تسير عليها قليلاً، ثم تنتهي الخوصة وتسقط الحشرة على الأرض.

وهكذا الذي يسير على الصراط السوي والسيرة الشريفة، فإنه يؤدي به إلى رضى الله، وتكون له الجنة.

والذي ينحرف عن الطريق، فإنه يؤدي به إلى الهلاك والضلال، ويكون من الخاسرين في دنياه وفي أخراه.

يقول ﷺ في وصيته: **«عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء المهديين الراشدين من بعدي، تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**[1]. والنواجذ هي أقاصي الأسنان، وذلك كناية عن شدة التمسك، وشدة القبض على الأشياء.

فخير الطريقة طريقة النبي ﷺ وسيرته؛ التي سار عليها خلفاؤه الراشدون وصحابته المتقون، وتمسك بها أئمة الدين، وساروا على نهجها إلى يوم الدين، وتبعهم أتباعهم إلى يومهم هذا، فتبعهم الأئمة الأربعة، الذين هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وحفظوا ما جاءهم وما بلغهم من السنة، وحذروا من البدعة، وبينوا ضرر هذه البدع، سواء كانت في العقائد أو في الأعمال، وبينوا أن اقتراف

---

(١) سبق تخريجه صفحة: ٣٩.

البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ؛ وذلك أن المبتدع يعتقد أنه على حق ، وأن الحق في جانبه ، ولذلك لا يرجع عما هو عليه ، ولو أتيته بكل آية ما اقتنع بما تدعو إليه .

لذا كانت البدعة أحب إلى الشيطان من المعاصي ، ومن كبائر الذنوب ؛ لأن المعاصي يمكن التوبة منها ، فيمكن أن يعرف صاحبها بأنه مذنب ، ويأمل التوبة ، ويبدؤها ، وقد يوفق وقد لا يوفق .

أما المبتدع فإن الشيطان يحسّن له بدعته ، ويبين له أن من خالفه فهو ضال ، وأن من كان على غير طريقته فهو باطل ، وأن الحق بجانبه هو !

فهذه البدع ليست من الدين في شيء ، ولو كانت من الدين ما قُبض رسول الله ﷺ إلا بعد أن يبلغها ، وهذا ما شهد به الصحابة - رضي الله عنهم - للرسول ﷺ إذ شهدوا له بالبلاغ وبالبيان ، فقد ثبت عن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه قال : لقد تركنا محمد ﷺ ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً(١) .

وذُكرَ أيضاً أنه ﷺ قام مرة على المنبر وخطب في الناس ، وأخذ يعلمهم من أول النهار بعد صلاة الصبح إلى أن دخل وقت صلاة الظهر ، فنزل وصلى ، ثم بعد الصلاة عاد إلى تعليمه ، واستمر في تعليمه إلى أن دخل وقت العصر ، فنزل وصلى ، ثم صعد أيضاً ، واستمر في البيان والتعليم إلى أن أتى وقت المغرب ، فذكر كل شيء يحتاجون إليه ، وذكر كل شيء آت في المستقبل ، حتى ذكر دخول أهل الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار ، وبدء الأمر ونهايته ، فحفظ ذلك من

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١٥٣) .



حفظه، ونسيه من نسيه[١]. وذلك كله من باب البيان والتبليغ، لأن الله كلفه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وفي آية أخرىٰ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورىٰ: ٤٨].

فهذا هو البلاغ الذي بينه، وأوضح كتاب ربه الذي أنزله عليه، وكلفه بالبيان بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

أليس هذا دليلاً على أنه ﷺ قد وضح ما نزل، وبين ما أُرسل به؟ ذلك أن الله اختاره لحمل الرسالة، وما اختاره إلا علىٰ علم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]، ولا شك أنه ﷺ أنصح الناس لأمته، فإنه ناصح ومحب، ومشفق عليهم، ومحب لنجاتهم، يقول الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

كذلك قد رزقه الله فصاحة، وبياناً، وبلاغة، حيث اختصر له الكلام اختصاراً، وأعطاه جوامع الكلم، فثبت عنه ﷺ أنه قال: «بعثت بجوامع الكلم»[٢]. وقال ﷺ: «أُعطيتُ جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الحديثُ اختصاراً»[٣]. وفي رواية: «أُعطيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه»[٤].

---

(١) انظر صحيح مسلم (٢٨٩٢) وأحمد (٥/ ٣٤١) عن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري، وروىٰ البخاري كما في الفتح (٦/ ٢٨٦) نحوه عن عمر مختصراً، وروىٰ أحمد (٥/ ٣٨٥) وأبو داود (٤٢٤٠) عن حذيفة نحوه مختصراً، وروىٰ الترمذي برقم (٢٢٩٧) عن أبي سعيد بعضه وفيه زيادات.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٧٧) ومسلم (٥٢٣)(٦) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٤٣٦)من حديث عمر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٤٣٨)، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٨٠) برقم (١١٧٨٤) عن أبي موسىٰ الأشعري، وكذا رواه أبو يعلي في المسند برقم (٧٢٣٨) ورواه الدار قطني (٤/ ١٤٤) عن ابن عباس، وله شاهد عند أحمد (١/ ٤٠٨) عن ابن مسعود.

كل ذلك مما يوضح أنه ﷺ قد بيّن للناس وبلغ، ثم يأتي أهل البدع فيتهمونه بالتقصير! ويقولون إن شريعته ناقصة ! فهي بحاجة إلىٰ أن يضاف إليها! فأضافوا إليها شيئاً من العقائد والأعمال!

إن المبتدع يعتقد أن الإسلام ناقص، وأن بدعته مكملة لهذا الدين! لذلك يضيف بدعته إضافة إلىٰ الشريعة الإسلامية. أو لم يروا أن الله تعالىٰ قد امتنّ علىٰ المسلمين بأن أكمل لهم دينهم، ولا شك أن الكمال يقتضي أنه قد وضح وظهر، ولم يحتج إلىٰ تكميل.

ولا شك أن ذلك أيضاً تهمة للرسول ﷺ بالخيانة، أو تهمة لربه بأن شريعته ناقصة، وتهمة للشريعة ذاتها بأنها ناقصة غير كاملة.

وقد حذر السلف - رضي الله عنهم - من البدع، وكذلك أشار العلماء - وفقهم الله - إلىٰ خطورة البدع، وبينوا أنواعها: فكتب العالم السلفي محمد بن وضاح كتاباً بعنوان: (البدع والنهي عنها) وروىٰ عن السلف - رضوان الله عليهم - آثاراً تدل علىٰ أنواع من البدع، وتدل علىٰ تحذيرهم منها، حتىٰ ولو كانت صغيرة.

ومنها ما رواه عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه خرج علىٰ حلقات في المسجد وفيهم رجل في كل حلقة يقول لهم: سبّحوا مائة، فيسبحون، ويقول: كبروا مائة، فيكبرون! لذا قال لهم ابن مسعود: إنكم لخير من أصحاب رسول الله ﷺ! أو علىٰ باب من أبواب الضلالة؟ أي: أن فعلكم هذا ما فعله الصحابة - رضي الله عنهم - فهل أنتم خير من الصحابة؟! إن كنتم خيراً من الصحابة فأتوا بالدليل، وإلا فأنتم علىٰ باب ضلالة. وقال لهم ابن مسعود: عُدّوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع شيءٌ من حسناتكم[1].

(١) انظر سنن الدارمي (١/ ٦٨)، وكتاب البدع والنهي عنها، لابن وضاح صفحة: ٨.

فأنكر عليهم هذه البدعة اليسيرة، وهي الذكر الجماعي، ورفع الصوت به بصوت واحد، ثم روىٰ لهم أحاديث الخوارج. ويقول الرواي: إن أولئك كان أكثرهم في جملة من خرج مع الخوارج، وقاتل الصحابة ـ رضي الله عنهم.

وهكذا حرص السلف ـ رحمهم الله ـ علىٰ التمسك بالسنة، والسير عليها، والنهي عن البدع حتىٰ لو كانت صغيرة، فلا يتهاونون بها، مثلما أنكر ابن مسعود هذه البدعة اليسيرة.

وكتب أبو شامة كتاباً في البدع، وذكر أنواعاً منها، وبيّن ما فيها من الآثار، ووجه بشاعتها، وسمىٰ كتابه: (الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث) وأورد آثاراً وأدلة من الكتاب والسنة.

كذلك للشاطبي كتاب: (الاعتصام) ضمّنه أقوال الصحابة والتابعين والعلماء في النهي عن البدع والمحدثات، ثم ذكر أمثلة من البدع، وأمثلة مما ليس من البدع.

وإن كانوا ـ رحمهم الله ـ إنما ركزوا علىٰ البدع في الأعمال، ولم يتعرضوا للبدع في العقائد، فذلك لأن البدع في العقائد قد كتبت فيها المؤلفات الكثيرة ولأنها ظاهرة النكارة والبشاعة.

■ ■ ■ ■ ■

البدع في مجال العقائد

سار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أجمعين على سنة النبي ﷺ، وتمسكوا بها كما أمرهم الله تعالى، وكما أمرهم الرسول ﷺ، ولكن حدث في عهدهم أشياء من البدع في العقائد، ومن أهم هذه البدع نذكر بعضها اختصاراً على سبيل المثال:

١ ـ بدعة الخوارج:

كان خروج الخوارج في عهد علي ـ رضي الله عنه ـ في سنة ٣٦ من الهجرة، وسُمّوا بالحرورية لأنهم نزلوا حروراء، وسموا بالخوارج لكونهم خرجوا عن الطواعية، وابتدعوا، وكانت بدعتهم أنهم يكفرون بالذنوب، فيجعلون الذنب ولو صغيراً مخرجاً من الملة! ويحملون بعض الآيات التي نزلت في الكفار على المؤمنين، أو على بعض العصاة الموحدين!

وقد أنكر السلف عليهم هذه البدعة، وقاتلوهم لما بدأوا بالقتال، وبقوا على هذه البدعة الشنيعة، ولم يزل من هم على عقيدتهم إلى هذه الأزمنة كالطائفة المسماة (الإباضية). وتوجد في بعض البلاد العربية، وكذلك في بعض بلدان أفريقيا.

أما بدعتهم فتتعلق بالعقيدة، وذلك لأنهم يكفرون المسلمين! ويخلدون العاصي في النار! ويخرجون المسلم بالمعصية من الإسلام! ويستحلون دم المسلم الذي أذنب، ويقاتلون المسلمين! وهذا ذنب كبير، وبدعة شنيعة، ينكرون بها عموم رحمة الله، وعموم عفوه وتجاوزه عن الذنوب، وينكرون بها أحاديث

الشفاعة التي فيها أن الله تعالىٰ يغفر الذنوب، ويتجاوز عن السيئات، ويقبل التائب، ويعفو عن المسيء، وشفاعة نبيه ﷺ وملائكته في أهل التوحيد والعقيدة السلفية.

أنكروا ذلك! فصار هذا ذنبهم الوحيد، وهم مع ذلك قد وصفوا في الأحاديث بكثرة الأعمال، فقال ﷺ: «**يخرج في هذه الأمة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم ـ أو حناجرهم ـ يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»(١) وفي رواية: «**لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**»(٢).

فقاتلهم عليّ ـ رضي الله عنه ـ وبقي منهم بقايا قاتلهم المسلمون في عهد بني أمية، وكادوا أن يقضوا عليهم، ولكن كان منهم أفراد لم يزالوا يَدْعُونَ إلىٰ ملتهم وعقيدتهم إلىٰ هذا اليوم.

٢ ـ بدعة القدرية:

وبدعة القدرية تعني إنكار قدرة الله تعالىٰ علىٰ أفعال العباد، وكذلك فإن هذه البدعة قد حدثت في أواخر عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فسئل ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال له رجل: إنه قد خرج قبلنا أناس يقرؤون القرآن، ويتقفّرون العلم(٣)، وإنهم يقولون: لا قدر، وأن الأمر أُنُف(٤)!

فقال ابن عمر: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرآء مني، والذي نفس ابن عمر بيده، لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً، ما قبله الله منه حتىٰ

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٤)(١٤٧) وانظر صحيح البخاري (٣٦١٠) عن أبي سعيد، وقد رواه مسلم عن جابر وعلي وأبي ذر وسهل بن حنيف وغيرهم.

(٢) صحيح مسلم (١٠٦٤) (١٤٣).

(٣) يتقَفَّرون العلم، أي: يطلبونه ويتتبعونه.

(٤) ان الأمر أُنُف، أي: مستأنف لم يسبق به قَدَر!!



يؤمن بالقدر خيره وشره[(١)].

واستدل على ذلك بأن النبي ﷺ، لما قال له جبريل عليه السلام: أخبرني عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الاخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره»[(٢)].

وبعض هذه الطائفة ينكرون علم الله السابق، ويقولون: إن الله لا يعلم الأشياء حتى تقع، وهؤلاء يشككون بعلم الله، وأن الله ليس بكل شيء عليم، وأنه لا يعلم الأشياء قبل وجودها! وهؤلاء لا شك في خطئهم وجهلهم وتجهيلهم.

وهناك طائفة أخرى من القدرية وهم الذين ينكرون قدرة الله على كل شيء، ويقولون: إن الله لا يقدر على الهداية، ولا على الإضلال منكرين قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]. وجعلوا قدرة الإنسان أقوى من قدرة الله!! وقالوا: إن الإنسان إذا أراد شيئاً، وأراد الله غيره، غلبت قدرة الإنسان وإرادته على قدرة الخالق وإرادته. تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهؤلاء يُسمَّون القدرية، ويُسمَّون مجوس هذه الأمة، وشُبِّهوا بالمجوس لأن المجوس يجعلون الوجود حادثاً عن إلهين: إله للخير، وإله للشر، وهؤلاء يجعلون الوجود حادثاً عن أعداد! ويجعلون كل واحد خالقاً مع الله، وكل إنسان يخلق فعله، وهذه بدعة شنيعة!

٣ـ بدعة المعتزلة:

حدثت بدعة الاعتزال في أول عهد التابعين، وهي بدعة إخراج المسلم

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

العاصي من الإسلام، وعدم إدخاله في الكفر، وهي من عقائد المعتزلة، وتسمىٰ المنزلة بين المنزلتين، حيث يدّعون بأن العاصي ليس بمؤمن، ولا بكافر، فلا يُعامل معاملة المسلم من المحبة والموالاة ونحوها، ولو كانت معصيته وذنبه صغيراً، ولا يُعامل معاملة الكافر، فلا يقاتل، ولا يخرج من الإسلام، بل يكون في منزلة بينهما. هذا ما قالته فيه في الدنيا.

أما في الآخرة فإنهم يوافقون الخوارج، فيجعلون العصاة الذين ماتوا علىٰ المعاصي، وكبائر الذنوب مستحقين الخلود في النار!

٤ ـ بدعة الرافضة:

ظهرت بدعة الرافضة في أواخر عهد الصحابة، وتسمىٰ بدعة الرافضة، وذلك أنه لما استُخلف عليّ ـ رضي الله عنه ـ كان هناك من يحبونه في العراق لحسن سيرته وأخلاقه، ولمعاملته فيما بينهم، يؤثرونه ويوالونه، فلما انتهت خلافته، وتمت الخلافة لبني أمية، وكانوا يدّعون أن علياً قد شارك في قتل عثمان؛ صار بنو أمية يسبُّون علياً، ويلعنونه علىٰ المنابر وفي الأماكن والمجتمعات، فصار أتباع علي ـ رضي الله عنهم ـ الذين يحبونه لا يقدرون علىٰ إعلان مذهبهم، فصاروا يجتمعون فيما بينهم، ويتذكرون فضائله، وفضائل ذريته وآل بيته.

ثم حدث أن بعضهم غالىٰ في ذلك؛ فيكذب أكاذيب في حق عليّ ـ رضي الله عنه ـ ويزعم أنه أحق، وأنه أولىٰ.

ودخل عليهم الشيطان، وقال لهم إن الناس لا يحبونه مثلكم إلا إذا كذبتم أكاذيب؛ فاستحلوا الكذب، وبالغوا في أكاذيب عن فضله ـ رضي الله عنه ـ فقالوا هذه هي فضائله، إذاً فهو مظلوم، وهو أحق من أبي بكر، وأحق من عمر،

وأحق من سائر الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين .

إذاً فأبو بكر وعمر قد ظلماه، وبخساه حقه، فلماذا لا نعاديهما؟

فحدث في المتأخرين من هذه الطائفة عداوة لأبي بكر، ولعمر، ثم لسائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إلا علياً وذريته .

ولما كان في عهد زيد بن علي خرج في سنة ١٢٨ من الهجرة، ودعا إلىٰ نفسه بالبيعة، فجاءوا إليه وقالوا: نبايعك علىٰ أن تتبرأ من أبي بكر وعمر .

فقال: هما صاحبا جدّي، لا أتبرأ منهما .

قالوا: إذاً نرفضك، فسمّوا بالرافضة .

واستمرت هذه العقيدة السيئة، التي هي عقيدة الرافضة، وسموا أنفسهم شيعة علي، يعني أحبابه، ولم يزالوا علىٰ هذه العقيدة السيئة إلىٰ يومنا هذا، يوردون الأكاذيب في سب أبي بكر وعمر وسائر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ويوردون الأكاذيب في فضل عليّ ـ رضي الله عنه .

ولا شك أن هذه من البدع الشنيعة، فقد هجرت تلك الطائفة السنّة النبوية التي رواها الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فتركوا مرويات أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعائشة، وأبي هريرة، وجابر، وبقية الصحابة، واتهموهم بأنهم كفرة ومرتدون، فلم يقبلوا شيئاً منهم .

كذلك اتهموا الصحابة لما جمعوا المصحف بأن عثمان خالف القرآن، وأخفىٰ كثيراً منه، فكان ذلك سبباً لأن يطعنوا في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ، مما أدىٰ إلىٰ حكم العلماء عليهم بالكفر وخروجهم من الإسلام .

ولا شك أن هذه بدعة محبوبة إلىٰ الشيطان؛ لما فيها من الخروج علىٰ

الصحابة وتضليلهم، وتضليل أئمة المسلمين وعامتهم.

٥ ـ بدعة التعطيل:

حدثت تلك البدعة في القرن الثاني ونحوه، وهي تتعلق بالعقائد، نشرتها طوائف من الذين دخلوا في الإسلام ليحيروا الأمة ويشككوها، ويوقعوا الناس في الأوهام. وتهدف هذه الطائفة إلىٰ إنكار صفات الألوهية، وهي تعطيل الله عن صفات الكمال.

وذكر العلماء أن أصل بدعة التعطيل إنما أخذت عن لبيد بن الأعصم الساحر اليهودي الذي سحر النبي ﷺ، ونقلها عنه طالوت ابن أخته، وهو أيضاً يهودي، ونقلها عن طالوت تلميذ له يدعىٰ الجعد بن درهم، وهو الذي ضحىٰ به خالد القسري، وذكر ذلك ابن القيم في نونيته:

ولأجل ذا ضحى بالجعد خالد الـ
قسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله
كلا ولا موسى الكليم الداني

ثم تلقاها عن الجعد تلميذ له يُدعىٰ الجهم بن صفوان، وهو الذي نشرها، ونسب إليه إنكار صفات الله، فأنكر أن يكون الله تعالىٰ متكلماً ويتكلم، وأنه فوق العرش، وأنه فوق عباده، وأنه يسمع ويبصر، ويعلم، وأنكر أنه يحب ويغضب!! أنكر ذلك كله، وكذا وصف الله تعالىٰ وتقدس بالنقائص والعيوب، فإنه إذا نفىٰ صفة الكمال ثبت أضدادها التي هي صفات نقص.

وقد انتشرت هذه البدعة وتمكنت في آخر القرن الثاني وأول القرن الثالث،

ولا تزال منتشرة متمكنة إلىٰ اليوم، ويسمىٰ أتباعها المعتزلة الذين ينكرون هذه الصفات كلها.

٦ ـ بدعة الأشعرية:

ثم ظهرت طائفة أخرىٰ، وسمّوا أنفسهم بالأشعرية، وقد أنكروا بعض الصفات، وأقروا ببعضها، واعتمدوا في إقرارهم علىٰ ما يثبت لهم بالعقل، ولا شك أن ذلك كله من البدع والمحدثات في الدين.

٧ ـ بدعة الجبر:

أما الجبريون فقد اعتقدوا أن العبد ليس له اختيار، وأنه مجبور علىٰ معاصيه، وأن الله إذا عاقب العاصي فإنه ظالم، حيث إن الله تعالىٰ هو الذي قسرهم وجبرهم، وأوقعهم في الكفر، وأوقعهم في المعاصي، وألزمهم بها، فإذا عذّبهم علىٰ ذلك فقد عذبهم بغير ذنب، وبغير جرم يستحقونه! ويزعمون أن العبد مجبور ومقهور ومقسور علىٰ فعل الذنب، وليس له اختيار، ويمثلونه بالشجرة التي تحركها الرياح، ليس لها أي اختيار، ويقولون إنه مدفوع، دفعه الله إلىٰ الكفر وإلىٰ المعصية دفعاً، وهو لا يقدر علىٰ الامتناع عن ذلك، وينشد قائلهم:

ألقاه في البحر مكتوفاً وقال له
إياك إياك أن تبتل بالماء

فيقولون: إن هذا مثل تعذيب الله للعبد، يلقىٰ في البحر مكتوفاً، ويقال له: لا تبتل بالماء! وهذا شيء مستحيل.

وهذه الطائفة اتهمت الله سبحانه وتعالىٰ بالظلم، ونزّهت أنفسها، وجعلتها

عذراً لاقتراف المعصية، وأنهم معذرون بهذه الذنوب، لأنهم مجبورون ليس لهم اختيار! فأنكروا بذلك حكمة الله، وأنكروا شريعته! وهذه بدعة شنيعة.

٨ ـ بدعة المرجئة والوعيدية:

وبدعة الإرجاء هي تغليب جانب الرجاء، وقد ذهب أصحاب هذه البدعة إلى أن الإنسان لا تضره المعاصي، وأن عليه أن يرجو رحمة الله، ولو أكثر من الذنوب، ويقولون إن المعاصي تنمحي إذا كان الإنسان موحداً لأنها لا تضر الموحد.

ويقولون إنه لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك عمل! وهذه الطائفة المبتدعة قد فتحت الأبواب على مصراعيها للعصاة، وقالت لهم افعلوا ما تشاءون، وما تقدرون عليه من الذنوب.

وتسمى هذه الطائفة: المرجئة.

أما طائفة الوعيدية فهي مع طائفة المرجئة على طرفي نقيض حيث إنهم يكفرون بالذنب، ويخلدون في النار.

٩ ـ بدعة الغلو في الصالحين والتعلق بهم:

وهناك أيضاً بدعة قد تكون موقعة في الكفر، ومخرجة من الإسلام. ولهذه البدعة مقدمات ترجع إلى القرون الوسطى أو المتأخرة، فقد غلب الشيطان على كثير من الجهلة، فزين لهم بدعة التعلق بالقبور؛ فأمرهم برفع القبور؛ وتشييدها، وبالبناء عليها خلافاً لما جاء في السنة وذلك بدعة، ثم زين لهم الشيطان أيضاً الصلاة عندها، بل الذبح لها، والنذر لها، والاعتكاف والإقامة عندها، والاعتماد على أهلها، والاعتقاد بأن صاحب القبر ولي من الأولياء، وأنه ينفع ويدفع ويشفع.

فتراه دائماً يدعو الأموات من دون الله، فيقول مثلاً: ياحسين! يا علي!! يا عيدروس!! ياعبد القادر! يازين العابدين! أو يافلان! أو ياعلان! أنقذني، وخذ بيدي!!

وقد أدىٰ بهم تعظيمهم هذا للقبور وبعض المشاهد ونحوها إلىٰ أن يقعوا في الشرك، واعتقدوا أنه أمر سائغ لا حرج فيه ولا إثم! فكان ذلك من البدع المنكرة التي أوقعت الناس في الخروج من الملة، واعتقدوا أنهم علىٰ صواب.

ومنهم من له شبهات يتعلقون بها فيسمون ذلك توسلاً، أو تبركاً، أو شفاعة، أو تقرباً؛ فشابهوا المشركين الأولين الذين قال الله عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، وقال فيهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]. فشابهوا المشركين الأولين في العمل، وإن لم يشابهوهم في القول، وهذه بدعة تمكنت في كثير من البلاد.

١٠ ـ بدعة التصوف:

وهذه البدعة تتعلق أيضاً بالعقائد، وكان مبدؤها أن طائفة غلب عليهم الزهد والتقشف والتقلل من زينة الدنيا ومن شهواتها، فلما زهدوا في الدنيا وأعرضوا عن الشهوات، ولبسوا الثياب الخشنة ـ وكانت في ذلك الوقت من الصوف الذي ينسج من صوف الضأن ـ فسماهم السلف صوفية، لأنهم يلبسون هذه الثياب.

ومن بدعهم أنهم يستعملون الطرب الذي هو شيء من الرقص! وتراهم يترنمون بنغمات هي كالغناء؛ فإذا سمعوها، تواجدوا وأظهروا الخشوع، أكثر من خشوعهم إذا سمعوا كلام الله تعالىٰ! فعابهم السلف بهذا السماع، وجعلوه سماعاً شيطانياً، وقد غلوا فيه، كما يقول بعض العلماء في حقهم:

وإذا تلا القارئ عليهم سورة
فأطالها عدُّوه في الأثقال

فثقل الكتاب عليهم، بينما أضحىٰ ذلك الغناء وهذا السماع عظيم الجاه عندهم، بل قالوا فيه كل محال، قالوا: هو سنة، وقالوا: هو قربة، وقالوا: هو طاعة! وفي الحقيقة إنما هو طاعة للشيطان، وقربة لإبليس.

ثم إن الأمر قد زاد بهم إلىٰ ما هو شر من ذلك وأدهىٰ وأمَرّ، وهو أن طوائف منهم غلب عليهم هذا الوجد الذي يسمونه تواجداً، فصار أحدهم يعتقد أنه يتصل بربه، وأنه يستغني عن الشرع، وأنه يأخذ عن الملأ الأعلىٰ، وأنهم لا حاجة بهم إلىٰ الرسل.

يقول أحدهم: نحن نأخذ عن الملأ الأعلىٰ، ونأخذ عن الله بلا واسطة.

وهذه الطائفة بدعتهم شنيعة، يقول فيهم الشاعر:

إن قلت قال الله قال رسوله

همزوك همز المنكر المتغالي

يعني أنه إذا استدللت بآية أو بحديث، لم يقبلوا ذلك، ولكنهم يرجعون إلىٰ مواجيدهم وأذواقهم، فيقولون: قلبي قال لي عن سره، عن سر سري، عن صفاء أحوالي، عن فكرتي، عن خلوتي، عن حاضرتي، عن شاهدي، عن واردي، عن حالي!!.

وقد حدث عند بعضهم بدع شنيعة، منها أنهم يستصحبون الأحداث الذين هم صغائر السن، ويقعون معهم في فعل المنكر، وفعل الفاحشة أو مقدماتها ثم بعد ذلك يدّعون التدين والالتزام وهذه أفعالهم وأخلاقهم!!

وهكذا أحوال هذه الطائفة الذين يسمَّون بالصوفية. ومن أراد الزيادة والتفصيل فليرجع إلىٰ الكتب المؤلفة في ذلك.

١١ ـ بدعة الاتحادية (الحلولية):

والاتحادية أو الحلولية طائفة متأخرة اعتقدوا عقيدة سيئة وبدعة شنيعة ألا وهي: أن الوجود واحد، وأن الخالق هو عين المخلوق، وأن لا فرق بين الله وبين الخلق!

وتدَّعي هذه الطائفة أن الخالق حال في كل المخلوقات، ومن أجل ذلك يعبدون كل شيء، حتىٰ يقول بعض العلماء فيهم:

معبودُه كلُّ شيء في الوجود بدا
الكلب والقرد والخنزير والأسد

يعني أنهم يعبدون كل شيء، ويدّعون أنهم من الله، أو من الإله! تعالىٰ الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهذه الطائفة لم تزل موجودة حتىٰ الآن في بعض المناطق، مع أنهم يدّعون أنهم مسلمون، وأنهم هم الذين نصرو الإسلام، وأنهم هم الذين تغلبوا علىٰ المشركين، وعلىٰ الكفار، والنصارىٰ، والمجوس.

وإن كان ذنبهم قد يكون أكبر من ذنب اليهود، ومن ذنب النصارىٰ، ومن ذنب المشركين، ذلك أنه تشهد العقول الزكية بشناعته وبشاعته، ولكن حِيل بينهم وبين عقولهم، وانقلبت أفكارهم ـ والعياذ بالله ـ فلا يُعتدُّ بأقوالهم، ولا بمشاهيرهم، ولا بمن مدح علماءهم كابن عربي الاتحادي، وابن سبعين، وابن الفارض، وأشباههم من الاتحاديين الذين ظهروا في القرون المتوسطة، وأبدوا شيئاً من عقيدتهم، وغيرهم من متقدميهم ومتأخريهم.

■ ■ ■ ■ ■



البدع في مجال الأعمال

البدعة في الأعمال هي كل قربة وطاعة لم يتعبد بها الصحابة، يقول حذيفة - رضي الله عنه - : «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ، فلا تتعبدها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً»(١)، ويقول - رضي الله عنه - : «من كان مستناً فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب رسول الله ﷺ أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ولحمل دينه، فاعرفوا لهم حقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(٢).

ويقول عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - : «سن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده سنناً؛ الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها، من عمل بها مهتدٍ، ومن انتصر بها منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيراً»(٣).

ولقد أضيف إلى الشريعة من البدع والمنكرات الكثير، وأُدخلت فيها، فاعتقد البعض أنها من السنن - وليست كذلك -، ورُبِّي عليها الصغير، وهرم عليها الكبير! نسأل الله العافية.

---

(١) ذكره في أصول الإيمان من مجموعة الحديث صفحة: ٢٣٣ وعزاه لأبي داود.

(٢) ذكره في أصول الإيمان من مجموعة الحديث صفحة: ٢٣٣ وعزاه لرزين، وذكره ابن الأثير في جامع الأصول (١/ ٢٩٢) ورواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧).

(٣) ذكره الشاطبي في الاعتصام (١/ ٨٧) وذكر أنه عني به وبحفظه الإمام مالك والعلماء.

فإذا عرفنا أن البدعة هي كل ما يتعلق بالعبادات الزائدة عن الشريعة، فلنحذرها، ولنكتفِ بما جاء عن الله تعالىٰ، وعلىٰ لسان رسوله ﷺ.

بعض أنواع البدع في مجال الأعمال :

ولنضرب أمثلة لبعض البدع في مجال الأعمال حتىٰ يحذرها المسلم العاقل، نذكرها علىٰ سبيل الاختصار بدون تفصيل، فمن ذلك :

١ - بدعة تقديم الخطبة في صلاة العيدين :

حدث في عهد بني أمية أن انصرف بعض الناس عن خطبة العيد فلا يحضرونها، فقدموا الخطبة علىٰ الصلاة حتىٰ تحبسهم الخطبة انتظاراً للصلاة .

فأنكر عليهم السلف ذلك، وقالوا: إن سنة الرسول ﷺ أن تقدم صلاة العيد، وصلاة الاستسقاء علىٰ الخطبة[١] فكانت هذه سنة، وتركها بدعة، وهي وإن كان فيها مصلحة ولكن اتباع السنة، واتباع طريقة النبي ﷺ أولىٰ وأسلم بالمسلم .

٢ - بدعة استلام أركان البيت كلها في الطواف :

رأىٰ ابن عباس - رضي الله عنهما - بعض أهل الشام يستلمون من البيت أركانه كلها؛ ركنان يمانيان في جهة اليمين، وركنان شاميان. فرأىٰ معاوية وهو يستلم الأركان الشامية، كما يستلم الأركان اليمانية! فأنكر عليه ابن عباس. فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجوراً، فقال ابن عباس - رضي الله عنهما - : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١][٢] . يعني أنك مبتدع؛

---

(١) كما رواه مسلم برقم (٤٩)، (٨٨٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي في التحفة (٣/ ٥٩٤) برقم (٨٦٠) وصححه ورواه الشافعي في المسند (١٤٤) وأحمد في المسند (١/ ٢١٧، ٢٤٦) وعبدالرزاق برقم (٨٩٤٤) وغيرهم .



يقصد أنه لو كان ذلك من السنة لفعله ﷺ. فعدّ ابن عباس هذا العمل من البدعة، ولذلك أنكرها.

٣ ـ بدعة إحياء ليلة المولد النبوي:

رأىٰ بعض المتأخرين في القرن الرابع أو نحوه أن الناس ينشغلون في بعض الليالي ببعض الملاهي ونحو ذلك، فابتدعوا إحياء ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول التي سمّوها: «ليلة المولد» فإذا جاءت تلك الليلة اجتمعوا وصاروا يقرؤون السيرة النبوية ويصلون علىٰ النبي ﷺ!

وأنكر عليهم العلماء ذلك، وقالوا: هذه بدعة شنيعة لم يفعلها ﷺ، ولا الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ولو كانت سنة لأمَرَنَا بها النبي ﷺ.

وأصحاب هذه البدعة يقولون: أنتم تنكرون محبة الرسول ﷺ! مع أن ما يفعلونه من إحياء لهذه الليلة الواحدة في السنة لا يدل علىٰ محبتهم له ﷺ!

وكذلك، فإنه تحدث بدع في كثير من العبادات، نذكر بعضها على وجه التنبيه بدون التعليق عليها لكثرتها:

٤ ـ بدعة الصعود على جبل الرحمة في الحج، والصعود إلى غار حراء أو غار ثور:

فهو تجشم للمشقة لم يكن له أصل، ولم يفعله النبي ﷺ بعد الهجرة، ولو كان خيراً لفعل ذلك.

٥ ـ بدعة إحياء ليلة الإسراء:

ويزعمون أنها في شهر رجب، ويختصونها بالتعظيم، ويقولون إنها ليلة الخامس والعشرين من رجب.

٦ ـ بدعة صلاة الرغائب:

بعض الناس يحيون أول ليلة جمعة من شهر رجب، بصلاة يسمونها: «صلاة الرغائب» وحدث ذلك في القرن الرابع وما بعده، وهي مستمرة إلىٰ الآن! ويزعمون أن الذي أحدثها رجل حسن الصوت، صلىٰ بهم هذه الليلة، ثم صلىٰ في السنة الثانية، وزاد عدد الذين معه، ولم يزل هكذا حتىٰ توارثوها وتكاثر الذين يعملونها، وأصبحت في زعمهم سنة حسنة.

٧ ـ بدعة تأخير الإمساك في الصيام أو تقديم وقت السحور:

فهو خلاف السنة، لأن السنة هي تعجيل الفطر وتأخير السحور، وبين ﷺ أن تعجيل الفطر وتأخير السحور من أسباب بقاء الأمة علىٰ خير.

٨ ـ بدعة العتيرة:

وهذه البدعة ليس لها أصل من الشريعة، وكانت معتادة في الجاهلية وهي: ذبيحة شهر رجب، وقد نهىٰ الرسول ﷺ عن تلك البدعة فقال: «لا فرع ولا عتيرة»[1]. وهناك من يعمل بهذه البدعة ـ وإن كان تحت مسمىٰ آخر ـ وهي في الحقيقة ليست قربة ولا طاعة.

٩ ـ بدع التعزية:

وهناك بدع في التعزية، وهي كثيرة جداً، ومنها إذا مات أحدهم فإن أهله يجتمعون، ويقرؤون القرآن، ويهدون ثوابه إلىٰ ذلك الميت!

وهذا لم يفعله الصحابة ولا السلف، والذي عليه الجمهور أن الميت يُدعىٰ له ويترحم عليه، ومن أراد أن يعمل عملاً صالحاً ويهديه إليه فلا بأس. بخلاف ما

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٧٣) ومسلم (١٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يفعله هؤلاء من قراءتهم القرآن بصوت واحد، أو استئجار من يقرأ القرآن، ثم يهدون ثوابه لذلك الميت.

وكذلك من البدع في التعزية أيضاً لبس أهل الميت لباساً خاصاً حتىٰ يعرف فيعزىٰ! وليس لهذا أصل، بل الأصل أن المصاب عليه أن يتسلىٰ ويصبر، ولا يفعل هذه الأفعال الخاطئة ونحوها.

ومن الناس كذلك إذا مات أحد أقربائهم فإنهم يذبحون ذبائح لكل من زارهم، وربما كان ذلك المال مشتركاً بينهم وبين اليتامىٰ.

فذبح الذبائح لهذا الغرض، والإسراف فيها، والاستمرار في ذلك، لاشك أن فيه شيئاً من الجزع الذي ينافي الصبر الذي أمر به، وهذا مما ينكره العقل.

١٠ ـ بدع النكاح:

أما فيما يتعلق بالنكاح فإن البعض يفعل معاصي قد لا تسمىٰ بدعاً، ولكنها تسمىٰ معصية، ويزعمون أن الشرع أباحها، مثل: الاختلاط، والرقص، وسماع المطربات والمطربين في أغانيهم الماجنة، وما أشبه ذلك. ويزعمون أن ذلك تسلية وأنه ليس بطاعة، ولا يسمونه ذنباً ولا معصية! والحق أنه من الذنوب التي قد توجب سخط الله علىٰ عباده.

■ ■ ■ ■ ■

وختاماً :

فقد ذكر العلماء - رحمهم الله - بدعاً كثيراً من جنس هؤلاء ، ولا يمكن حصرها بجلسة واحدة أو محاضرة واحدة ، ومن أراد الاستزادة فعليه بالكتب المؤلفة في هذا المجال . فقد ذكروا كثيراً من البدع وفصّلوا فيها وبينوا أدلتها .

فذكروا مثلاً : طلاق البدعة ، وهل يقع أو لا يقع؟ وذكروا البيوع وأنها قد تكون بيوعاً لا أصل لها ، وإنما هي مبتدعة ، ومعاملات مبتدعة ، وأشباه ذلك كثير .

■ ■ ■ ■ ■

ما أطلق عليه بدعة وهو ليس ببدعة

قد تسمع عن أشياء كثيرة أنها بدعة وهي ليست بدعة؛ فإن هناك من يتسرعون في أي مسألة فيها خلاف ويحكمون عليها بأنها بدعة! وقد يجعلون كل ما لايجدون له دليلاً من الشرع أو نصاً واضحاً بدعة وإن كان قد عمل به الصحابة، أو عمل به المسلمون - وهذا خطأ -.

وفيما يلي نورد بعض الأمثلة على ذلك:

١ - صلاة التراويح:

يعتقد كثير من الناس أن صلاة التراويح بدعة! وذلك أن عمر - رضي الله عنه - قال: «نعمت البدعة هذه»[١]. وهذا خطأ. فالتراويح صليت في زمن الرسول ﷺ، حيث صلاها جماعة عدة ليال، ولكنه خاف أن تفرض عليهم، فترك الجماعة وأمرهم بأن يصلوا دون جماعة، فكان كل واحد، أو كل اثنين، أو كل عشرة يصلون بأنفسهم، فرأى عمر أن يجمعهم بإمام واحد، وسمي هذا الجمع بدعة لغوية، لا على أنه بدعة شرعية.

فكيف تحكم على أن هذه بدعة فتكون قد ضلّلت الصحابة، وأنكرت السنة التي فعلها النبي ﷺ، وأنكرت طاعة من الطاعات اتفقت عليها كلمة المسلمين من عهد الصحابة - رضي الله عنهم - إلى عهدنا بدون إنكار؟

(١) كما رواه البخاري، انظر الفتح (٤/ ٢١٨) ورواه مالك في الموطأ (١/ ١١٤) عن عبدالرحمن القاري.

٢ ـ محراب المسجد:

هناك من يعد اتخاذ المحاريب في المساجد بدعة لا أصل لها! وهم بذلك ينكرون ما جاء في السنة، وفي القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩].

ولا شك أن المحراب هو مقدم المسجد، وأن المساجد لا تعرف ولا تميز بكونها مساجد إلا بهذه المحاريب التي تكون علامة لها، **فكيف تكون بدعة؟!**

ثم إنها من البنايات التي توارثها المسلمون المتقدمون والمتأخرون من عهد النبي ﷺ إلىٰ عهدنا بدون إنكار.

٣ ـ علو المنابر:

كذلك فإن البعض ينكر علو المنابر، وأنه ﷺ اتخذ منبراً له ثلاث درجات! فأما اتخاذ النبي ﷺ المنبر ثلاث درجات فقد ناسب وقته، ثم اتخذ الصحابة منابر أرفع من ذلك، ولم ينكر عليهم ذلك أحد، وجعلوه من قبيل المباحات التي تستعمل علىٰ قدر الحاجة.

ولما كثر المصلون، وحيث لم يكن هناك مكبر، احتيج إلىٰ أن يرتفع الإمام حتىٰ يبلغ صوته البعيد منهم، ولم يجعلوا ذلك من البدع أو المنكرات.

٤ ـ اجتهاد الصحابة:

هناك من يجعل المسائل الخلافية من البدع! وهذا خطأ؛ فإن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ اختلفوا في بعض المسائل ولم يُبَدِّع بعضهم بعضاً، فاختلفوا في مسائل كثيرة، وكان اختلافهم سببه الاجتهاد، فكانوا يجتهدون حينما لا يجدون شيئاً من النصوص الدالة علىٰ الحكم في المسألة، أما إذا بلغهم نصٌ رجعوا إليه.

فوقع منهم اجتهادات واختلافات، سواء في الفرائض والمواريث مثل: الأخوة هل يرثون مع الجد أم لا؟ كما اختلفوا في الطهارة مما هو ملزم بغسله، وما ليس بملزم، واختلفوا في شيء من الأوقات والعبادات، وما أشبه ذلك من خلافات.

ولا شك أن ذلك من باب التوسعة على الأمة، حيث إنه يكون مجالاً للاجتهاد، وأن من سلك سنة بعض الصحابة أُعتُبِر له سلف وله قدوة، فلا يبدع ولا يضلل، ما دام أن هناك من كان قبله قد قال هذه المقالة، ولو كان هناك قول آخر أقرب إلى الصواب.

فكل منهم مجتهد، والاجتهاد بابه مفتوح، لقول النبي ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[1]. فهذه من أنواع اجتهاداتهم.

٥ ـ اجتهاد الأئمة الأربعة:

كذلك الأئمة الأربعة: الإمام مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وابن حنبل، هؤلاء أيضاً وقع بينهم شيء من الاختلافات فلا يقال إن هذا بدعة وأن هذا مبتدع حيث خالف هذا، لأن هذا خلاف يتعلق بالفروع لا بالعقائد، واختلافاتهم هذه من الاختلافات الفرعية، ويمكن أن يقال: هذا ما أدى إليه اجتهاده.

فإذا صليت وراء إمام يتبع الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ يجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية فلا تخطئه، لأن له قدوة وهو الإمام الشافعي، وإن كان الصواب مع الذين يسرون بها، ولكن هذا قول من الأقوال.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢) ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وإذا صليت مثلاً وراء من يجلس جلسة الاستراحة، فلا تقل: هذه بدعة؛ لأنه قد روي فيها حديث، وإن أنكرها كثير من العلماء، ولا تقل: هذا زاد في الصلاة أو نقص منها، أو ما أشبه ذلك، بل قل: هذا مجتهد وله حظ من الاجتهاد، وله دليل تمسك به، وأن هذا الدليل محتمل عند كثير من العلماء الآخرين.

وهكذا في بقية المسائل الاجتهادية التي تحدث في كثير من العبادات إنما هي مجالها واسع في الاجتهاد. فهذه المسائل فرعية خلافية؛ والخلافات فيها لا تؤدي إلى تضليل أحد من الطائفتين، فكل منهم مجتهد ولكل مجتهد نصيب، وإن لم يكن كل مجتهد مصيباً.

٦ ـ استخدام مكبر الصوت في الصلاة:

هناك من أدخل في البدع ما ليس منها، وذلك أن البدع في الأصل هي ما يتعلق بالعبادات، لا ما يتعلق بالعادات، فالعادات بابها واسع وفسيح، وليس للعادات مدخل في هذا، ولكن انخدع الناس فأنكروا ما تجدد من الأشياء، وجعلوها في حكم البدع!

كان كثير من العامة وبعض المتشددين لا يصلون في المساجد التي بها مكبر، ويقولون إن هذه بدعة، لأنه لم يكن في عهد النبي ﷺ مكبر، فكيف نصلي بهذا الشيء؟!

وهذا خطأ؛ لأن المكبر من الأجهزة التي سخرها الله ويسرها، وفيه مصلحة عظيمة، فإنه يكبر الصوت حتى يرفعه، ويدفعه إلى الأماكن البعيدة.

وقد توهموا أن هذا يتعلق بالعبادات، ولكن ليس ذلك حقيقياً؛ لأن المصلي لا يدخل فيه، وإنما يكبر التكبير العادي، وهذا الجهاز يكبر الصوت ويوصله إلى



الأماكن البعيدة.

٧ ـ استخدام الأجهزة الحديثة:

وكذلك فقد اعتقد الكثير أن استخدام الأجهزة الحديثة يعتبر بدعة! حتى رفع بعض المتقدمين أو المتوسطين إلى العلماء مقالاً شنّع به عليهم فقال: إنكم تبدّعون من يفعل أشياء تُفعل عند القبور، كرفع القبور وتشييدها. ثم قال: وأنتم أيها العلماء لديكم البدع!! فلماذا لا تنكرون بدعكم، وذكر بعضها فقال: مثل الحرب بالبارود، وشرب القهوة؛ أليست السنة أن الحرب بالسيف والرمح والسهم ونحو ذلك..؟!

وهؤلاء لا يدركون المفهوم الصحيح للبدعة. فنقول: البدع تكون في القربات التي يتقرب بها العباد إلى الله تعالى، فأما العادات فهي موسعة. فإذا قالوا مثلاً: إن بناء المساجد على هذه الهيئة بدعة!! نقول: بنى الناس بيوتهم بعد أن منّ الله عليهم بواسع كرمه بناءً رفيعاً قوياً، وزخرفوها، وبيوت الله أولى بالعناية حتى تظهر بمظهر لائق مناسب.

ولقد أمر الله بأن ترفع المساجد: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]. فلا يقال إن بناءها على ذلك بدعة، بل إنه من المباحات، وأن النهي في الأحاديث التي نهت عن زخرفة المساجد، إنما كان ذلك في الزمن الذي لا يكون فيه زخرفة للبيوت، ونحو ذلك فتكون تلك الزخرفة فاتنة ولافتة للأنظار.

كذلك أيضاً لا يقال في استخدام الآلات والأجهزة الحديثة إنها من البدع كالمكيفات، والمراوح، والسيارات، والطائرات، بل هي من العادات.

٨ ـ الملبوسات والمأكولات:

وأيضاً فإن الألبسة من المباحات، فما كان الصحابة يلبسون العمامة كما نلبسها اليوم، وكذلك ما كانوا يلبسون هذا اللباس العادي، الذي هو القميص والعباءة غالباً، فقد كان لباسهم غالباً يشبه لباس المحرم؛ إزار ورداء، ولكن الأمر فيه سعة، فلا يدخل اللباس في البدع وهو من جملة الأمور المباحة.

وكذلك في المأكولات، فما كانوا ـ أي الصحابة ـ يتوسعون في المأكولات من أطعمة وأشربة وما أشبه ذلك، وما كانوا يتوسعون في أكل اللحوم كما نتوسع الآن، وهذا التوسع مذموم شرعاً لما فيه من إسراف وإفساد، ولكنه لا يُجعَل من البدع، فليس هو من الأصول ولكن من العادات.

فنعرف من ذلك أن العادات أصلها باق على الإباحة، وليس فيها نهي، إلا إذا اقترن فيها مفسدة كإسراف مثلاً أو إفساد وحرمان من خير، أو شغل عن طاعة، أو جَرَّ إلىٰ ذنب، فإنها في هذه الحالة تكون منهياً عنها.

■ ■ ■ ■ ■



الخاتمة

وهكذا نخلُصُ إلىٰ أن الذين نصروا بعض البدع قد أخطأوا، حيث قسموا البدع إلىٰ أقسام، وجعلوا البدع تتعلق بها الأحكام الخمسة، وقالوا: إن من البدع ما هو واجب، وما هو مستحب، وما هو مكروه، وما هو مباح، وما هو محرم!.

وجعلوا أشياء فعلها الصحابة بدعة! فالصحابة مثلاً جمعوا القرآن والرسول ﷺ لم يجمعه، فهذه بدعة حسنة!

نقول: ليس كذلك، بل الرسول ﷺ كان يأمر بكتابته، فلما لم يتكامل نزوله لم يكتبوه، فجمع في عهد أبي بكر -أول الخلفاء- لأن القرآن قد اكتمل، وخاف أن يضيع شيء منه فجمعه فلا يعتبر طبع المصاحف ولا كتابتها، ولا تجليدها بدعة، وإنما ذلك من العادات المطلوبة.

فإذا عرفنا مسمىٰ البدعة، وهو ما يتعلق بالعبادات نتوقف عنده، ونجعل بقية الأمور علىٰ الإباحة.

فالبدع كما ذكرنا: منها: ما يتعلق بالعقائد، وهي بدع مخرجة من الملة أو تقرب من ذلك. ومنها: ما يتعلق بالعبادات التي هي الأعمال - قد ذكرنا منها أمثلة -. ومنها: ما يكون ليس ببدعة - وإن اعتقد الناس أنه بدعة كالأمور الخلافية بين السلف والخلف -. ومنها: ما هو علىٰ الإباحة كالأمور الجديدة أو المتجددة في كل عصر كالمخترعات والصناعات؛ وهذا باق علىٰ أصل الإباحة، لأن الله تعالىٰ

أمرنا أن نعمر الأرض في قوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. فلنتمتع بما متعنا الله به.

فالمسلم يعرف كيف يقطع حجة مَن يخاصمه في مسألة البدع، التي زينها لهم الشيطان، وأقرهم علىٰ ما هم عليه من البدع، وكذلك يعرف كيف يقنع من يتشدد في بعض البدع.

والخلاصة أن الناس انقسموا اتجاه البدعة إلى ثلاثة أقسام:

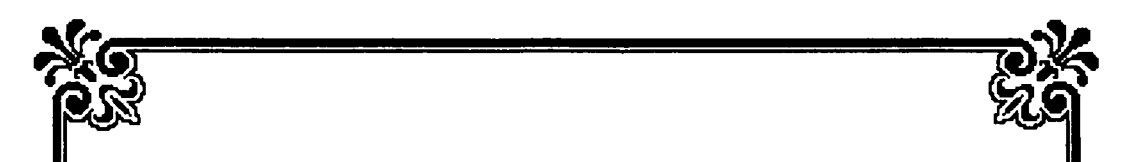
* **قسم تشدد** فجعلوا ما ليس ببدعة بدعة كالصناعات الحديثة، والمسائل الخلافية! وهؤلاء مخطئون.

* **قسم ثانٍ** توسعوا في البدع وجعلوها مباحة، وجعلوا من البدع ما هو واجب، وما هو مستحب، وما هو مباح! وهؤلاء أيضاً مخطئون.

* **أما القسم الثالث فهم الذين وفقهم الله إلىٰ الصواب** فجعلوا الأمور المباحة هي التي تتعلق بالأمور الدنيوية ونحوها فهي باقية علىٰ الإباحة، وأما الأمور المبتدعة فهي التي تتعلق بالعبادات، أو تتعلق بالعقائد.

وفقنا الله لما فيه الخير والفلاح، وصلىٰ الله علىٰ محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

■ ■ ■ ■ ■



الرسالة الثالثة:

فضل العلم ووجوب التعلم




تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله الذي رفع لأهل العلم المنار، ووفقهم لطلبه للإستفادة والاستبصار، وحفظ علم الشريعة عن النقائص والأغيار، أحمده سبحانه على نعمه الغزار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه البررة الأطهار.

أما بعد:

فقد كنت ألقيت محاضرة في طلب العلم وفضله وحكمه وطرق تحصيله، وبعض الوصايا والنصائح للشباب الحريص على الاستفادة، وقد سجلت المحاضرة وفرغها بعض الأخوان، وأصلحنا منها الخطأ الذي أوقع الارتجال وعدم التركيز والتحضير، وأرخصنا له في نشرها رجاء أن ينفع الله بها، على ما بها من نقص وقصور وضعف في التركيب.

وقد كتب في الموضوع علماء الإسلام قديماً وحديثاً، وتوسعوا في فضل العلم وفوائده، وأدلة ذلك في حكم تعلمه وتعليمه، وفي ماهيته وما يراد به، وفي آداب الطلب وصفات العالم والمتعلم، ونحو ذلك مما له صلة بهذا الفن: ككتاب: (جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله) لابن عبدالبر، وكتاب (تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) لابن جمّاعة، وغير ذلك كثير.

وقد ظهرت في هذه الأزمنة علوم جديدة أكب عليها الكثير من الطلاب، واهتموا بها وشغلتهم عن تعلم العلم الصحيح، الذي هو ميراث الأنبياء، ومع ذلك فلا يزال والحمد لله هناك الكثير من طلبة العلم، من أهل الصلاح والاستقامة وحب الخير، يرغبون في التزود من العلم النافع ويدعون إليه، ولكنهم بحاجة إلى توجيه وإرشاد وإلى علماء مخلصين يرشدونهم إلى الكيفية والطريقة القريبة، التي متى سلكوها تأهبوا لحمل العلم واستناروا بنور الهدى، وأصبحوا من أعلام الهدى ومصابيح الدجى.

نسأل الله أن يصلح شباب المسلمين، وأن يثبتهم على الصراط السوي، وأن ينور بصائرهم ويجعلهم هداة مهتدين غير ضالين، ولا مضلين، والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

٩/ ٢/ ١٤١٦هـ

■ ■ ■ ■ ■



المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد(١):

فالإنسان في هذه الحياة قد كُلِّف وفُرِضت عليه فرائض وأُلزم بإلزامات: منها ما يتعلق بالعبادات، ومنها ما يتعلق بالعادات، وجعل الله في جِبِلّته وفطرته الحرص على ما يراه منفعة له ومصلحة وراحة لبدنه وما يجد منه تنعُّماً وتلذذاً، وينفر عما يضره وما يجد به مشقة وصعوبة، ولكن قد يخفى على الإنسان بعض الأشياء الضارة فيعتقدها نافعة وبعض الأشياء النافعة فيعتقدها ضارة، وقد يكون الضرر خفياً أو تدريجياً.

وهذا ما يجعل المسلم بحاجة إلى التعلُّم الذي يصبح به عارفاً لما ينفعه ولما يضره؛ فيتجنب ما فيه الضرر على بصيرة ويقين، ويفعل ما فيه النفع عن معرفة وعلم متحقق.

ولا جَرَم أن أهم ما يهم الإنسان التفقُّه فيما خُلق من أجله، وهو عبادة الله تعالى التي أوجدت لأجلها البرية، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة لفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين وقد قمت بنسخها في أوراق ثم صححتها وأضفت عليها، وقد راجعها فضيلة الشيخ وأضاف عليها ما نقص منها، وقدّم لها، وأذن بنشرها فنسأل الله أن يكتبها في موازين حسناته، وكل من ساهم في إخراجها، وأن ينفع بها، اللهم آمين. (أبو أنس).

فإذا كنا مخلوقين لأجل هذه العبادة، فما هي العبادة ؟ وما كيفيتها ؟ .

لا شك أن معرفة العبادة وتفاصيلها يحتاج منّا إلىٰ تعلم، ولأجل ذلك جاءت الشريعة الإسلامية موضحة هذه العبادة وتفاصيلها .

فمن طلب تلك التفاصيل وجدها، ومن أعرض عنها حُرم خيراً كثيراً، وأدّىٰ عبادته علىٰ جهل وضلال، وهذا ما يحمل الإنسان علىٰ أن يحرص أن يكون متبصِّراً في دينه متفقهاً فيه .

نسأل الله تعالىٰ أن يبصرنا في ديننا، وأن يجعلنا هداة مهتدين، والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم .

■ ■ ■ ■ ■



أهمية العلم ووجوب التعلم

إن العلم والفقه الذي خلقنا لأجله واجب علينا تعلُّمه حتىٰ لا نكون من الذين يعبدون الله علىٰ جهل وضلال.

ودليل ذلك أن الله أمرنا أن نسأله أن يجنبنا طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين، فقال تعالىٰ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

و﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود؛ وذلك أنهم تعلموا العلم ولم يعملوا به، وأما ﴿الضَّالِّينَ﴾ فهم النصارىٰ؛ وذلك أنهم عبدوا الله علىٰ جهل وضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **«من انحرف من العلماء من أمة محمد ولم يعمل بعلمه ففيه شَبَهٌ من اليهود، ومن انحرف من العباد وعبد الله على جهل ففيه شبه من النصارى»**.

فنحن في حاجة إلىٰ معرفة ما يهمنا في هذه الحياة حتىٰ لا نكون شبيهين بهؤلاء.

وقد ذكر العلماء أن العلم منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية.

فتعلُّم العبادات اللازمة فرض عين علىٰ كل مسلم ومسلمة؛ فيتعلم كيفية الصلاة والطهارة والصيام وما أشبه ذلك مما هو محتاج إليه.

ويجب عليه أن يتعلم ما حرمه الله من الأعيان والأعمال التي ورد النص بتحريمها.

وأما معرفة تفصيل الأشياء كشروط العبادات وواجباتها ومكملاتها وسننها، فإنها من فروض الكفايات التي يلزم أن يكون في الأمة من يعرفها ويأثمون إذا تركوا معرفتها جميعاً ؛ لأن الحاجة داعية إليها .

فلا بد أن يكون هناك طائفة يعرفون هذه التفاصيل، ويُعلمون من يجهلها أو من يحتاج إلى التبصُّر فيها .

■ ■ ■ ■ ■

فضل العلماء في الكتاب والسنة

لقد جاءت الأدلة في فضل من تفقَّه وتعلم، فقال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[١]. والخير هنا هو الصلاح والاستقامة والسعادة الدنيوية والأخروية.

فالذي يشتغل بالتفقه والتعلم هو من أراد الله به خيراً وسعادة، وذلك لأنه يتحمل هذا العلم، ثم يعمل به، ثم يبثه في الأمة، حتى ينير لهم الطريق. وهم ينفعون أنفسهم أيضاً فتكون لهم الحسنات والدرجات العلا في الآخرة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٌ يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].

والعلم الذي يُنتفع به يعم المكتوب والمصنف في رسائل وكتب ونحوها، ويشمل ما كان محفوظاً في صدور أهل العلم الذين حفظوا عن ذلك العالم وتناقلوا علمه وانتفعوا به.

وكل من انتفع بعلمه يصل إليه أجرٌ عظيم بسبب انتفاعهم منه، ودعائهم له على ما حصل لهم منه من النفع العام والخاص؛ فيبقى لهم خير كثير بعد موتهم من ذكرهم بخير، والدعاء لهم، والترحم عليهم. وما ذاك إلا أن الناس استناروا بعلمهم وتفقَّهوا من فقههم.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).



ولما كان العالـم الذي يحمل العلم بهذه المنزلة وبهذا الفضل، فقد جاء فضله في عدة مواضع من القرآن الكريم، ومن السنة المطهرة.

أولاً: فضل العلماء في القرآن الكريم:

١ـ أنهم شهداءُ الله:

بين سبحانه وتعالىٰ أن حملة العلم هم شهداء الله الذين أشهدهم علىٰ وحدانيته، وقرنهم بنفسه وبملائكته، فقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

فانظر كيف أشهد نفسه علىٰ أنه لا إله إلا هو، وأشهد معه ملائكته، وأشهد أولي العلم خاصة ولم يستشهد بأولي الجهل !! ولا أولي التجاهل !!.

ولا شك أن هذا شرف لأولي العلم أيَّما شرف، حيث قرن الله شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وما ذاك إلا أنهم هم الذين عرفوا حق الله علىٰ عباده، وعرفوا وحدانيته، وعرفوا الأدلة الدالة علىٰ ذلك، وعرفوا ما خُلق الناس لأجله، فنطقوا بهذه الشهادة وأعلنوا العمل بها ودعوا الناس إليها.

فلا جَرَم أنهم أصبحوا من شهداء الله تعالىٰ علىٰ وحدانيته، وكفىٰ بذلك شرفاً وفخراً.

٢ـ أنهم أهلُ خشيةٍ لله:

ومن الأدلة علىٰ فضل أهل العلم أنهم أهل خشية لله؛ فهم الذين يخشَونه ولا يخشاه غيرهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

والمعنى: أن الخشية خاصة ومحصورة في أهل العلم دون غيرهم.

أما أهل الجهل فإنهم لا تكون معهم الخشية المطلوبة والمنجية من عذاب الله؛

ذلك أن العالم يحمله علمُه على مخافة الله وعلى تقواه، وعلى التورُّع عن الوقوع فيما حرم الله. ويحمله أيضاً على الإقدام على عبادة الله وعلى تقبُّل كل ما جاءه من ربه.

هذا سبب كون أهل العلم هم أهل خشية الله دون غيرهم.

ولا شك أن خشية الله نوع من أنواع العبادات بل هي من أجلّ العبادات.

وقد ذكر الله تعالى أنها سبب للثواب العظيم والأجر الكبير ألا وهو دخول الجنة والنجاة من النار فقال تعالى في آخر سورة البيِّنة: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

انظر إلى هذا الثواب الجزيل الذي جعله الله كله ﴿لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ أي لأهل الخشية.

ولكن من هم أهل الخشية ؟

هم الذين بيَّنهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فأهل هذا الجزاء العظيم هم العلماء الذين حملهم علمهم على مخافة الله تعالى وخشيته فكفى بذلك ثواباً جزيلاً.

٣ـ نفي التسوية بينهم وبين غيرهم:

ومن الأدلة كذلك على فضلهم أن الله سبحانه وتعالى نفى التسوية بينهم وبين غيرهم فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وحذف الجواب لأنكم تعرفونه، والمعنى: لا يستوون ؛ فأهل العلم أقدر وأفضل وأرفع درجة وأكثر معرفة وأصوب عملاً ؛ حيث إنهم يعملون على بصيرة ونور وبرهان، وأما الذين يعملون على جهالة فإن أكثر أعمالهم مردودة،



سيما إذا ظنوا أنهم علىٰ علم وهم علىٰ جهل وهو الجهل المركب.

وقد ذكر العلماء أن المُعرِض عن التعلم الواجب قد يوصف بالجهل المركب، وقد يوصف بالجهل غير المركب وهو الجهل البسيط.

وقد قسم بعض العلماء الناس إلىٰ أربعة أقسام، فقد روي عن الخليل بن أحمد اللغوي أنه قسم الناس إلىٰ أربعة أقسام فقال: الرجال أربعة:

الأول: رجل يدري، ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاسألوه.

الثاني: ورجل يدري، ولا يدري أنه يدري، فذلك ناس فذكِّروه.

الثالث: ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري، فذلك مسترشد فارشدوه.

الرابع: ورجل لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، فذلك جاهل فارفضوه.

فالجاهل الذي لا يدري أنه جاهل هو شر أنواع الجهل، وهو الذي عناه بعضهم في قوله:

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري

وأنك لا تدري بأنك لا تدري

٤ ـ الرفعة في الدنيا والآخرة:

لقد أخبر الله تعالىٰ بأنه يرفع العلماء رفعةً حسيةً ومعنوية، فقال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فجعل سبحانه وتعالىٰ الرفع عاماً للمؤمنين، وخصص منهم أهل العلم، فكان رفعهم أعلىٰ من غيرهم من المؤمنين.

وهذا الرفع قد يكون في الدنيا بما يكتسبونه من الشرف والفضل، فتكون لهم

المنزلة العالية في قلوب الناس، ويكون لهم القدر والاحترام وتقبُّل ما يلقونه.

ولكن على العالم أن يكون متواضعاً لعباد الله وغير معتزٍ بنفسه، ولا يكون مفتخراً بما حصل عليه من العلم؛ حتى يكون ذلك أدعى إلى تقبل ما يقوله.

أما الرفع في الآخرة فإنه رفع حسي؛ فتكون لهم الرفعة في الجنة، فيكون العالم الذي يعمل بعلمه كالنجم الغابر في الأفق فيُرى بعضُهم مثل ما يرى الكوكب الغابر في الأفق في الدنيا لتفاوت ما بينهم. فكفى بذلك شرفاً على أن تكون من أهل العلم.

ثانياً: فضل العلماء في السنة المطهرة:

وكما جاء فضل العلماء في القرآن فكذلك ورد فضلهم في السنة النبوية في مواضع كثيرة منها:

١ـ أنهم ورثة الأنبياء:

لا شك أن العالم بالله تعالى وبأسمائه وبصفاته وآياته هو الذي يحصل على الفضل الكبير؛ وذلك أنه وارث لنبوة الأنبياء وما جاءوا به من العلم والبيان.

ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: **«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»**[1]. رواه أحمد وأهل السنن عن أبي الدرداء رضي الله عنه بسند صحيح.

هذا هو ميراث الأنبياء، ورثوا علم الشرائع والديانات والعبادات ونحوها؛ ليس ميراث الدرهم والدينار ولا حطام الدنيا الزائل.

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد ٥/ ١٩٦. من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

وسُمِّي ميراثاً لأنهم خَلّفوه بعدهم، ثم جاء أهل العلم فحملوه، فبذلك كانوا هم الورثة وكان لهم الأجر العظيم بذلك.

وهنا نقول: إن على العلماء إذا عرفوا بأنهم هم ورثة الأنبياء أن يعزّوا به أنفسهم، وأن لا يجلسوا مجالس الذل، ولا يزاحموا غيرهم فيما هو نقص عليهم وضلال وحطّ من معنوياتهم.

٢ـ طلب العلم طريق إلى الجنة:

ورد في الحديث المشار إليه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب»**[(١)].

وفي الحديث عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد»**[(٢)].

وذلك أن العابد أو كل العباد ولو كثروا يقدر الشيطان على أن يشككهم وأن يضلهم ويغويهم.

أما العالم بالله، العالم بأسمائه وصفاته، العالم بآياته؛ فإن الشيطان لا يتمكّن من إغوائه ولا من إيقاعه في المتاهات والضلالات، لكونه على نور وبصيرة وعلى معرفة تمكّنه أن يدحض الشبه التي يوسوس بها الشيطان في صدور كثير من الناس.

■ ■ ■ ■ ■

---

(١) سبق تخريجه صفحة: ٨٥.

(٢) أخرجه الترمذي(٢٦٨١) وابن ماجه (٢٢٢).



المراد بالعلم

ورد فضل العلم والعلماء في مواضع كثيرة من الكتاب والسنة وقد بيّنا طرفاً من ذلك، ولكن: **ما هو العلم المقصود هنا؟**

المراد بالعلم هنا هو: العلم اللدُنّي: الذي هو علم الشريعة وعلم الديانة، والذي يتبصر به المسلم في كيفية ما يقوله وما يحتاج إليه، سواء كان ذلك في أمور دنياه من كسبه ومعاملاته ونحو ذلك، أو فيما يتعلق بأخلاقه وآدابه، أو فيما يتعلق بقرباته وحسناته وتعبُّداته، أو فيما يتعلق بمعتقده الذي يكون عليه، كل ذلك من العلم الذي يجب عليك أن تتعلمه وتتبصر فيه.

* **ففي العبادات** عليك أن تتعلم كيف تعبد ربك عبادة صحيحة مقبولة، حتى تتقرب إلى الله بأعمال صالحة مُتَّبِعاً فيها الكتاب والسنة.

ولا شك أن القربات حسنات يتقرب بها العبد إلى ربه؛ فيتقرب مثلاً بالطهارة الباطنة والطهارة الظاهرة، وهذا يحتاج إلى تعلُّم هذه الطهارة وتفصيلاتها، وكذلك الصلوات التي يتقرب بها العبد إلى ربه؛ فهذا يحتاج إلى أن يعرف كيفية أدائها، وكذلك ما يتعلق بالنفقات، فيلزم العبد أن يتعلمها بالتفصيل حتى تكون نفقاته مُقرِّبة له إلى ربه.

وهكذا في سائر العبادات البدنية كالصوم، والجهاد، والحج والعمرة، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك يحتاج إلى العلم والمعرفة والتفقه حتى يتقرب إلى ربه بعبادة صحيحة مقبولة بإذن الله تعالى.

* **وأما ما يتعلق بالعقيدة** فالواجب على العبد أن يتعلم كل ما يقوله بلسانه وما يعتقده بقلبه في ربه الذي معرفته غاية المعارف وهو خالقه ومالكه، ويعرف ما يقوله وما يعتقده في أسماء الله وصفاته.

وعلى العبد أن يعرف تفاصيل ما هو مُقبِل عليه بعد موته كالإيمان بالحشر والجزاء وغير ذلك، وهذا كله يحتاج إلى تعلم وتفقه.

* **وفي المعاملات** يتعلم كيفية الكسب الحلال وشروط كسبه من صناعة وحرفة وتجارة وما أشبه ذلك، كل ذلك داخل في العلم النافع ولو كان من الأمور الدنيوية، إذا قصَد بذلك أن يعفّ نفسه وأن يستغني عن الخلق، ويكون كسبه حلالاً وقوته طيباً.

ولا شك أن العلوم الدنيوية قد يحتاج إليها، كعلم الهندسة والبناء والغرس والخياطة والخرازة ونحوها، فتعلمها فيه فائدة ومنفعة ومصلحة للعباد، وهو من فروض الكفاية، وغالباً يتعلمها من ليس عالماً بالله ولا عالماً بحقوق الله وحدوده؛ بل يتعلمها الذين همهم كسب المادة وتحصيل المال من أي وجه كان.

■ ■ ■ ■ ■

من طلب العلا سهر الليالي

وعلى طالب العلم أن يعرف أن هذا العلم الذي يتعلمه لا يحصل في وقت قصير، بل لا بدّ من الممارسة ولا بد من الصبر على المشقة والصعوبات التي قد تلاقيه والخسائر في النفقات المالية ونحو ذلك.

فقد روي عن بعض الشعراء أنه قال:

أخي لن تنال العلم إلا بستةٍ

سأنْبِيك عن تفصيلها ببيانِ

ذكاءٍ وحرصٍ واجتهادٍ وبلغةٍ

وإرشاد أستاذٍ وطولِ زمانِ

فهذه الأشياء الستة إذا اجتمعت في الإنسان فإنه يحصل على خير كثير ويوفَّق لتحصيل العلم النافع:

فأولاً: الذكاء: فإنه يُخرِج البليد الذي يكون غافلاً أو مغفلاً غير عاقل وغير متعقل لما يقول، ومن لم يرزقه الله الحفظ فإنه يُتْعِبُ نفسه ولا يحصل على فائدة، فكلما حصل على شيء من العلم ذهب من ذاكرته ونسيه أو تغافل عنه.

ثانياً: الحرص: والحرص في طالب العلم يدل على حبه للعلم، والحرص يبعثه على مواصلة الطلب في الليل والنهار ولا يخص ذلك بوقت دون وقت.

ثالثاً: الاجتهاد: وهو بذل الجهد بالنفس والمال، فيبذل جهده وهو غاية المستطاع؛ فينفق من ماله ويسافر ويقطع المراحل ويسهر الليالي وما أشبه ذلك، مما

يدل على أنه مجتهد وصادق في طلبه .

رابعاً : البلغة : هي الزاد الذي يقتات به فإن هذا من ضروريات الحياة ، فالذي يتعلم وليس عنده ما يقتات به ويأكله ، لا تهنأ نفسه ولا تقر حياته لأنه بحاجة إلى أن يكون له كسب أو دخل .

فإما أن يكون له أبوان قد قاما بكفايته والنفقة عليه أو له دخل أو حرفة يحترف بها في وقت من الأوقات ، فإذا تيسرت البلغة استطاع أن يواصل سيره في طلب العلم فيتعلم إلى أن يحصل على جانب كبير من العلم .

خامساً : إرشاد الأستاذ : أو المدرس والمعلم وهي أيضاً من الضروريات ، فالذي يتعلم على نفسه أو يقرأ الكتب فإنه قد لا يفقه كثيراً مما تتضمنه ، وقد يقع في أخطاء ، وقد يملّ ويتكاسل فلا يحصل على المطلوب .

سادساً : أما طول الزمان : فإنه يدل على أن الإنسان لا يمل ولا ينبغي له أن يمل ، ولو طال الزمان ولو بقي عشرات السنين .

هكذا كان العلماء رحمهم الله تعالى يواصلون سيرهم ولو بلغوا ما بلغوا ، فإن الإنسان كلما حصل على علم ازدادت المعرفة عنده ، وازدادت حلاوة العلم لديه ، وتوسّعت المعارف أمامه .

■ ■ ■ ■ ■

الأهم فالأهم في طلب العلم

لا شك أن زيادة طلب العلم تؤدي إلىٰ تراكم وتكاثر العلوم علىٰ الإنسان، ولذلك يقول بعض العلماء: «إن العلم كثير والعمر قصير».

ولذلك ينبغي للإنسان أن يبدأ بالأهم فالأهم، ولا شك أن الأهم ما يفيدك في حياتك وعباداتك، وتقتصر من بقية العلوم علىٰ ما أنت بحاجة إليه فقط.

والتوسع في العلوم الأخرىٰ قد يشغل الإنسان عما هو أهم منه. حتىٰ قال بعض العلماء في علم النحو: «إن النحو في الكلام كالمِلْح في الطعام» بمعنىٰ أنه لا حاجة إلىٰ الإكثار منه، فلا تتوغّل فيه وتُكثِر منه فيذهب وقتك ويذهب عمرك دون أن تحصل علىٰ شيء مفيد غاية الفائدة.

ولا تتركه فتقع في الأخطاء وفي اللحن وفي الأغلاط؛ بل اقتصِر منه علىٰ ما يُصلِح حالَكَ، كما أن الملح في الطعام لا يُزاد منه ولا يقلّل، فإن زِيد منه أفسد الطعام وإن قُلّل منه أصبح الطعام سمجاً لا يُستساغ أكله، فعليك أن تقتصر علىٰ قدر الحاجة.

فإذا كان هذا في علم النحو الذي مدحه بعضهم بقوله:

وإذا طلبتَ من العلوم أجلَّها
فأجلها منها مُقيم الألسُنِ

فكيف ببقية العلوم التي فائدتها قليلة أو قد تكون مضرتها محققة؟

■ ■ ■ ■ ■



من أخبار أهل العلم

إن الإنسان ما ذاق حلاوة العلم إلا وازداد نهمُه وكثر طلبه ولا يشبع أبداً، سواء كان يقرأ القرآن، أو يقرأ كتب السنة، أو يقرأ كتب أهل الفقه وأهل العلم النافع، أو يقرأ كتب أهل الآداب والأخلاق التي فيها محاسن الأعمال ومساوئها أو ما أشبه ذلك، ولن يجد لذلك نهاية.

روي في بعض الآثار: «منهومان لا يشبعان: طالب دنيا، وطالب علم»[(١)]. ذكره في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني والبزار وفيه ضعف، وعن ابن عباس نحوه. ورواه الدارمي في سننه عن الحسن موقوفاً وعن ابن مسعود من قوله وعن ابن عباس موقوفاً.

والمنهوم هو: الذي له نهمة وهمة تدفعه، فطالب الدنيا مهما حصّل منها لا يشبع ولا تنتهي رغبته، وكذلك طالب العلم مهما حصّل من العلم فإنه لا يزال يواصل الطلب والتعلم حتى آخر حياته.

كما روي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قال: «من المحبرة إلى المقبرة»، يعني أنه يشتغل بطلب العلم وبكتابته من المهد إلى اللحد.

هذه حالة أهل العلم الذين أفنوا حياتهم في طلب العلم، وقد أخبروا بالصعوبات التي لاقوها؛ فلم يحصلوا على هذا العلم الذي تركوه لنا إلا بعد المشقة وبذل الجهد.

---

(١) انظر مجمع الزوائد: ١/ ١٣٥.

* فقد روي عن عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان إذا بلغه الحديث عن أحد الصحابة ذهب إليه حتىٰ في القيلولة؛ في شدة الحر في وسط النهار، فإذا طرق بابه وقيل إنه نائم وقف أو جلس عند الباب في حر الشمس حتىٰ يستيقظ الصحابي صاحب الحديث للصلاة، فإذا خرج ورأىٰ مَن بالباب استنكر ذلك وقال: كيف وأنت ابن عم رسول الله ﷺ تجلس في الشمس؟ فيقول ابن عباس: إني كرهت أن أوقظك، فيقول: هلا أخبرتني فآتيك؟ فيقول: لا، العلم يُؤتىٰ ولا يَأتي. أو كما قال. رواه الدارمي في سننه.

* وهكذا الإمام الشافعي تكلّم عن فضل العلم وفضل الحرص والمواصلة، يقول رحمه الله تعالىٰ: **«العلم بطيء اللزام، بعيد المرام، لا يُدرَك بالسهام، ولا يرى في المنام، ولا يورث عن الآباء ولا عن الأعمام، إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تُغرَس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس، ولا يحصل إلا بالاستناد إلى الحجر وافتراش المدر، وقلة النوم، وصلة الليل باليوم، ولا يحصل إلا لمن أنفق العينين، وجثى على الركبتين. انظر إلى من شغل نهاره بالجمع وليله بالجماع، أيخرج من ذلك فقيهاً؟ كلا والله، حتى يعتضد الدفاتر، ويستحصل المحابر، ويقطع القفار، ولا يفصل في طلبه بين الليل والنهار»**.

فانظر إليه رحمه الله تعالىٰ كيف حثّ علىٰ الصبر والمصابرة في طلب العلم، وكيف ذكر أن أهله يلاقون من المشقة والصعوبات ومع ذلك فإنهم يصبرون ويتحملون؛ فتجدهم يقطعون القِفار وهي الفيافي والمفازات والأسفار، حتىٰ كان بعضهم يسافر مسيرة شهر لأجل أن يحصل علىٰ حديث واحد.

* وهكذا كان مشايخنا ومشايخ مشايخنا يسهر أحدهم الليل كله ينسخ ويكتب ولا يتفرغ لأكل عشائه إلا بعد أذان الصبح أو قرب أذانه. وكل ذلك من

نهمته وحرصه على طلب العلم وتعلمه.

* وكذلك كان من العلماء من يحرص على الكتابة والتأليف لينفع الأمة، ومن هؤلاء ابن جرير الطبري؛ فقد روي عنه رحمه الله تعالى أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، أي: ثمانين صفحة.

* وذُكر عن أحد العلماء أنه كان بعد صلاة العشاء من كل ليلة يكتب عشرين ورقة قبل أن ينام ويصبر على البحث وطول التنقيب.

وذلك كان حرصاً منهم رحمهم الله تعالى أن يدوِّنوا ما عرفوه وما تعلموه، حتى تنتفع الأمة منهم، ويصلهم بذلك الأجر العظيم بعد وفاتهم؛ رحمهم الله رحمة واسعة.

■ ■ ■ ■ ■

اغتنام الأوقات وخاصة للشباب

قلنا إن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وذكرنا تفصيل ذلك ووضّحناه. فإذا عرفنا هذا وعرفنا أننا مطالبون بتعلم ما ينفعنا فإن علينا أن نغتنم الأوقات قبل أن تتغير الأحوال.

ونؤكد ذلك على الشباب ونقول لهم: اغتنموا الفرصة ولا تضيِّعوها.

ولكن لماذا الشباب ؟!!

نعرف أن الشباب وهو في سن الصغر قد كُفي المؤنة ويسَّر الله له الوالدين اللذين ينفقان عليه ويتركانه يتفرغ للتعلم، فنقول له: انتهز الفرصة وتعلّم؛ ومجال العلم واسع.

وسن الشباب هو وقت الذكاء ووقت الحفظ ووقت بقاء المعلومات، وكما يقول بعضهم: «العلم في الصِغَر كالنقش على الحجر».

وهذا مَثَل مطابق؛ لأن الصغير متفرغ القلب ومتفتح الذهن، فما قرع سمعَه وَقَرَ في قلبه وبقي في ذاكرته مدة طويلة فينتفع بذلك كثيراً وخاصة عند كبره.

و الشاب قد يحتاج إلى نفسه بعد سنوات، وذلك عندما يتفرغ ويُكلَّف بكسب رزقه ومعيشته بنفسه فيشق عليه بعد ذلك التفرغ لطلب العلم، فما أحسنها من فرصة مهيئة للشباب الذين قد كُفوا المؤنة ويُسِّرت لهم الأسباب !

وهناك أسبابٌ كثيرة قد يسرها الله للشباب في هذا الزمان، وما عليهم إلا أن يُشمِّروا عن ساعد الجد ويطلبوا العلم، ومن هذه الأسباب:

١ـ أن الله عز وجل أعطىٰ الإنسان السمع والبصر والعقل والفهم والذكاء والإدراك وامتنّ عليه بذلك، فقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

أخرجه الله جاهلاً ولم يتركه سُدىً؛ ولكن خلق له أجهزة يتعلّم بها ويرفع عنه الجهل فيستمع إلىٰ النصائح والمسائل التي تنفعه، ويبصر في الكتب فيقرأ وينظر ويستفيد، وبفؤاده يتعقل ويتفقه ويتذكر ما حفظه.

٢ـ ومنها: وجود المدارس والمعاهد والكليات والجامعات التي تحتوي علىٰ علوم نافعة، يتعلم فيها مجاناً دون أن يُؤخَذ عليه أجرة أو مقابل، ثم يلتحق كل طالب بالقسم الذي يناسبه ويميل إليه، وتُبذل له كل الوسائل؛ فالمعلمون يبذلون له العلم بدون مقابل، والكتب تصرف للطالب مجاناً، وهذه من النعم التي أنعم الله بها علينا، ومن النعم التي يجب أن تُغتَنم ولا تُفوَّت.

٣ـ ومنها: وجود العلماء الذين بذلوا أوقاتهم في الليل والنهار؛ فأقاموا حلقات العلم سواء في بيوتهم أو في المساجد القريبة من بيوتهم، وفتحوا المجال لمن يريد أن يتعلم ويتنوّر ويتزود، فما بقي علىٰ الإنسان إلا أن يهتم بهذا الأمر ويسعىٰ في طلب العلم ويغتنم الفرصة ويحافظ علىٰ وقته.

٤ـ ومنها: وجود المراكز الصيفية في فترة الإجازة، ففيها فوائد كثيرة؛ فهي تحفظ فراغ الشباب من الضياع وتستثمر أوقاتهم فيما يعود عليهم بالنفع. ومن ذلك وجود الدروس اليومية والأسبوعية، وقراءة القرآن وحفظه وغير ذلك.

■ ■ ■ ■ ■

نصيحتي لمن يُضيِّعون أوقاتهم

هناك الكثير من الشباب الذين قد ضيعوا أوقاتهم، وربما صرفوها فيما يعود عليهم بالضرر ففاتهم بذلك خير كثير ! فمن ذلك :

١ـ نجد أن بعض الشباب يجتمعون في مجلس واحد ويقطعون وقتهم في القيل والقال وفي الغيبة والنميمة وغير ذلك، فيذهب وقتهم بلا فائدة وقد يكسبون آثاماً عظيمة ! ولو صرفوا هذه الأوقات في قراءة القرآن وقراءة كتب أهل العلم لاستفادوا بذلك خيراً كثيراً وحصلوا على علوم كثيرة.

٢ـ ومن ذلك: وجود كثير منهم يشغلون أوقاتهم في سماع أخبار لا فائدة فيها، أو مشاهدة التلفاز أو الفيديو فيما فيه شر، أو مشاهدة المباريات أو حضورها، وممارسة بعض الألعاب الأخرىٰ التي يزعمون أنها ترفّه عن النفس وتعيد النشاط وتفيد. ولا شك أن الإكثار من هذه الأشياء إضاعة للوقت، وإضاعة الوقت يُفوِّت علىٰ الإنسان أشياء كثيرة مفيدة أو ضرورية، ولكن لا نقول إن هذا عام؛ بل هناك نخبة صالحة ممن أراد الله بهم خيراً ووفقهم وبصّرهم ورزقهم المعرفة بما يجب لهم وما يجب عليهم. هؤلاء هم الذين نعتقد أنهم خلاصة الله تعالىٰ من الخلق، وأنهم خيرة شبابنا، وخيرة الصالحين من عباد الله في هذه البلاد.

فأنصح إخواني الشباب أن يصرفوا أوقاتهم في قراءة القرآن وحفظه، وقراءة كتب التفسير، وكتب أهل العلم من الفقه والعقيدة وغيرها.

أوصيكم أيها الشباب أن تجتهدوا وتجدوا في طلب العلم وحفظ أوقاتكم

وأزمانكم فيما يعود عليكم بالنفع .

أيها الشباب : أنتم خِيرة هذه الأمة ، وأنتم بعد الله عمادها ، فإن صلحتم صلحت الأمة وعادت إلى قوّتها ، وإن فسدتم فسدت الأمة وبقيت في ضعفها إلا ما شاء الله . فاللهَ اللهَ في أنفسكم ، احرصوا كل الحرص على طلب العلم والتعلم والتفقه في دينكم .

■ ■ ■ ■ ■

نصيحة في الحث على حسن القصد في طلب العلم

وأحب أن أوصي طلبة العلم بوصية مختصرة، ألا وهي حسن القصد وحسن النية في طلب العلم؛ وذلك لأن كل من يطلب العلم لا يطلبه إلا لأمر يحمله على ذلك وقصدٌ من المقاصد، فنوصيك بأن يكون ذلك المقصد مقصداً حسناً وأن تكون نيتك في طلب العلم وجه الله تعالى، يقول النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امري ما نوى**»(١).

والنية في طلب العلم تارةً تكون صالحة وتارةً تكون غير صالحة.

فإذا كانت النية حسنة، فإن العالم والمتعلم كل منهما يثاب على نيّته سواء حصّل مجهوده أو لم يحصله، وإن كانت سوى ذلك فإن الفائدة من تلك العلوم تكون قليلة.

فحُسن القصد وحسن النية له تأثير بليغ في تحصيل العلوم.

وقد حثَّنا الله سبحانه وتعالى على الإخلاص الذي هو حسن النية في الأعمال كلها، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

فالإخلاص: هو إخلاص النية في العبادة والدعاء؛ فجُعل شرطاً في قبول العبادة.

---

(١) أخرجه البخاري (١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.



وكذلك في بقية الأعمال إذا كانت النية خالصة صادقة كان الثواب عليها جزيلاً وكان أثرها بليغاً، وإن كانت غير ذلك قلّت آثارها في العالم نفسه وفي تأثيره في غيره.

وأحب أن أذكر أمثلة للنية الصالحة وغير الصالحة :

أولاً: أمثلة على النية الصالحة :

المثال الأول : أن تنوي رفع الجهل عن نفسك :

يجب عليك أن تكون نيتك بالتعلُّم نفعَ نفسك ونفع دينك، وذلك لحاجتك إلى أداء أعمال البر والصلاح؛ فإنك إن كنت جاهلاً فقد تقع في أخطاء قد تُذْهِبُ أجر عملك.

فإن كانت نيّتك بهذا التعلم أن تزيل صفة الجهل وهي صفة عيب عنك كانت نيتُك إن شاء الله صالحة، وإن كان غيرها أصلح منها.

المثال الثاني : أن تنوي العمل الصالح :

أن تنوي بطلبك العلم أن تعمل العمل الصالح المقبول؛ لأنك تعرف أنك مأمور بأعمال وقربات، وهذه الأعمال والقربات تقربك من الله عز وجل، ولكن لا تعملها على جهل بل لا بد من التعلم لعملها على بصيرة ونور من الله وبرهان؛ لأن شروط قبول العمل كونُه خالصاً لله وكونه صواباً على ملة وطريقة محمد ﷺ.

وهذا الصواب يحتاج إلى بحث وتعلُّم، وذلك يقف على ميراث النبي ﷺ، وميراثه هو العلم، فقد ثبت عنه ﷺ قوله: «إن العلماء ورثه الأنبياء، إن الأنبياء لم يوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر»[1].

---

(١) سبق تخريجه صفحة : ٨٥ .

فعليكم بميراث الأنبياء واجتهدوا في طلبه؛ فلا تشتروا كتب العلم بلا استفادة منها ؛ بإهمالها في الرفوف ليمضي عليها الزمن وهي كذلك ؛ بل تشترىٰ للقراءة وحفظ ما يجب حفظه منها، بالتعلم وتلقي الدروس من المشايخ مع تطبيق ذلك في الواقع.

فإن من كانت نيته أن يعمل علىٰ بصيرة وبرهان من ربّه فإن نيته إن شاء الله صالحة.

المثال الثالث : أن تنوي نفع المسلمين :

إذا نويت أخي بتعلمك نفع المسلمين فاحمل هذا العلم حتىٰ تكون مصحفاً يمشي علىٰ الأرض ومرجعاً للأمة عند الحاجة، فما أعظمها من نية وما أحسنه من قصد؛ ذلك لأن حمل العلم هو حملٌ للشريعة، وحمل الشريعة فرض كفاية علىٰ الأمة، والذين يحملونها هم فضلاء الأمة وعدُولها كما روي عنه ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُولُه ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين»[1]، ويبدّدون شُبَه المغرضين فهم العدول حقاً. وأنت بهذه النية تكون قد أديت فريضة علىٰ الأمة كلها حيث إنك تصديت لهذا العلم الذي تحتاج إليه الأمة.

روي أن ابن عباس لما كان صغيراً وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث عشرة سنة قال لأحد الشباب: هَلُمّ ننهل من علم هؤلاء الصحابة ما داموا أحياء فربما يموتون فيُحتاج إلينا.

فقال الأنصاري الشاب: عجباً لك يا بن عباس، أترىٰ الناس يحتاجون إليك وفيهم الصحابة وأبناء الصحابة ؟!

---

(١) انظر مشكاة المصابيح: ٢٤٨. وكنز العمال: (٢٨٩١٨) وزاد المسير، ٥/ ٣٠٥.

فأعرض الشاب عن التعلم وأقبل ابن عباس على العلم فاجتهد في طلب العلم رضي الله عنه حتى أنه ذُكر له أن أحد الصحابة يعلم حديثاً فأتى إليه في قيلولته في شدة حر النهار، فقرع الباب، فقيل إنه نائم، فجلس عند الباب حتى استيقظ فسأله عن ذلك الحديث يفعل ذلك كثيراً كما سبق.

وقد وفقه الله بعد ذلك إلى العلم وصار مرجعاً للفتوى حتى مع وجود بعض الصحابة وأصبح حَبرَ الأمة، وأصبح ذلك الشاب الأنصاري يرجع إليه ويستفيد من علمه رضي الله عنهما.

فالعلماء لا يبقون بل يفنون والعلم لا ينتزع من صدور العلماء وإنما يفقده الناس بموت علمائهم.

فلماذا لا نكون نحن خير خلَف لخير سلَف حتى إذا احتِيج إلى هذه العلومُ وجد من يحملها من هؤلاء الشباب؟

المثال الرابع: أن تنوي بثّه بين الناس:

فتنوي بطلبك للعلم بثّه بين الناس، ولو لم يُحتج إلى علمك ولو لم يُطلب منك ذلك، وذلك لأن كثيراً من الناس يرضون بالجهل فيستمرون عليه أو يعملون أعمالاً وهم على جهل فيفسدون أكثر مما يصلحون، فيجب عليك أن تعلّمهم وتقوِّم اعوجاج الجاهل.

آثار النية الصالحة في العمل :

فإن من نال إحدى هذه المقاصد أو كلها سيدفعه ذلك إن شاء الله إلى سؤال المشايخ، ومراجعة الكتب والاستذكار لما حفظه وما تعلّمه من العلوم، ويدفعه على تطبيق هذا العلم والعمل به حتى يرسخ في ذهنه، فإن حصلت له هذه

الأسباب كلها فقليلٌ وقتٍ يكفيه لتعلم علوم كثيرة، وإن كانت هذه المقاصد ضعيفة في الإنسان، فإنه قد يُمضي وقتاً طويلاً ولا يحصل إلا على العلم القليل.

وقد رأينا شباباً خلال سنوات قليلة، سنتين أو ثلاث أو أربع، حصلوا على علوم جَمّة؛ وذلك بسبب الدوافع التي ترغِّبهم في طلب العلم وصلاح نيتهم في ذلك؛ فتجدهم يستذكرون ما شرحه الشيخ، ويحفظون ويراجعون ويسألون ويستفسرون.

ورأينا شباباً آخرين ربما جلسوا السنين الطوال، قد تصل إلى العشرين أو تزيد، كان جمعهم من العلم قليلاً لأن دوافعهم إليه ضعيفة.

ثانياً: أمثلة على النية السيئة:

وهنا نذكر أمثلة على وجه الاختصار؛ وذلك لرؤيتي وسماعي عن أناس يتعلمون ولكن لا يعملون، ويطلبون العلم لنيات سيئة وتكون نهايتهم الجهل والعياذ بالله. فمن هذه المقاصد السيئة:

المثال الأول : أن تنوي بذلك مجاراة الناس:

ونجد من يطلب العلم مجاراة لزملائه فقط فيقول فلانٌ يدرس فأنا أدرس مثله، وإنما دافعه التقليد أو المحاكاة أو المجاراة لزملائه أو الناس؛ فمثل هذا لا يستفيد من علمه مهما تعب وبذل جهده. فنحذِّر أصحاب هذا المقصد من نيتهم هذه.

المثال الثاني : أن تتعلم العلم لغرضٍ دنيوي:

أي أن يكون دافعه إلى التعلم الأمور الدنيوية، وما أكثر الذين يقصدون هذا المقصد في هذا الزمان! فالذي يكون قصده المؤهل كما يقولون أو الوظيفة لأنه لا

يحصل عليها إلا بذلك المؤهل، أو يكون قصده الراتب أو المرتبة أو المكافأة التي تُصرف له في طلب العلم؛ فهؤلاء لا يطلبون العلم من أجل الاستفادة منه وإنما من أجل الدنيا.

ونخشى أن يكون هؤلاء داخلين تحت قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦]. والآية عامة لأمور الدنيا ومن جملتها العلوم فتدخل فيها.

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

فيُحرَم نصيبَ الآخرة (أي ثوابها) إذا كان مقصده الدنيا، سواء قصد الدنيا بعلم أو قصدها بعمل.

فالذين يقصدون بأعمالهم الصالحة الدنيا كثيرون، فكأنهم يعبدون الدنيا، وهؤلاء يدخلون تحت قول النبي ﷺ: «تَعِس عبدُالدينار، وعبدالدرهم، وعبد الخميصة»(١).

ومما لا شك فيه أن من طلب العلم من أجل الدنيا كانت نتيجته الفشل والجهل فيبقى على جهله؛ فقد رأينا من حصلوا على الشهادة فقط ونسوا أو تناسوا ما تعلموه، فيُسأل بعد سنة عن مسألة اختبر فيها ونجح فماذا يكون الجواب ؟!

لا يكون عنده شيء من ذلك، فقد ألقاه وراء ظهره لأنه لم يكن لديه نية صالحة لتعلم هذا العلم، فلم يرسخ في ذهنه، وإنما رمى الكتب بعد الدراسة في الرفوف أو في القمامة ، فأين هذا من الاستفادة من العلم؟!

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ونصيحتي أخيراً

أنصح إخواني وأبنائي علىٰ أن تكون نواياهم ومقاصدهم حسنة، فإن النية الحسنة تؤتي ثمارها الطيبة بإذن الله تعالىٰ، فإن مَن نوىٰ مقصداً حسناً لخدمة دينه يسر الله له كل الطرق، وقد روىٰ في بعض الآثار: **«من كانت الدنيا همَّه فرّق الله شمله، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته منها إلا ما كُتب له؛ ومن كانت الآخرة همه جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»**.

والهم هو النية والقصد؛ فإن لم يقصد إلا الآخرة بعمله وعلمه جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه.

وروي أيضاً أن علياً رضي الله عنه قال: «ابن آدم، أنت محتاج إلىٰ نصيبك من الدنيا وأنت إلىٰ نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتَكَ نصيبك من الآخرة، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة مَرّ علىٰ نصيبك من الدنيا فانتظِمه انتظاماً».

فقوله: «إن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتَكَ نصيبك من الآخرة» أي: من اشتغل بالدنيا فاتته الآخرة، ومن جعل الدنيا همه فاتته الآخرة فلم يعمل لها أصلاً.

وقوله: «وإن بدأت بنصيبك من الآخرة» يعني قدمت الأعمال الصالحة والعلوم الصحيحة وبدأت بها «مر علىٰ نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاماً» أي: أنه الله يرزقك من حيث لا تحتسب، وتتحقق المواعيد التي وعدها الله لأهل التقوىٰ.

أليس الله قد وعد أهل التقوىٰ والأعمال الصالحة والعلوم النافعة بمواعيد حق كالعاقبة الحسنة؟ قال تعالىٰ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الاعراف: ١٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال تعالىٰ ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

إذن فالأعمال الصالحة والعلوم الصالحة سبب للرزق، فلا تقُل إن درستُ العلوم الدينية فاتتني بها العلوم الأخرىٰ ولم أحصل علىٰ شيء منها، بل تعلَّمْها ولا ننهاك أن تتعلم العلوم الأخرىٰ ولكن عليك بالمقصد الحسن والنية الصالحة، حتىٰ ولو كانت علوماً دنيوية بحتة فإنها من فروض الكفايات يجب أن يكون في الأمة من يقوم بها.

فالعلوم الحديثة هي مما يُحتاج إليها، فتعلَّمْها ولكن يجوز أن تتعلمها ولكن مع النية الحسنة من نفع النفس، ونفع الناس، والاعتبار بما فيها علىٰ عظمة الله تعالىٰ. فهذا قصد حسن إن شاء الله. أما تعلمها للمقصد الدنيوي فقط دون نية نفع النفس والآخرين وخدمة الدين بالدنيا فهذا قصد سيّء.

هذا ما خطر ببالي في هذه الوصية، وفروعها كثيرة، ولكن يوجد في إخواني وأبنائي الطلاب الكفاية والأهلية في الاستنباط إن شاء الله.

■ ■ ■ ■ ■

وفي الختام :

لا شك أن موضوع التعلم والتعليم وفضل العلم، وحسنات العلماء موضوع له أطراف واسعة وإنما ألمنا به إلماماً، ونقصد بذلك كما هو معلوم علم الشريعة الذي هو ميراث الأنبياء، فالذي يهتم به، ويتعلم منه ما ينفعه هو الذي إن شاء الله سيكون مرجعاً لغيره، ومحلاً للاستفادة منه، فينفع نفسه وينفع إخوانه.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علّمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، ويرزقنا علماً نافعاً، ونعوذ بالله من علمٍ لا ينفع، ومن دعاء لا يُسمع، ومن نفس لا تشبع، ومن عين لا تدمع ومن قلب لا يخشع.

ونسأله سبحانه أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتَّبعون أحسنه، وأن يُريَنا الحق حقاً، ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله ملتبساً علينا فنضل.

ونسأله جل وعلا أن يأخذ بأيدينا إلى الحق، ويعصمنا من الشيطان وزلل القول والعمل، وأن يرزقنا الحق والصراط السويّ، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■




الرسالة الرابعة:

أهمية العلم ومكانة العلماء




تقديم فضيلة الشيخ العلامة

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله علم القرآن ، وخلق الإنسان ، وعلمه البيان ، وفضل أهل العلم ورفعهم به على سائر نوع الإنسان ، أحمده وأشكره على ما فتحه علينا من العلم والعرفان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا أعوان ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي ورث العلم والإيمان ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه العاملين بالعلم النافع في كل مكان وزمان ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فهذه رسالة في فضل العلم وحملته ، وما حباهم الله تعالى به من الخير والكرامة والرفعة العاجلة والآجلة ، وفي بيان حقيقة العلم الذي رتبت عليه تلك الفوائد والفضائل ، وفي بيان وسائل تحصيله ، والطرق المفيدة للوصول إليه ، وبيان المعوقات والحوائل التي انشغل بها الكثير فحرموا من العلم النافع ، دون فائدة ملموسة تعود على دنياهم أو آخرتهم من تلك الأعمال والأشغال التي قضت على الأوقات ، وشغلت الأذهان والأفهام .

وهذه الرسالة كانت محاضرة ألقيتها في بعض المساجد منذ زمن بعيد ، ولم أستعد لإلقائها ففاتني كثير من الأدلة ذات الأهمية في الموضوع ، وفاتني التركيز على المواضيع الحساسة ، ولكن لا تعدم الفائدة في هذه الموجودة ، وقد فرغها بعض الإخوان وعرضها علي فأصلحت فيها الأخطاء التي سبق بها اللسان ،

والتي أوقع فيها الإرتجال ، وقام الناسخ بترقيم الآيات وتخريج الأحاديث ، فجزىٰ الله خيراً من أعان علىٰ نشر العلم ، وبذل جهداً في نفع المسلمين ، والله تعالىٰ أعلم ، وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم .

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

عضو الأفتاء

■ ■ ■ ■ ■



المقدمـــة

الحمـد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:(١)

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. والخشية: شدة الخوف، وإنما: تفيد الحصر، يعني: لا يخشى الله ويخافه إلا العلماء.

فمن هم العلماء؟

وما هو العلم الشرعي؟

وما فضله؟

وما طرق تعلمه في هذه الأزمان؟

وما العوائق التي تعترض سبيله حتي يتجنبها الطالب؟

تلك هي محاور هذا الرسالة الرئيسية، نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما علَّمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، ويرزقنا علماً ينفعنا به، ونعوذ به من علم لا ينفع، إنه على كل شيء قدير. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة لفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين قمت بتفريغها وتصحيحها، ثم عرضتها على فضيلة الشيخ نصححها وأضاف عليها ما رآه مناسباً، ثم أذن لي بطبعها ونشرها للفائدة العامة وللانتفاع بها، نسأل الله تعالى أن يكتبها في ميزان حسنات فضيلته، وأن ينفعنا بها في الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب، (ابو انس).

الأدلة على فضيلة العلم الشرعي

إن الأدلة على فضل العلم الشرعي، وأهميته كثيرة، ومن أراد الاطلاع عليها، وعلى وجوه دلالتها فما عليه سوى الاطلاع على الكتب المصنفة في ذلك المجال، ومن أهم تلك المراجع وأوسعها كتاب ابن عبد البر «**جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله**».

وقد تكلم في فضائل العلم الإمام ابن القيم رحمه الله أيضاً في أول كتابه «**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**». وغير ذلك من الكتب التي أُلفت في ذلك. ونأتي على بيان شيء من أدلة فضل العلم في القرآن الكريم والسنة والنبوية.

أولاً: أدلة فضل العلم وأهميته في القرآن:

ونقتصر في فضل العلم الشرعي وأهميته ومكانة العلماء في القرآن على آيات أربع:

*** الآية الأولى:**

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

في هذه الآية بدأ سبحانه وتعالى بشهادة نفسه، ثم عطف شهادة الملائكة، ثم شهادة أهل العلم والمشهود عليه هو التوحيد: وهو شهادة أن لا إله إلا الله.

فإذا قيل: لماذا خصّ العلماء دون غيرهم؟

قيل: لأن العلماء هم الذين يقرّون بهذه الشهادة لأنهم عرفوا أدلتها، وتشهد بذلك أعمالهم وأقوالهم، وكفى بذلك ميزة للعلماء أن ذكر الله شهادتهم، وعطفهم على شهادته، وعلى شهادة ملائكته الذين عرفوه حق المعرفة.

فعلماء هذه الأمة بلاشك يعترفون بهذه الشهادة ويقرون بأنه لا إله إلا هو، لأنهم أهل المعرفة بالله، وبآياته وبدلالاته، وبالبراهين التي نصبها علامة على أنه الإله الحق.

فإذن لا غرابة بأن يشهدوا بذلك، ولا غرابة في أن يجعل الله شهادتهم تلو شهادة الملائكة.

ولا شك أن المراد بأولي العلم في هذه الآية هم أهل العلم الصحيح الذين عرفوا الله، وعرفوا أحكامه، وعرفوا أدلة شرعه.

ولكن! ليس كل من تسمى بالعلم يكون من أهل العلم! فقد تجد من يحصل على علم، أو على نوع من العلوم ولكنه مع ذلك لا يأتي بهذه الشهادة، أو يأتي بها ولكن يأتي بما يخالفها، أو يفسرها على غير مدلولها!

فلا غرابة في ذلك لأنه ليس من أهل العلم الصحيح، مثل علماء مشركين، فقد يقال أنهم ما عملوا بهذه الشهادة مع أنهم علماء يعرفون الله، ويعلمون الأحكام ويعلمون الشرائع، ولكنهم يشركون بالله ويعبدون غيره! أو يزيِّنون عبادة غير الله وهم علماء!!

أولئك علماء دنيا، ما عرفوا الله حق معرفته فلا عبرة بمخالفتهم إنما العبرة بعلماء أهل الملة، وعلماء أهل الشريعة العارفين بالله، وبما يجب لله سبحانه وتعالى.

* الآية الثانية :

قوله تعالىٰ : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر : ٢٨] .

الخشية شدة الخوف و﴿إِنَّمَا﴾ تفيد الحصر ، والمعنىٰ : أنه لا يخشىٰ الله ويخافه شديد الخوف إلا العلماء ، فلا يخشاه الجُهال ، ولا يخافه المعرضون ، ولا يخافه حق الخوف من ليسوا من أهل المعرفة واليقين بالله سبحانه وتعالىٰ ، إنما يخشاه العلماء .

فلماذا خصّ العلماء بأنهم الذين يخشونه؟!

لأن العلماء كما قلنا عرفوا جلاله وكبرياءه ، ووحدانيته وتفرده باصفات الكمال ، واستحقاقه بأن يُخَافَ ويُخْشَىٰ ، وأنه شديد العقاب لمن عصاه ، وجزيل الثواب لمن أطاعه .

ولكن كيف عرف العلماء ذلك؟!

عرفوه غاية المعرفة بالبراهين ، والأدلة لما اشتغلوا بالعلم الشرعي الذي استوحوه من كتاب ربهم وسنة نبيهم .

فعرفوا أهداف ما جاءت به الشريعة ، ومادعت إليه فكان ذلك دافعاً لهم إلىٰ الخشية ، وهذه التي يخشون الله بها هي الخشية التي تمنعهم من المعاصي جليّها وخفيّها ، وتمنعهم من الذنوب وتحملهم علىٰ الهرب منها ، وتحملهم علىٰ التقرب بكل عبادة وطاعة .

* فإذن إذا رأيت من يتجرأ علىٰ المعاصي فقل : لست من العلماء ، ولست ممن يخشون الله !!

* وإذا رأيت من يتجرأ علىٰ ترك العبادات الواجبة فاعرف أنه ليس من أهل

الخشية، وليس من العلماء!!

* وإذا رأيت من يُعرض عن الشرع تعلُّماً وتعلِيماً وعملاً فاعلم أنه جاهل، يتقلب بين الجاهلين، ولو حصل على المؤهلات أو حمل الشهادات، ولو قرأ ما قرأ فليس من العلماء.

* العلماء هم العارفون بالله.

* العلماء هم العالمون بحقوقه وحدوده.

* العلماء هم الذين ينفعهم علمهم.

* العلماء هم الذين يخشون الله تعالى حق خشيته.

لقد أمر الله تعالى بالخوف منه، وأمر بخشيته وحده، قال تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وكأنه يقول إذا أردتم أن تخشوني فتعلموا الأسباب التي تدفعكم إلى الخشية، وهذه الأسباب هي:

* معرفة الله بأسمائه وصفاته.

* معرفة آياته.

* معرفة أحكامه.

* معرفة ثوابه وعقابه.

* معرفة قربه وسماعه ومراقبته وما إلى ذلك.

فهذه الأسباب تجعلك من أهل الخشية، فإذا أعرض العبد عن ذلك فليس من العلماء، ولن تحصل له الخشية، وإذا تعلَّم الإنسان وخشي الله، وحمله علمه على الخشية فهنيئاً له، فله جزيل الثواب.

إن ثواب الخشية من أعظم الثواب، فأهل الخشية هم خير البرية، وهم أهل الجنة، اقرؤا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧، ٨].

هذا الجزاء كله إنما هو لأهل الخشية فمعناه أن أهل الخشية هم خير البرية، وجزاؤهم عند ربهم هذه الجنات، وهذا الخلود، وهذا الرضى.

* الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

والجواب: لايستوون؛ بل بينهما فرق كبير، وذلك الفرق وعدم الاستواء يكون في الدنيا، وفي الآخرة.

* ففي الدنيا: يحصل لهم معرفة الله وطاعته، والعمل بما تعلموه، وأن يكونوا قدوة للناس في الخير وأدلاَّء عليه مرشدين ومعلمين لغيرهم وموجهين الوجهة الصالحة، ولا شك أن هذا كله من ثمرات هذا العلم الصحيح. فهؤلاء هم الذين يعلمون.

* أما في الآخرة: فظاهر أن الفرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون كبير، وذلك:

* أن الذين يعلمون يوفَّقون للعمل فيُثابون عليه وثوابهم هو الجزاء الأوفى عليه عند الله تعالى.

* أما الذين لا يعلمون فإنهم أعرضوا عما خلقوا له، وما كُلِّفُوا به، ولم يُوفَّقوا للعمل الذي كُلِّفُوا به وهو الطاعات وترك المحرمات، فإنهم لم يكن معهم من

العلم ما يحملهم على العبادات، وما يحجزهم عن المخالفات، وإن كان معهم علم ولكن لم يعملوا به، فلا ينفعهم كما لم ينفع اليهود علمهم إذ لم يعملوا به فسماهم الله تعالى ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ في سورة الفاتحة، فالمغضوب عليهم هم اليهود لأن معهم علم لم يعملوا به، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من انحرف من العلماء من أمة محمد ولم يعمل بعلمه ففيه شَبَهٌ من اليهود، ومن انحرف من العباد وعبد الله على جهل ففيه شَبَهٌ من النصارى». شبه اليهود هو العالم الذي لم ينفعه علمه فيصير علمه وبالاً عليه، ويصير زيادة في توبيخه، والسبب في ذلك والله أعلم أنه لم يكن علمه صحيحاً بل كان علمه باطلاً.

فعلمه الذي تعلمه لم يصل به إلى اليقين، أو المعرفة الصحيحة، ولم يقوه على أن يعمل به العمل الذي تكون به النجاة، فلأجل ذلك أصبح مثل الجاهل ولربما كان الجاهل أعذر منه وأقل لوماً، كما روي أن العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم يعذبون، كما قال بعض الشعراء:

وعالم بعلمه لم يعملن

معذب من قبل عبّاد الوثن

فعلى هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. المراد به الذين يعلمون ويعملون، وهم أهل العلم الصحيح الذين عرفوا الحق، وعرفوا كيف يعملون به، وأما الذين عرفوه ولكن لا يعملون به فهؤلاء ليسوا علماء، ولو سمّوا أنفسهم علماء كما ذكرنا ولا يزيدهم ذلك إلا عتواً ونفوراً.

* الآية الرابعة:

قوله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وعدٌ من الله تعالىٰ أن يرفع الذين آمنوا منكم ـ أي: الصحابة ـ والذين أوتوا العلم ـ أي: منكم ومن غيركم ـ يرفعهم الله درجات، والدرجات قد تكون درجات في الدنيا، وقد تكون في الآخرة، وقد تكون درجات حسّية، أو درجات معنوية. والرفع هنا لاشك أنه رفع حقيقي، وذلك وعد الله تعالىٰ والله لا يخلف الميعاد.

* **فأما رفع الدرجات في الدنيا فهو**: أن يكون العالم له المنزلة عند الله، وله المنزلة بين عباد الله، فمنزلته بين العباد أن يعرفوا فضله، ويعرفوا ما منّ الله به عليه وأعطاه، ويكون من تمام هذه المعرفة أن يقتدوا به، ويقتنعوا منه، فإن قال قبلوا قوله، وإن دعاهم إلىٰ شيء امتثلوا، وإن نهاهم عن شيء انتهوا عنه، فالناس يحبونه ويحترمونه فيكون مطاعاً فيما بينهم، ويثاب علىٰ ذلك فيكون له أجر من اهتدىٰ علىٰ يديه، وأجر ما تعلمه أو علمه من الأحكام والأوامر والإرشادات.

ومن رفع الدرجات في الدنيا رفع المنزلة، وهذا الرفع قد لا يكون مطلوباً من العالم، ولكن يأبىٰ الله تعالىٰ إلا أن يرفعه وأن يعز من أطاعه ويذل من عصاه.

وكيفية ذلك: أن العلماء الذين وفقهم الله تعالىٰ إلىٰ علم الشريعة والعمل بها يرفعهم الله درجات، فتجد العامة يحترمونهم، ويحبونهم ويعرفونهم ويرفعون منزلتهم ويكرمونهم غاية الإكرام، ويقرّبونهم ويقتربون منهم، وتجدهم أيضاً يدلّون عليهم ويصدقون أقوالهم، ويتخذونهم قدوة وأسوة، وذلك من رفع الدرجات وقد وقع ذلك قديماً وحديثاً.

كان هناك علماء أجلاء من المتقدمين حرصوا على أن يخفوا أنفسهم، وحرصوا على أن لا يعرفهم أحد، ولكن ظهرت لهم المنزلة بين الناس. فعُرفوا، واشتهروا واشتهرت أقوالهم، واقْتُدِيَ بهم واحتُرِموا وانتشر ذكرهم وفشى أمرهم وخبرهم مع أنهم كانوا يتسترون ويستخفون.

ومن هؤلاء العلماء: سفيان بن سعيد الثوري من العراق وعبد الله بن المبارك المروزي من خراسان. فلاشك أنهم كانوا من العلماء الأجلاء، ولم يتصد أحد منهم لمنصب بل طُلِبوا، فطُلِبَ سفيان إلى القضاء فامتنع، ولكن صارت منزلته أرفع من منزلة القضاء ومنزلة الملوك وغيرهم!

كذلك ابن المبارك كان أيضاً يعمل في التجارة، وكان ينفق النفقات الكثيرة، وكان له من المنزلة بين الناس ما هو أكبر من منزلة الملوك، حتى رُوي أن بعض الملوك لما رأى بعض العلماء، ورأى من يحترمهم ويطيعهم كالثوري وغيرهم احتقر منزلته، وقال: هذا هو الملك! هؤلاء الذين يُتَّبعون من غير رغبة، أما نحن فنُتَّبع رغبة، فإذا منعناهم امتنعوا منا، وإذا قطعنا عنهم الجراية التي نجريها لهم تكالبوا علينا وعصونا! أما هؤلاء الذين يتبعون هؤلاء العلماء ويحترمونهم ويطيعونهم ويقتدون بهم ويكرمونهم ويقدمونهم، فما حملهم على ذلك إلا محبة للعلم، والله هو الذي جعل هذا الوقار لهم في قلوب الناس.

فلا شك أن هذا حاصل لكل من آتاه الله تعالى علماً صحيحاً.

* وأما رفع الدرجات في الآخرة: فإنه أعظم وأعظم، وهو الدرجات العالية في الجنة، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الانفال: ٤]، يعني منازل عند الله في الآخرة، وقال: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢]، فالدرجات هنا في الآخرة.

فوعد الله تعالىٰ أهل العلم بهذا الرفع، والله تعالىٰ لا يخلف وعده. فإذا حصل العالم علىٰ العلم، فعليه أن يثق بأن وعد الله حق، ولن يخلف وعده، وأنه سيرفعه إذا أخلص في علمه، ولو ابتعد عن المناصب والرئاسات والولايات ونحوها، إذا كان قصد المعرفة والعلم الصحيح، فقد وعده الله بأن يرفعه، وكفىٰ بذلك مرتبة.

هذه أربع آيات من القرآن، وهناك أدلة أخرىٰ في فضل العلم، نذكر بعضها باختصار:

منها: ما حكىٰ الله تعالىٰ عن الملائكة أنهم قالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]. فإن ذلك دليل علىٰ فضل العلم.

ومنها: ما استدل به بعض العلماء من قوله تعالىٰ في الجوارح: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤]. فاستدل بعضهم بذلك علىٰ فضل العلم.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، استدل به علىٰ تفاوت العلماء، ونحو ذلك من الآيات.

ثانياً: أدلة فضل العلم وأهميته في السنة:

الأدلة علىٰ فضل العلم وأهميته في السنة كثيرة، نذكر بعضها علىٰ سبيل المثال لا الحصر فمنها:

١ـ حديث: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً»:

هذا الحديث من أشهر الأحاديث الدالة علىٰ فضل العلم وهو مروي في السنن وفي المسند، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً**

لطالب العلم، وإن طالب العالم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولادرهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»[١].

هذا الحديث صحيح، وقد ذكر البخاري آخره في ترجمته، وذلك لأنه لم يكن على شرطه فلم يخرجه، ولكن خرجه العلماء وبيّنوا صحة سنده، وأنه حديث مشهور، وهو أفضل وأجمع ماورد في فضل العلم دلالة على أهميته.

قوله ﷺ: **«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل اللّه له طريقاً إلى الجنة»** لاشك أن هذه ميزة عظيمة، وفضيلة كبيرة وأجر عظيم، حيث يسهل الله له طريقه إلى الجنة، والجنة غاية المطالب، ونهاية المراتب، التي من نالها نجى من العذاب، وظفر بالثواب.

والطريق إلى الجنة سهل ويسير، وهو أن تلزم نفسك في تتبع مجالس العلم، وتقطع المسافات في الحصول على فائدة علمية لتزداد بها معرفة وبصيرة.

وقد يكون هذا السير في الزمن القصير أوالزمن الطويل، وفي المسافة القصيرة أوالطويلة، كل ذلك فيه سلوك طريق تلتمس فيه العلم.

ولقد اجتهد السلف رحمهم في العمل بذلك:

* فذكر عن جابر رضي الله عنه وهو من أجلاء الصحابة أنه سافر مسيرة شهر ذهاباً، ومسيرة شهر رجوعاً لأجل حديث واحد بلغه عن عبد الله بن أنيس بمصر، فسافر من المدينة إلى مصر على بعيره، قطع شهرين ذهاباً وإياباً ليحصل له هذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد ٥/١٩٦.

الأجر!

* كذلك اشتهر عن كثير من العلماء أنهم سافروا مسافات طويلة ليحصلوا على المعرفة والعلم الصحيح، فسافر الإمام أحمد رضي الله عنه من العراق إلى صنعاء لأجل أن يأخذ العلم عن شيخه عبد الرزاق مع أنه ظفر به في مكة، ولكنه لم يفسد نيّته التي عزمها على زيارته لأجل العلم.

رُوي أنه عزم من العراق هو ويحيى بن معين على أن يسافرا بعد حجهما إلى عبد الرزاق بصنعاء، فلما قدما إلى مكة وجدا بها عبد الرزاق وقد قدم حاجاً فقال له يحيى: قد قصّر الله لنا الطريق، وسهّل لنا المطلب، فلا نتكلف شهراً ذهاباً وشهراً إياباً ذاهبين إلى اليمن، فقال: لا تفسد نيتك، نيتك طلب العلم في ذلك المكان فلا تفسدها، فلم يأخذا منه ولم يتعلما عليه وهو بمكة حتى رجع، ورجعا معه، ولما وصلا إلى بلده التي هي صنعاء تعلما عليه، وسألاه، وطلبا منه، فهذا هو العلم! سلكا هذا المسلك الطويل لأجل أن يحصلا على العلم، وعلى طريق يوصلهم الله فيه إلى الجنة.

* وقد رحل كثير من العلماء عن بلادهم عدة سنين:

فهذا الخطيب البغدادي رحل في طلب العلم أكثر من عشرين عاماً!

ورحل الإمام محمد بن منده عن بلده أربعين سنة، كلها في طلب العلم وقدم بلاده بأحمال كتب على عدة جمال محملة بالكتب، وكل ذلك لأجل أن يحصل على العلم في تلك البلاد البعيدة أو القريبة، وما حملهم على هذا سوى أن يسلك الله بهم طريقاً إلى الجنة.

ويتجلى فضل العلم في الحديث المذكور في محاور أربعة:

أولاً: تواضع الملائكة لطالب العلم: فقد ورد في الحديث: «وأن الملائكة لتضع



أجنحتها لطالب العلم رضاً لما يصنع». أي: تتواضع، فوضع الأجنحة من الطائر هو دليل على تواضعه، فالطائر إذا تواضع مد جناحيه ويبسطهما على الأرض، والملائكة تتواضع لطالب العلم احتراماً ورفعاً له، واعترافاً بكرمه وبفضله.

ثانياً: العالم يضيء للناس وينفعهم: ذكر لله في الحديث «وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب». ومعلوم أن القمر أحد النيرين، والكواكب والنجوم لا تحصل بها الإضاءة كما يحصل بالقمر، فالعالم يضيء للناس وينفعهم، وليست الكواكب كذلك. فالعالم فضله عظيم على غيره من العباد فالذين اقتصروا على العبادة إنما نفعوا أنفسهم، والعالم نفع نفسه، ونفع غيره.

ثالثاً: العالم يستغفر له كل شيء: أما استغفار الأشياء للعالم فقد ذكر في الحديث: «وإن العالم ليستغفر له من في السماء ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء». تستغفر له الملائكة، وتستغفر له الدواب، وتستغفر له الوحوش، وتستغفر له الهوام والحشرات، حتى الحيتان ودواب البحر تستغفر له.

فقد ثبت أن هذه الدواب تدعو على العصاة، وتدعو للمطيعين، رُوي أنه إذا حصل قحط وجدب في السنين، فإن الدواب تلعن عصاة بني آدم، تقول: حُرِمْنا الرزق بسبب ذنوبهم، ومُنِعْنا المطر بسبب معاصيهم، ولذلك فُسِّر قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، أي: اللاعنون من الدواب والحشرات ونحوها، فإذا كانوا يلعنون العصاة فإنهم أيضاً يدعون للمطيعين، يستغفرون للعلماء، والعباد.

وقد حكى الله تعالى أن الملائكة يستغفرون لمن في الأرض يعني من العباد، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، إلى آخر الآية.

ولا شك أن هذا دليل على فضل العلم.

رابعاً: العلماء ورثة الأنبياء: ذُكِرَ في الحديث أن العلم الصحيح ميراث الأنبياء: «وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم» لأن الدينار والدرهم متاع الدنيا لا يقوم عندهم مقاماً ولا يسر من يهتم به، ومن يحرص عليه، وإنما ورثوا العلم.

رُوِيَ أن أبا هريرة رأى رجالاً جلوساً في السوق فقال لهم: «قوموا فإن هناك ميراث الأنبياء يُقسم». فظنوا أنه جاد، فجاءوا إلي حلقات في المسجد، وإذا بهم يتعلمون، فقالوا: أين الميراث الذي يُقسم؟ فقال: هذا هو ميراث الأنبياء، ألا وهو العلم، تعلموه، خذوا بنصيبٍ وبقسط وافرٍ منه[١].

فميراث الأنبياء هو العلم، ليس الدينار والدرهم والمتاع فإن المتاع فانٍ ومضمحل، فمن أخذ بهذا الميراث أخذ بحظ وافر، ومن حُرِمَه حُرِمَ خيري الدنيا والآخرة ولو حصل له المال، والمنصب، ولو حصل له ما حصل.

٢ـ حديث: «من يرد الله به خيراً»:

ومن الأدلة على فضل العلم فيما ورد في السنة قول النبي ﷺ: «من يرد اللَّه به خيراً يفقهه في الدين»[٢]. والخير هنا ليس هو المال فقط، وإن كان المال قد يُفَسَّرُ بالخير، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، ولكن الخير هنا هو الخير الأخروي، والخير الدنيوي الذي يكون بسببه سعيداً في الآخرة، وسعيداً في الدنيا.

والفقه والتفقه في الدين هو التعلم والتعقل. فالمعنى أن الذي يشتغل بالتفقه،

---

(١) تولى شرح هذا الحديث الإمام ابن رجب رحمه الله وشرحه مطبوع.
(٢) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

ويشتغل بالتعلم في الدين ـ والدين هنا هو العلم الشرعي ـ هو ممن أراد الله به خيراً، ووفقه هذا التوفيق ولابد أن تظهر عليه آثاره.

٣ـ حديث : «طلب العلم فريضة»:

وكذلك من الأدلة التي وردت في السنة ذلك الحديث المشهور : «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[١] ، وذلك أن العلم الحقيقي الذي هو معرفة الأحكام الشرعية فرضٌ على كل مسلم، لأن من لم يتعلمه، ولم يعرفه فإنه يعبد الله على جهالة، والعمل على جهالة لا يُقْبَل، فالله لا يقبل العبادة إلا على الأمر الذي أراده.

فالذي لا يتعلم كيفية أداء العبادة لا يُحْسِن أداءها، والذي لا يتعلم شروطها وأركانها وواجباتها وصفتها ومكملاتها، ومبطلاتها؛ لابد وأن يقع فيما يخل بها، وهو إما أن يكون عنده الحافز أو الدافع لتعلمها أو العمل بها، أو لا يكون عنده الدافع أو الحافز لذلك فيعمل على غير ما أمر به!! فيقع في شر وفساد، فلا تكون مجزئة عنه، لذلك ذكر في هذا الحديث أنه فرض، وواجب على كل مسلم.

■ ■ ■ ■ ■

(١) أورده الطبراني في الكبير ١٠/ ٢٤٠، وهو جزء من حديث أخرجه ابن ماجه (٢٢٤). عن أنس بن مالك.

وسائل تحصيل العلم في هذه الأزمان

ذكرنا أن العلماء الأولين كانوا يتعبون ويجتهدون في سبيل تحصيل العلم، وذكرنا أن منهم من سافر عشرين سنة أو أربعين سنة! ومنهم من سافر في حديث واحد شهرين!

وفي زماننا هذا سهلت الأسباب وتيسرت، وصار العلم وتحصيله من السهولة بحيث يمكن حصوله بدون تعب وكلفة في طرائق تحصيله، ولكن مع ذلك كله لايزال طلب العلم فيه صعوبة، وفيه مشقة، وإن لم يكن يحدث لكل متعلم. وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله في طلب العلم وكيفية طلبه: **«العلم بطيء اللزام، بعيد المرام، لايُدْرَك بالسهام، ولا يُرى في المنام، ولا يُورث عن الاباء ولا عن الأعمام، إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تغرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس، ولا يحصل إلا بالاستناد إلى الحجر، وافتراش المدر، وقلة النوم، وصلة الليل باليوم، ولا يحصل إلا لمن أنفق العينين وجثى على الركبتين، انظر إلى من شغل نهاره بالجمع وليله بالجماع، أيخرج من ذلك فقيهاً؟ كلا والله، حتى يعتضد الدفاتر، ويستحصل المحابر، ويقطع القفار، ولا يفصل في طلبه بين الليل والنهار»**. فهذا تمثيل العلم في زمنه، وكذا أيضاً في زماننا.

* فقوله: رحمه الله: **(العلم بطيء اللزام)**: يعني أنه شديد الإمساك يحتاج إلى من يسعى ليمسكه، ليس قريب المنال؛ بل إنه بطيء حتى يصل إليه ويلتزمه.

* وقوله: **(بعيد المرام)**: أي أنه ليس له منتهى، فالعلم لا نهاية له، لكثرة فروعه ومكملاته وتعليقاته، كما روي في بعض الأحاديث: **«منهومان لا يشبعان**



طالب علم، وطالب مال»[١] فطالب العلم إذا كان منهوماً فإنه لا يشبع من تعلمه، ولن يصل إلىٰ منتهاه. لذلك قال بعض العلماء: العلم كثير والعمر قصير، فينبغي للمسلم أن يبدأ بالأهم فالمهم.

* وقوله: (لا يدرك بالسهام): فإنه يعني بالسهام: القرعة، يعني أنه لو أقرع بين أناس لم تحصل بهذه القرعة فضيلة العلم ولا مناله ولا تحصيله، فليس العلم مثل الأموال التي تحصل بالمساهمة، إنما العلم بالتعلم.

* وقوله: (ولا يرى بالمنام): فالمعنىٰ أن رؤيا الإنسان نفسه أنه عالم لا يجعله ذلك الحُلْم عالماً في الحقيقة.

* وقوله: (ولا يورث عن الاباء ولا عن الأعمام): أنه ليس شرطاً أن يكون أولاد العالم أو أحفاده أو أولاد أخيه علماء، بل يكادون أن يكونوا جهلاء!

وقد يحصل علىٰ العلم من ليس له آباء من أهل العلم، فهو موهبة من الله تعالىٰ يمن به علىٰ عبده فيحصل علىٰ العلم بهذه الطريقة أو بتلك الطريقة.

* وقوله: (إنما هو شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولا تغرس إلا في النفس، ولا تسقى إلا بالدرس): قد مثّل العلم بأنه شجرة لا تصلح إلا بالغرس، ولكن ليس كالشجر الذي يغرس في الأرض، فهذه تغرس في النفس، وهي تحتاج أيضاً إلىٰ سقي، ولكن ما هو سقيها؟ إنها تسقىٰ بالدرس! الدرس الذي هو التعلم والقراءة فهذا سقيها الذي تنبت عليه.

* وقوله: (ولا يحصل إلا بالاستناد إلى الحجر، وافتراش المدر): فالحجر معروف، يعني الذي يريد أن يتعلم عليه أن يصبر علىٰ التعب حتىٰ ولو استند إلىٰ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٩٢، والطبراني في الكبير ١٠/ ٢٢٣. والدارمي في سننه.

حجر ، وافترش المدر يعني التراب اليابس، فلا يلزم أن تفترش دائماً سجادات أو فرشاً وطيئة لطيفة أو سرراً رفيعة، بل اصبر على المشقة إذا كنت تريد الحصول على العلم.

* وقوله: (**وقلة النوم، وصلة الليل باليوم**): يعني السهر والجد في طلب العلم ليلاً ونهاراً.

* وقوله: (**ولا يحصل إلا لمن ينفق العينين**): والعينان هما: المال والعين الباصرة، فالعين الأولى هي: المال: يعني ينفق المال في سبيل التعلم في الأسفار وشراء الكتب وما أشبه ذلك.

أما العين الثانية: فهي العين الباصرة: يعني أنه يقرأ ويسهر في القراءة.

* وقوله (**وجثى على الركبتين**): فمن المعروف أنه يجب على طالب العلم أن يجلس جلسة المتأدب؛ فيجلس على الركبتين. إلى آخر ما ذكره الإمام الشافعي رحمه الله.

وعلى كل حال فإن هذا يمثل صعوبة تحصيل العلم في زمانهم، فعلى المسلم الذي يريد تحصيله أن يبذل فيه الأسباب، وفي هذا يقول الشاعر:

أخي لن تنال العلم إلا بستة

سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاءٍ وحرصٍ واجتهادٍ وبلغةٍ

وإرشادِ استاذٍ وطول زمانِ

وبعد هذه المقدمة في بيان أن تحصيل العلم في الماضي فيه شيء من الصعوبة وشيء من الخشونة، نقول: أما في هذه الأزمان فإن وسائل تحصيل العلم موفرة

وميسرة، وهي ليست بحاجة إلى الكلفة التي كان ينالها المتقدمون، ومن هذه الوسائل:

أولاً: الوسائل الشخصية:

١ - الكتب:

لا شك أن الكتب وسيلة هامة لتحصيل العلم، ولا يمثل الحصول عليها صعوبة تذكر .

* فمنها ما يوزع مجاناً حيث يسر الله من أهل الخير من يطبعها ويوزعها .

* ومنها ما يباع بثمن بخس .

*ومنها ما يوقف ويستفيد منه الطالب وهو في موضعه في المكتبات الخاصة أو العامة.

ولكن هناك اعتبارات للحصول على الفائدة من هذه الكتب ومنها:

أ ـ **فحص محتويات الكتاب**: يجب فحص محتوى الكتاب للوقوف على مدى فائدته من عدمها، فليست كل الكتب مفيدة، كما ليست كلها على قدر واحد من الخطأ والزلات، فلابد أن تسأل عن محتوى الكتاب، حتى تقف على مدى فائدته.

ب ـ **كيفية الاستفادة من الكتاب**: لابد أ ن تعرف كيفية تحصيل الفوائد من الكتاب، وذلك بمعرفة فهارسه ومحتوياته، ومواضع أبوابه ومسائله حتى يسهل عليك استخراج المسألة عند الحاجة إليها.

وقد كان الأولون يحرصون على تحصيل العلم، ولكن لا يجدون الكتب المتوفرة، فيسهرون الليل كله ينسخون، فيبقى أحدهم أشهراً ينسخ كتاباً واحداً،



أما بعد وجود هذه المطابع التي تطبع وتنشر، فإنه قد سهل تحصيل العلم وتناوله، ووجدت المؤلفات القديمة والمتأخرة بكثرة وبأيسر الأسباب.

٣ - العلماء:

يعد العلماء وحملة العلم منبعاً آخر من منابع تحصيل العلم، وهم موجودون بحمد الله في هذه البلاد وفي غيرها من البلاد الإسلامية، وطريقة الاتصال بهم والقراءة عليهم موفورة وميسرة .

وواجب على العلماء أن يبسطوا جانبهم لطالب العلم، وأن يعلموه كما أخذ الله عليهم العهد.

يقول بعض العلماء: إن الله أخذ العهد على الجاهل أن يتعلم، وعلى العالم أن يُعلّم، فقال في حق الجاهلين: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال في حق أهل العلم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٥٩]. فإذا اجتمع عدد من الطلاب، فسألوا عالماً من العلماء أن يخصص لهم ساعة من ساعاته ليعلمهم مما علّمه الله فإنه سيستجيب لذلك فتُقَام عنده حلقات في المساجد، أو البيوت، أو المكتبات الخيرية، أو في غيرها، وبهذا يتعلم الجاهل ويحب العلم والحرص عليه.

وتوجد حلقات لمشاهير العلماء في هذه البلاد، وفي نواحيها لا يضنون بالعلم، ولا يبخلون به، جزاهم الله خيراً .

وليس المقصود بالعالم من بلغ رتبة عليا أو منصباً رفيعاً فقط، بل العالم كل من حصل على علم وإن كان قليلاً، فقد يكون مجيداً لجانب من العلم فعليه أن



يعلم هذا الجانب الذي يعلمه لمن يجهله .

٣ - الزملاء والأصدقاء:

الزملاء والأصدقاء يشكلون وسيلة ميسرة لتحصيل العلم وذلك :

* من طريق المذاكرة ، فقد يحفظ طالب مسألة ثم ينساها ، فيذكره زميله فيتذكر ، أو يكون شاكاً في مسألة فيجد جوابها عنده .

* ومنها الاجتماعات ، فيتبادلون المسائل فيما بينهم ، أو تعترضهم مسألة فيجتهدون في الوصول إلىٰ حكمها .

* ومن طريق الرحلات أو التجول في السيارات فيتبادلون المسائل فيلقىٰ كل بما عنده من العلم ، وإن اختلفوا رجعوا إلىٰ من يخبرهم بجوابها أو يحيلهم إلىٰ عالم ، وهكذا حتىٰ يستفيدوا ويحصلوا علىٰ العلم .

٤ - المكتبات الخيرية:

والمكتبات الخيرية موجودة بحمد الله وكثيرة في المساجد ، وفي المكتبات العامة ، وهي وسيلة من وسائل طلب العلم وتحصيله ، ومن لديه الوقت في إمكانه أن يأتي إلىٰ تلك المكتبات ، فيجد فيها بُغيته ، فيجد فيها كتب التفسير ، وكتب الحديث ، وكتب الفقه ، وكتب العقائد وما أشبه ذلك من الكتب الدينية التي يستفيد منها في حياته ، فيوزع القراءة علىٰ الأيام ، لكل يوم فن حسبما يرغب ، فيحصل علىٰ جانب من العلم قل أم كثر ، ويدفعه ذلك إلىٰ العمل إن شاء الله تعالىٰ .

٥ - وسائل الاتصال المختلفة:

* من وسائل الإتصال المختلفة في هذا الزمان ما يسمىٰ (بالهاتف) ، فالهاتف

أحد الوسائل التي يسرها الله لنا، حيث يمكن للإنسان إذا ما أشكلت عليه مسألة أن يتصل بعالم بعيد في خارج المملكة أو بداخلها أو في أطرافها، فيستفيد من الأجوبة حسب البرامج الدينية المتاحة وهو جالس على متكئه لا يتكلف مشقة ولا صعوبة .

ثانياً: الوسائل العامة :

١ - المدارس الحكومية وغير الحكومية:

لقد بذلت الحكومة أيدها الله كل الوسع في التعليم، فالمدارس وسيلة لتعلم العلم، حيث يتم تعليم المبتدئين مبادئ العلم في المرحلة الأولى الابتدائية، فصلاً فصلاً إلى المتوسطة ثم الثانوية ثم الجامعية وفيها عدة تخصصات حسبما يراه طالب العلم وهذا بلاشك يُكْسِب الإنسان معرفة، ولو كان يتعلم علوماً شرعية وعلوماً آلية، ولكن هناك مؤسسات وجامعات وكليات متخصصة بالعلوم الشرعية وفي الإمكان الاتصال بها.

وهناك تخصصات أخرى في إمكان الطالب التخصص فيها بعد أن يحصل على الشهادات أو الدراسات العامة، ولا شك أن هذه من أكبر الوسائل، ولأجل ذلك انتشر العلم والحمد لله في أقطار المملكة، فلا تجد أمياً إلا نادراً، ولا تجد شاباً إلا وهو يقرأ ويكتب ويكون في متناول يده القرآن إذا تيسر له وقت قرأه بنفسه .

٢ - مدارس تحفيظ القرآن الكريم:

تعد مدارس تحفيظ القرآن الكريم من وسائل العلم التي يسرتها الحكومة وشجعت عليها، وأعانت على ذلك بجوائز بما يحفِّز على التزود من كتاب الله.

وفي هذه المدارس يمكن للطالب أن يقرأ فيها وأن يحفظ ما تيسر له حتى

يحفظ هذا القرآن الذي هو أشرف العلوم وأهمها.

٣ - المراكز الصيفية

لاشك أن المدارس الصيفية من الوسائل التي تَحْصُل فيها الفوائد من التعليم والتفقيه والتثقيف والنشاط والاستفادة، وحفظ الوقت وينصرف منها الإنسان وقد تزود من المعلومات والفوائد.

■ ■ ■ ■ ■



معوقات تحصيل العلم

لاشك أن العوائق في سبيل تحصيل العلم متمكنة في هذه الأزمنة وموجودة في كثير من الشباب، وقد حال ذلك بينهم وبين تحصيل الخير ولا بد من بيان شيء من هذه العوائق حتىٰ يحذرها طالب العلم، ومنها:

١ - جلساء السوء:

جلساء السوء يحرمون الإنسان من مجالس الخير، ومن حلقات العلم، وما أكثرهم، فقد يخبر الطالب أحد أصدقائه أو زملائه بعزمه علىٰ الذهاب إلىٰ الدرس الفلاني أو الحلقة الفلانية فيعيقه عن ذلك، ويدّعي أن لا أهمية ولا فائدة في ذلك!! فهذا هو جليس السوء الذي يجب الابتعاد عنه والحذر منه.

٢ - الملاهي والألعاب:

كثيراً ما تعوق الملاهي والألعاب عن طلب العلم، فترىٰ أحدهم يقول لصديقه: هلمَّ بنا إلىٰ حلقات العلم أو إلىٰ المراكز الصيفية أو المسجد الفلاني، فلا يزال به صديقه هذا يغريه حتىٰ يصرفه عن ذلك إلىٰ ما هو أدنىٰ، فيقول: بل نذهب إلىٰ المباريات والألعاب الفلانية، فتراهم يعكفون طوال ليلهم علىٰ لعب الورق، أو مشاهدة برامج التلفاز من المباريات وغيرها، حتىٰ يضيع الوقت!! يستبدلون الذي أدنىٰ بالذي هو خير.

٣ - آلات اللهو:

ما أكثر الذين يعكفون علىٰ آلات اللهو التي صدتهم عن العلم الصحيح،

ومتىٰ يحصل وقت للذين عكفوا علىٰ سماع الأغاني من الأشرطة والإذاعات ، وعلىٰ مشاهدة الأفلام الهابطة من الفيديو والتلفاز ؟!

وهذا بلا شك من أخطر المعوقات عن العلم ، فعلىٰ العاقل أن يعرفه ويحذره.

٤ - الشهوات :

والشهوات التي يتمادىٰ فيها الإنسان وتعوقه عن التحصيل العلمي علىٰ أصناف :

* منها : شهوة الكسل، فيتكاسل عن حضور مجالس العلم وحلقاته فيُحرم خيراً كثيراً .

* ومنها : شهوة النوم والافراط فيه فينام ليلاً ونهاراً! ويعطي نفسه منه ما تتمناه فيفوته العلم .

* ومنها : الخروج إلىٰ الأسواق والتجول في الطرقات، والنظر إلىٰ هذا وهذه! فيتبع نفسه هواها في قضاء ليله ونهاره في التسكع في الطرق ذهاباً وإياباً، فتهدر أوقاته، وهذا من أفتك المعوقات بطاقات الشباب ، فليحذروا منه .

٥ - المجلات والصحف..

الصحف والمجلات غير المفيدة مما ابتلىٰ بها الناس في هذه الأزمنة، فيقرأ الإنسان تلك الصحف بدون فائدة، وقد انتشرت تلك الصحف والمجلات وصار أحدهم لا يشبع من قرائتها ولا يستفيد منها إلا قتل الوقت والانشغال عما هو مفيد.

وهكذا الكتب قد تكون مضرة أو مُلْهِيةً بلا فائدة، هذا إن لم يكن فيها

ضرر، فيلقن الذي يقرأها عقيدة فاسدة، شراً وفساداً، مما لا تصلح به المجتمعات.

٦ - الأسفار الخارجية والداخلية..

تلك الأسفار الخارجية والداخلية التي كثيراً ما يقوم بها طلبة العلم لغير فائدة علمية سوىٰ قطع الوقت، فتراهم يرحلون رحلات غير مفيدة، لا يترتب عليها إلا إضاعة الوقت والمال، فهذا من أكبر عائق عن تحصيل العلم.

فهذه العوائق وما أشبهها مما يحصل بها شغل عن الخير، وصد عن العلم، ولكن إذا عرف العاقل أنها مُفْسِدة، وأنها ضارة فما عليه إلا أن يحاربها، وأن يشتغل بالأسباب التي تعينه علىٰ العلم، وتؤهله علىٰ أن يكون من حملته.

نسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، ويرزقنا علماً نافعاً، ونعوذ به من علم لا ينفع، إنه علىٰ كل شيء قدير، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■




الرسالة الخامسة:

السلف الصالح بين العلم والإيمان




تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبد اللَّه بن عبد الرحمن الجبرين

الحمد لله أحمده، وأستعينه وأستهديه، وأسأله التوفيق للعلم الصحيح، وأسلم على أشرف أنبيائه محمد وآله وصحبه.

وبعد:

فهذه محاضرة ألقيتها في أحد المساجد، وسجلها بعض التلاميذ ثم نسخها، وأحب نشرها ليعمَّ نفعُها، وليعلم مَن قرأها ما كان عليه سلفُ هذه الأمة من قوة الإيمان، ورسوخ العقيدة، والثبات على الحق، والتمسك بالسنة والدليل، والعمل بالشريعة، وما نتج عن ذلك، مما هو أثر من آثاره، من التضحية في سبيل إظهار الحق بالنفس والنفيس، والتفاني في التشبُّثِ بهذا الدين، مهما حصل على أهله من الضرر والأذى في ذلك، وأن مَنْ كان كذلك فله العاقبة الحميدة، كما كانت لأولئك السلفِ رحمهم الله، وجعلنا من أتباعهم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

١٠/١/١٤١٣

■ ■ ■ ■ ■



المقـــدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد[(١)]:

فإنّ المحبة الخالصة هي ما كانت لوجه الله تعالى، نسأل الله حُبَّه، وحب من يحبه، كما نسأله تعالى أن يجعلَنا ممن يحبون نبيه الأمين، وصحابته الطيبين، الذين كانت أقوالُهم حجةً لِتَبصُّرِهِم بدين الله، فكانت أقوالهم لا تصدر إلا عن توثيق، ولا يعملون إلا عن دليل، ولا يروون الأحاديث إلا عن تثبت.

لهذا جاء القرآن بتفضيلهم، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وجاءت السُّنَّة بتفضيلهم، كما في قوله ﷺ: «**إن خيركم قرني، ثم الذين يلُونهم، ثم الذين يلُونهم، ثم الذين يلُونهم**قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة- **ثم يكونُ بعدَهم قومٌ يَشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَن**»[(٢)].

وسوف نتناول في هذه الرسالة المتواضعة هؤلاء السلف، عِلَمهم وعملَهم، فهم القدوة، وهم المثل الأعلى. لعل الله أن يوفقنا لنترسَّم خطاهم، ونقتدي بهداهم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة لفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين، تم نسخها في أوراق، ثم صححتها وحذفت ما تكرر فيها من ألفاظ وأضفت إليها زيادات تناسب المقام، ثم عرضتها على فضيلة الشيخ فصححها وأذن بطبعها ونشرها، لينتفع بها الجميع، نسأل الله أن يجعلها في موازين أعماله، وأن يكتب الأجر والثواب لكل من ساهم في إخراجها إنه سميع مجيب. (أبو أنس).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥)، والسِّمن أي: السُّمْنَة.

مفهوم السلف وفضلهم

المراد بالسلف الصالح :

اصطلح العلماء على أن المراد بالسَّلَف : هم أهل القرون المفضلة. أي : أن أهل القرون الثلاثة الأولى للهجرة يسمَّون : «السلف». بينما يُسمَّى مَن بَعدَهم : «الخَلَف» إذا كانوا على الإسلام.

والخَلَف أنقصُ من السلف، والخلف قد يكون سيِّئاً، كما ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى : ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ [مريم : ٥٩].

فالسلف هم : الصحابة، والتابعون، وتابعو التابعين. وأتباع تابعي التابعين.

فالصحابةُ : هم الذين رأوا النبي ﷺ، وآمنوا به، وماتوا على الإيمان، ذكوراً وإناثاً، وقد حازوا قَصَبَ السَّبْق، ذلك أنهم سبقوا غيرهم، فصحبوا النبي ﷺ، وأخذوا عنه، وسمعوا منه، ولا شك في مزيتهم هذه .

والتابعيُّ : هو من رأى أحداً من الصحابة، وعَقَلَ رؤيته، ولو من أصغر الصحابة، فيُمنح اسمَ تابعيّ اصطلاحاً، لأنه تابعٌ لمن قبله .

واستمرَّ التابعون، فعمَّرَ بعضهم حتى أواخر القرن الثاني، ولكنهم يتفاوتون. فمن أكابرهم من أهل المدينة : الفقهاءُ السبعة الذين أدركوا الصحابة : كسعيد بن المسيِّب، وعبيد الله بن عُبيدِ الله بن عتبة بن مسعود، والقاسم بن محمد

ابن أبي بكر . . . ونحوهم من أولاد الصحابة الذين أخذوا عن كبار الصحابة، وأدركوا الخلفاء أو بعضهم.

ومن أصاغر التابعين من رأىٰ بعضهم، حيث ذكروا أن الأعمش أدرك ـ أو رأى ـ أنس بن مالك، فكُتب له رؤية، فأصبح من التابعين.

أما تابعو التابعين: فهم الذين رأَوا التابعين، ولو من متأخري التابعين، وما أُثر أنهم رأَوا أحداً من الصحابة، أو أدركوا أحداً منهم ولو كان من المتأخرين، ويُذكر أنه لم يبق أحدٌ من الصحابة مع انتهاء القرن الأول، وقيل: إنَّ آخرهم موتاً أنسُ ابن مالك الذي مات سنة ثلاث وتسعين، وقيل: إن منهم من أدرك المائة، كالطفيل.

ومنهم بعضُ كبار الأئمة، كمالك بن أنس، وأبي عبدالرحمن الأوزاعي ومَن في طبقتهما، فهؤلاء من أكابر تابعي التابعين، ومنهم أيضاً من العلماء، ومن أكابر حَمَلَةِ العلم.

وتابعو التابعين بقُوا إلىٰ قرب القرن الثالث، أو أواسطه.

أما أتباع تابعي التابعين: فمنهم الأئمة، كالبخاري، ومسلم، والشافعي، وأحمد، ونحوهم. وهؤلاء من أكابر أتباع تابعي التابعين.

وخلاصة القول أن أهل القرون الثلاثة، هم ـ ومَن في طبقتهم ـ: يطلق عليهم السَّلَفُ.

وسُموا سلفاً لأنهم مَضَوا، والسلف معناه المُضِيُّ، فسَلَفَ الشيء معناه: مضىٰ وانقضىٰ وانقرض. فهم قد سلفوا، ولكنهم قد سلفوا علىٰ الاستقامة، وسلفوا علىٰ العقيدة السليمة، ليس فيهم من هو منحرف، أو مبتدع، وهم حَفَظَةُ العلم، ومنهم العبَّاد ونحوهم من رجال ونساء، وكانوا علىٰ العموم قدوةً.

سبب تفضيل السلف الصالح:

* **لماذا فُضِّل السلف على من بعدهم؟**

ورد الشرع بتفضيل السلف، وكذلك فإن فضلهم وأفضليتهم نصَّت عليه السنة.

فذكر الإمام أحمد في رسالته الصلاة: أن النبي ﷺ قال: **«أنتم خيرٌ من أبنائكم، وأبناؤكم خير من أبنائهم، وأبناءُ أبنائكم خير من أبنائهم»**[(١)] .

فالمقصود أن الخيرية تكون للأُوَل، ولا شك أن الأولين حازوا قَصَبَ السَّبْق، وهو الصحبة لرسول الله ﷺ، فكانوا أفضل ممن بعدهم.

ولهذا اتفقوا على أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ عدول تُقبل روايتُهم، ولم يُنقل عن أحد منهم ضعف، ولا كذب، ولا ردٌّ في رواية. بل قُبلت روايتُهم كلهم، واتُّفق على أنهم كلهم عدول، وهذا من مميزاتهم.

وثبت أيضاً في الصحيح قول النبي ﷺ: **«إن خيركم قرني[(٢)] ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثة ـ ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمَنُ»**[(٣)] .

يعني تظهر فيهم السِّمنة. وفي هذا الحديث دليل أيضاً على أفضليتهم.

---

(١) أخرجه البراز (٢٧٧٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وانظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٠ـ٢٧١).

(٢) أي: القرن الذي بعث فيهم.

(٣) سبق تخريجه، انظر صفحة: ١٤٥.

ترتيب أفضلية السلف:

أما ترتيبهم في الفضل فهو كترتيبهم في الوجود، فأفضلهم القرن الأول الذي انقضىٰ بسنة مائة، ويليه القرن الثاني الذي انقضىٰ بسنة مائتين، ويليه القرن الثالث الذي انقضىٰ بسنة ثلاثمائة.

هذا إذا اعتبرنا أن القرن هو مائة عام، ومنهم من يقول: إن القرن هم الجماعة الذين يتواجدون في زمان واحد، وتتقارب سنواتهم ثم يَفْنَون، فآخرهم هو آخر القرن.

ولا شك أنهم في ذلك الزمان، أو في تلك القرون كان فيهم الفضل، وفيهم الشرف، وفيهم العقيدة السليمة، فكانوا بذلك أفضل.

كذلك فلم تظهر البدع، ولم تظهر المُحْدَثات، وإذا ظهرت بدعة، كانت مضطهدة، وأهلها أذلة! فكانوا بذلك أفضل من غيرهم، لهذا كانوا قدوة لمن بعدهم. لهذا تُتَخذ أقوالهم حجة، أي: يُحتجُّ بها؛ سيما أقوال علمائهم وعُبَّادهم الذين تبصَّروا في دين الله، وعبدوا الله علىٰ نور وبرهان، فتُتخذ أقوالُهم دليلاً، وذلك لأننا نحسن الظن بهم، فهم لا يعملون إلا عن دليل، ولا يقولون إلا عن توثيق، ولا يروون إلا عن تثبُّت.

ولهذا تُقبل مراسيل الصحابة بالاتفاق. ومراسيلُ كبار التابعين فيها خلاف، ولكن يرجح قبولها إذا دلَّت القرائن علىٰ صحتها، ولو لم تثبت مسندة.

وهكذا أيضاً أقوالهم التي يحتجون عليها، أو يذهبون إليها، تُتَخذ أيضاً دليلاً، فيُقَال: هذا القول قد سبقنا إليه فلان الصحابي، أو التابعي، أو قد قال به قبلنا من التابعين فلان وفلان، وهم من العلماء الأجلاء الذين لا يقولون إلا عن توثيق.

علم السلف

حقيقة علم السلف:

إن المقصود بالعلم هو العلم الصحيح، العلم الموروث عن الرسل، ميراث أنبياء الله، كما قال النبي ﷺ: **«إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُوَرِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما وَرَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر»**[1] .

فعلم السلف متلقى عن الرسول ﷺ، أخذه صغيرهم عن كبيرهم، وكبيرهم عمن كان قبله، إلى أن ثبّتوا ذلك وأوصلوه إلى مصدره، ومعينه الصافي. وهو النبي ﷺ .

وقد قيَّض اللهُ علماء في هذه الأمة منهم ومن بعدهم، لحفظ هذا العلم الصحيح، ولتصفيته وحمايته مما يدخل فيه من الأكاذيب، ولهذا اشتغلوا بوضع الأسانيد التي توجد في كتب الحديث، حتى لا يُقبل قول إلا بعد التثبُّت من صحته.

ذكر بعض العلماء أن السلف لم يكونوا يسألون الصحابة عن الإسناد، ولكن رأوا من بعض الناس التساهل في رواية ما لم يثبت. فقال الرواة: سمَّوا لنا رجالكم (حتى يعلموا ممن أخذوا عنه) فإذا سموا رجلاً موثوقاً وثبتاً، عرفوا أن الحديث أو الأثر مقبول وثابت، وإذا سمَّوا من هو ضعيف أو ليس هو بأهل، عرفوا أن ذلك لا يثبت، وهذا هو سبب وضع هذه الأسانيد، وهذا دليل على

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

حرص السلف ـ رضي الله عنهم ـ على حفظ السنة، وعلى حمايتها مما هو دخيل فيها.

مضمون علم السلف:

يشمل علم السلف حِفْظَهم للسنة النبوية التي رووها عن النبي ﷺ، وكذلك حِفْظَهم لكلام الله سبحانه وتعالى، وحرصهم على حماية ذلك العلم من أيدي العابثين، ولهذا اهتموا أولاً بتدوين كتاب الله بعد موت النبي ﷺ، فكتبوه في مصاحف، وأثبتوه في صحف، حتى لا يذهب أو يُفْقَد منه شيء.

وكان من علمهم أيضاً أنهم اشتغلوا ببيان القرآن وإيضاحه، وتفسيرهم لمعانيه التي قد تخفى على من بعدهم، ذلك لأنهم شاهدوا التنزيل، ولأنه نزل بلغتهم وبلسانهم، ولأنهم أعرف بأسباب النزول وما يُراد به.

من أجل هذا تُقَدَّمُ تفاسير الصحابة وتفاسير تلاميذ الصحابةعلى من بعدهم من أهل الأزمنة المتأخرة، الذين يطبقونه على الوقائع والحالات، وما أشبه ذلك.

ولهذا فإن علماء الأمة الذين اشتغلوا بعلم التفسير، يستشهدون بالأحاديث أو الآثار التي لها صلة بالقرآن، ذلك أنها بيان له.

فنحن نعلم أن الله أنزل هذه الشريعة وهذه الرسالة على محمد ﷺ، وكلَّفه بأن يُبلِّغها للناس بقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ونحن بلا شك نؤمن أنه ﷺ قد بلغ الرسالة، بل إنه لم يقتصر على إلقائها عليهم؛ بل إنه ﷺ وضَّحها بالعمل وبالقول، فشرع لهم ما خفي عنهم، وأوضح لهم ما يحتاجون إلى إيضاحه عملاً بأمر الله تعالى له: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ



لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وبيان الكتاب هو بيانه بالفعل: في الصلاة، والحج، وما أشبه ذلك من الأشياء المجملة، وكالحدود والعقوبات. كذلك فقد أوضح الرسول ﷺ الآيات، وبيّن المراد منها كما استشهد بذلك المفسِّرون ولا شك أن الصحابة قد بلّغوا ذلك وبيّنوه لتلاميذهم، ذلك أن النبي ﷺ كلّفهم بذلك. فثبت عنه ﷺ أنه قال: «لِيُبلِّغ الشاهدُ الغائبَ»[1]. وقال فيما ثبت عنه: «نضَّر اللّه امرأ سمع مقالتي فوعاها وأدّاها كما سمعها، فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع، وربَّ حاملِ فقه غير فقيه، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقهُ منه»[2].

فلما سمعوا ذلك منه عرفوا أنه سوف ينتقل إلى الرفيق الأعلى، وأنهم سوف يقومون بعده بتحمُّل هذه الشريعة، وبحمل نصوصها، وحمل معانيها، وحمل كيفياتها، فما سكتوا، بل بلّغوا ذلك وأخبروا خاصًا وعامًا بما علموه، وبما حفظوه وتلقَّوه عن النبي ﷺ. وهكذا ظهرت أعمالهم طبقاً لذلك العلم، وذلك أن العلم إذا كان سليماً وصحيحاً فإنه يتبعه العمل، لأنه ثمرته.

ولا شك أن علوم السلف التي تلقَّوها عن نبيهم ﷺ، وتلقوها عن مشايخهم وأكابرهم، لا شك أنها علوم صحيحة، وكلها فيما يتعلق بالشريعة، وفيما يتعلق بالأمر والنهي من الله عز وجل. فتعلموا منها ما يتقربون به إلى الله عز وجل وهي أمور العبادة.

وتعلموا منها ما يلزمهم في هذه الحياة من الأعمال، وما يلزمهم تركُه من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧) من حديث أبي بكر رضي الله عنه، ومسلم (١٣٥٤) من حديث أبي شريح رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند(٥/ ١٨٣)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وابن ماجه (٢٣٠) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

المحرمات ونحو ذلك، تعلّموا ذلك كله وبلَّغوه.

ولا شك أن من اقتدىٰ بهم في هذا ممن جاء بعدهم - ولو بعدة قرون - أنهم يُحشرون في زمرتهم. ذلك أن اقتداءهم بهم، وإرثهم لعلومهم، وحرصهم علىٰ ذلك؛ بل وتدوين تلك الأحداث، لا شك أن في ذلك تفضيلاً لهم ودليلاً علىٰ محبتهم لهم، وتقديرهم حقَّ قدرهم، ولا شك أنه سيتَّبعهم بالإيمان، وسيتبعهم بالعمل، فيعمل أعمالهم، ثم هو يوم القيامة يحشر في زمرتهم، فإن من أحب قوماً حُشر معهم، كما ورد في الحديث(١).

فنقول ونحن نبحث في علم السلف: إن الواجب علينا أن نتعلم العلم الصحيح الذي ورثه السلف عن نبيهم ﷺ، ونقدمه علىٰ العلوم الأخرىٰ التي تُزاحمه.

أما العلوم التي تعلموها فهي أنواع:

* منها ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه بقلوبهم، وهي أمور العقيدة.

* وتعلموا منه ﷺ ما يتقرَّبون به إلىٰ الله عز وجل، وهي أمور العبادة.

* وتعلموا منه ما يلزمهم في هذه الحياة وما يلزمهم تركه من المحرمات ونحو ذلك.

ولا شك أن من اقتدىٰ بهم - ولو جاء بعد قرون - فإنه يُحْشَر في زمرتهم لأنه باقتدائه لهم يُفضِّلهم ويحبهم ويقدِّرهم، وإن من أحب قوماً حُشرَ معهم.

وهذه العلوم إذا لم نشتغل بها فاتنا من العلم الكثير، وفاتنا التقرب إلىٰ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠) عن عبدالله بن مسعود (واللفظ لمسلم) قال: جاء رجل إلىٰ رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله، كيف ترىٰ في رجل أحبَّ قوماً ولمّا يلحق بهم؟ قال رسول الله ﷺ: «المرءُ مع من أحبَّ».

تعالىٰ بالأعمال الصالحة، فإذا ما اشتغلنا به وقطعنا في ذلك خطوات، وصلنا إلىٰ الله تعالىٰ ونحن علىٰ طريق مستقيم، وسرنا سيراً سوياً، ليس فيه انحراف ولا اعوجاج.

أما إذا اقتدينا بمن بعدهم، وأخذنا الطرق المنحرفة في أفعالنا فإننا نقع في المهالك، وكفىٰ أن نبتدع في دين الله ما لم يأذن به الله.

ويتكون علم السلف من علم النصوص وتشمل: حفظ الآيات والأحاديث، ويشمل أيضاً فهمها وشرحها، وبيان معانيها ومدلولاتها، والعمل بها وتطبيقاتها، كما يشمل إظهارها وإعلامها.

فمرجع علومهم إذن:

١ ـ حفظ. ٢ ـ و فهم.

٣ ـ وتطبيق. ٤ ـ وبيان.

أقسام علم السلف:

ينقسم علم السلف إلىٰ أقسام منها:

* علم الايات ومعانيها وما يتعلق بها، ويسمىٰ التفسير.

* علم الأحاديث وتفريعها، وتقسيمها، وتوزيعها إلىٰ مواضيع، وما أشبه ذلك. وكذلك ما يتعلق بها من معرفة صحيحها من سقيمها، ومقبولها من مردودها، والرواةِ وما يتصل بهم. ويسمىٰ هذا: علم السنة.

* علم التفقه في النصوص والتعقُّل، ويسمىٰ: علم الفقه.

* علم الاعتقاد وقد قسموها إلىٰ علوم أصولية، وعلوم فرعية.

فالأصولية ما يتعلق بالعقيدة، فأوضحوها وبيَّنوها من جانب، والتي تتعلق

بالفروع أوضحوها وبينوها من جانب آخر .

ولما علموا أن هناك ما يكفر به العبد ، أفردوا ذلك بالتأليف ، فكتبوا مؤلفات كثيرة فيما يتعلق بالعقيدة ، وبعلم السنة ، وذلك أنهم رأوا وشاهدوا بعض المبتدعين الذين يُخاف أن يفسدوا في الأرض ، فردُّوا عليهم بِدَعَهم ، وكتبوا ما يناقض تلك الشبهات التي يُشبِّهون فيها على السُّذَّج وعلى ضعفاء الإيمان .

ولقد حفظ الله لنا تلك المؤلفات التي كتبها لنا علماء السلف ، فمثلاً توجد مؤلفات أُلِّفت في العقيدة في القرن الثاني ، وأكثرُ منها في القرن الثالث . تلك المؤلفات موجودة وميسرة فإذا ما اقتناها العالم وأراد قراءتها ، والتقيد بها ، عرف أن السلف ـ رحمهم الله ـ كانوا على عقيدة راسخة ، وكانوا على علم غزير . وكان منبع علمهم وأصله هو الوَحْيان : الكتاب والسنة ، يرجعون إليهما .

والفرعية التي كتبوا فيها والتي تناقلوها فهي أيضاً كثيرة ، ذلك أنهم أرادوا أن يحفظوا سنة نبيهم ، والعلم الموروث عنه ، فكتبوا في ذلك مؤلفاتهم التي في الفروع ، وضمنوها أحاديث ثابتة عن نبيهم عليه الصلاة والسلام ، رووها بالأسانيد إلى مصدرها ، وشملت آثاراً عن الصحابة ، وآثاراً عن التابعين ، تبين ما يقولونه وما يذهبون إليه .

كل ذلك حتى يحفظوا ذلك العلم فلا يضيع منه شيء ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ هذه الشريعة فقيَّض لها علماء السلف الذين حفظوها :

أولاً : بالأسانيد ، في صدورهم .

ثانياً : بوضع الأسانيد ومعرفة الرجال ، وذلك لمعرفة الصحيح من السقيم .

ثالثاً : بتدوينها وكتابتها ، وذلك أنهم خافوا أن يضيع منها شيء بسبب النسيان وغيره ، أو وفاة من يحفظونها بصدورهم ، فسارعوا إلى تدوينها حتى

تحفظ فلا يضيع منها شيء.

وكان من أئمة القرن الثاني في ذلك: الإمام مالك، وأبو حنيفة الذي كُتبَ عنه علم كثير في القرن الثاني فيما يتعلق بالفروع وكذلك صاحباه أبو يوسف، ومحمد بن الحسن. ومن أهل ذلك الزمان: ابن جريج، وعبد الرزاق بن همَّام، ومَعْمَرُ بن راشد، ونحوهم من علماء ذلك القرن.

ثم جاء بعدهم تلاميذهم، فألّفوا في ذلك مؤلفات كثيرة، كأهل الصحيحين، والسنن، والمسانيد، وكان بعضهم في القرن الثاني، والبعض الآخر في القرن الثالث، أي في القرون المفضلة، وجاء بعدهم في القرون التالية من ألّفَ في ذلك ونفع الله بعلومهم.

وسائل علم السلف:

أ ـ الحفظ: لاشك أن علم السلف هو العلم الصحيح، وهو الأقرب إلىٰ الثبوت، والأقرب إلىٰ الصحة، ذلك أن اشتغالهم بهذا العلم وحرصهم علىٰ كتابته وإثباته، هو مما فتح الله تعالىٰ به عليهم.

ذلك أنهم حينما ورثوا ذلك العلم، اشتغل بعضهم بحفظه في الصدور بحيث لا ينسىٰ منه شيئاً، فرزق الله كثيراً منهم نعمة الحفظ الثاقب حتىٰ روي عن الشعبي عامر بن شراحبيل أنه قال: «ما كتبتُ سوداء في بيضاء»[1]، يعني: أنه يقتصر علىٰ الحفظ ويحفظ كل شيء يعرض له، ولا يحتاج إلىٰ تدوينه. والشاهد علىٰ ذلك ماروي عنه من الآثار، وما روي عنه من الأحاديث.

ب ـ الفهم: وذلك بفهم النصوص، والتفقه فيها، واستنباط الأحكام.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٠١).

جـ ـ الجمع بين الحفظ والفهم.

وفي هذا فقد ضرب النبي ﷺ مثلاً بالغيث الذي يقع على الأرض، وأخبر أن الغيث إذا وقع على الأرض انقسمت الأرض أربعة أقسام:

القسم الأول: يحفظ الماء، حتى يزرع الناس، ويسقوا دوابَّهم ويرتووا منه. وهذا القسم بمنزلة الحفظة الذين رزقهم الله حفظاً، وإن لم يكن معهم تفقه.

القسم الثاني: الأرض التي يصيبها الماء أو المطر، ولكنها لا تحتفظ بالماء، بل تشربه، ثم تنبت النبات، فينتفع الناس بذلك النبات، ويرعون فيه دوابهم. وهذا القسم بمنزلة الفقهاء الذين رزقهم الله الفهم واستنباط الأحكام، وإن لم يكن معهم مقدرة على الحفظ.

القسم الثالث: الأرض التي تجمع بين الأمرين: تحتفظ بالماء للشرب، ويبقى جزء يُنبت الكلأ والعشب الكثير، وهذا القسم بمنزلة من جمعوا بين الحفظ، وبين الفهم والفقه.

القسم الرابع: أرض سَبِخَةٌ، لا تنبت ولا تمسك، وهذا مثل الذين لم يشتغلوا بشيء من العلم؛ بل هم معرضون عنه.

وهذه الأقسام بينها النبي ﷺ فقال: **«إن مثلَ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً،فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تُمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه بما بعثني الله به، فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»**[١].

(١) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ظهور البدع
في عهد السلف

لاشك أن عهد السلف قد وُجد فيه مبتدعة، ووجد فيه محدثاتَ وكَذَبَةٌ، ومعاص، ونحو ذلك، ولكن كان هناك من يجابهها، ومن يقاومها، ومن يَردُّ على أهلها، ومن يُبطل شُبَهَهُم، ويُبطل أعمالهم وحيلهم، ولا يُبقي لها أثراً.

فلم يكن على الأمة من ضرر منهم، ذلك لكثرة الحق، وقوة أهله، فلم يكن للمبتدعين شيء من التأثير.

ومن البدع التي ظهرت في تلك القرون المفضلة نذكر على سبيل المثال فقط:

١ - بدعة الخوارج:

ظهرت بدعة الخوارج في عهد الصحابة، وقاتلهم علي رضي الله عنه وقاتلهم بعده الصحابة إلى أواخر القرن الأول.

وبدعة هؤلاء من أخف البدع، وهي أنهم جعلوا العفو ذنباً والذنب كفراً، بحيث إنهم يُكفِّرون بالذنب، ويخرجون المذنب من الإسلام! ويُحِلُّون دمه وماله، ويخرجونه من دائرة المسلمين، ويحكمون عليه في الآخرة بأنه من أهل النار. هكذا عقيدتهم!

وقد جاءت الأحاديث بذمِّهم، وبيان ما هم عليه من العقيدة السيئة، ورويت تلك الأحاديث واشتهرت. ولما كان ذلك كذلك لم يتبعهم أحد من الصحابة، ولا من علماء الأمة، وإنما تبعهم من العوام وبعض المُتأوِّلين من لم يكن لهم قدم راسخة في العلم الموروث عن الصحابة رضي الله عنهم.

٢ - بدعة إنكار القَدَر:

ثم حدث أيضاً في أواخر عهد الصحابة بدعة أُخرىٰ هي بدعة إنكار القدر، أي: إنكار القدر السابق، كما قال يحيىٰ بن يَعْمر: «كان أول من قال في القدر بالبصرة مَعْبَدٌ الجُهَنيُّ، فانطلقتُ أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحِمْيَرِيُّ حاجين (أو معتمرين) فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب النبي ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتَنَفْتُهُ أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، وظننت أن صاحبي سَيَكِلُ الكلام إليَّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبَلَنا ناسٌ يقرؤون القرآن، ويَتَقَفَّرون العلم[(١)] وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنُفٌ[(٢)]، قال: فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهباً فأنفقه، ما قَبِلَ الله منه حتىٰ يؤمن بالقدر خيره وشره . . . » الحديث[(٣)].

فهذه الطائفة أنكرت العلم السابق، وقالوا: إن الله لا يعلم الأشياء حتىٰ تقع!

وأنكروا أن الله كتب في اللوح المحفوظ مقادير الخلائق!

وأنكروا أن يكون الله قدّر للعباد ما هم فاعلون! وعلم الشقي والسعيد، وما أشبه ذلك، وقد أنكروا النصوص الصريحة في ذلك!!

ولكن رد عليهم السلف، وبينوا أخطاءهم، وبيّنوا أن هذا قول باطل، لأن

---

(١) أي: يطلبونه ويتتبعونه. وفي رواية: «يتفقرون» بتقديم الفاء.

(٢) أي: مستأنف استئنافاً من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير! «النهاية» لابن الأثير .

(٣) أخرجه مسلم(٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، ، والترمذي (٢٦١٠) .

هذا ينتقص من علم الله تعالىٰ.

ولهذا يقول الشافعي رحمه الله: ناظِروهم بالعلم، فإن أقروُّا به خُصموا، وإن جحدوه كفروا. يعني سلوهم: هل تقرون بأن الله بكل شيء عليم، وبأن الله يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فإذا اعترفوا بأن الله بكل شيء عليم انقطعت حجتهم، ولم يبق لهم ما يتعلقون به، وإذا أنكروه وقالوا: لا نقر بأن الله بكل شيء عليم، كفروا، ذلك أنهم تنقصوا الله تعالىٰ، ووصفوه بالجهل! فإن من نفىٰ العلم ألزم بأن يثبت له الجهل.

فهذه بدعة خرجت، ولكن وجدت من يقاومها، ومن يردها، فلم تكن متمكنة في ذلك العهد، وذلك لقوة أهل الحق، ولكثرتهم، ولقوة الأدلة التي جاؤوا بها، فانقطعت الشبهة، وظهر دين الله وهم كارهون.

٣ ـ بدعة الجهمية:

ظهرت بدعة الجَهْمِيَّة في أول القرن الثاني، وقد أنكروا أن يكون الله تعالىٰ متكلمًا، وأنكروا أن يكون القرآن كلام الله، وأنكروا أن يحب الله من يشاء من عباده، وأنكروا أن يكون الله كلم موسىٰ أو أنه اتخذ إبراهيم خليلاً!

فلما أظهروا ذلك قُتل صاحبها في عهد السلف، وهو الجعد بن درهم، وقتله أمير العراق خالد بن عبد الله القسري يوم العيد، وجعله بمنزلة الأضحية، حيث قال: «أيها الناس، ضحُّوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجَعْدِ بن درهم، إنه زعم أن الله لم يكلم موسىٰ، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً! تعالىٰ الله عما يقول الجعد». ثم نزل وذبحه، كما روىٰ ذلك البخاري في كتابه: (خلق أفعال العباد)[1].

---

(١) انظر كتاب خلق أفعال العباد ص٧، وانظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢٣).

وقد كان السلف على جانب من العلم، وعلى جانب من الإيمان فأنكروا على الجعد بدعته، وشنعوا على الجهمية من أتباعه.

وهكذا لم يكن في عهد السلف بدع متمكنة. ومع الأسف فإن هذه البدع بدعة المعتزلة، وبدعة الجهمية، وبدعة القدرية انتشرت فيما بعد القرون الثلاثة، وبالأخص بدعة الجهمية التي هي إنكار الصفات! فقد تمكنت، وصار في القرن الرابع وما بعده ؛ لا يعرف مذهب السلف في باب الاعتقاد، بل صاروا يتنقصون السلف، ويصفونهم بأنهم جهلة!! ويمثلونهم بمنزلة الأميّين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانيَّ، كما أخبر الله بذلك عن أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، يعني إلا مجرد تلاوة، لايفقهون من معانيه شيئاً.

والخلف الذين هم أهل القرون المتأخرة: الرابع والخامس والسادس، وما بعدها، يزعمون أن السلف إنما يؤمنون بألفاظ مجردة لا يدرون معانيها! يؤمنون بها ألفاظاً، ويفوضون معانيها، ولا شك أن هذا تنقص لهم، حتى زعموا أن علم السلف هو مجرد التفويض: ويدللون بقولهم في أحاديث الصفات: أمروها كما جاءت، بلا كيف!

ولا شك أن هذا تنقص لهم، وقدح فيهم، وذلك أنه قد نُقل عن السلف رحمهم الله أشياء كثيرة تدل على إيمانهم بالله، وإيمانهم بصفات الله، وإيمانهم بما جاءهم عن الله عز وجل، وتقبُّلهم للشريعة، وتصديقهم للنصوص، واعتقادهم لمدلولاتها، ووصفهم الله تعالى بصفات الكمال، وإثبات الصفات كما جاءت، لكنهم فقط نهوا عن التكييف، ونهوا عن التكلف بالسؤال عن الكيفية، وما أشبه ذلك.

وهذا معنىٰ قولهم في آيات الصفات: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، أي: لا تسألوا عن الكيفية. وكما يقول مالك بن أنس ـ وهو من علماء تابعي التابعين لَمّا سئل عن الاستواء قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(١).

وروي هذا أيضاً عن شيخه وهو ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وهو أحد أكابر التابعين من أهل المدينة، فقد سُئل عن الاستواء فقال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التسليم».

فهذه المقالة تدل علىٰ أنهم يعرفون معاني الآيات، ويعرفون معاني النصوص، ويؤمنون بها، إلا أنهم لا يعرفون لها كيفية، وتلك الكيفية هي المجهولة التي لم تصل علوم الخلق إلىٰ معرفتها.

فهذا وغيره من علوم السلف رحمهم الله، فإنهم لما حصلوا علىٰ هذا العلم الموروث كان من أثر ذلك أن عملوا به في باب الاعتقاد، وفي باب العمل، وكذلك فإنهم قد ردوا علىٰ المبتدعة وما جاؤوا به من شبهات، وأنكروا تلك البدع التي حدثت في زمانهم حتىٰ أنه لم تتمكن تلك البدع إلا في القرون المتأخرة.

وقد ذكر علماء الأمة كشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن عقيدة السلف وعقيدة أتباعهم، هي ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم وما بلّغه لهم رسول الله ﷺ، وما أخذ عن الوحيين: الكتاب والسنة، وأن هذا هو الواجب، وأنه هو الهدىٰ الذي بعث الله تعالىٰ به رسوله ﷺ في قول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣].

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠).



ولا شك أن من اتبعه فإنه على هدى، ومن تركه وحاد عنه فإنه على ضلال .

ولا شك أيضاً أنه الصراطُ السَّوِيُّ الذي أمرنا الله تعالى باتباعه في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

وقد ثبت أنه ﷺ وضَّح معنى هذه الآية فخطَّ خطًّا مستقيماً، وقال : «هذا صراط اللَّه» وخط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال : «هذه سُبُلٌ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»(١) يعني : أن من سار على هذا السبيل السوي فإنه يُؤدي به إلى النجاة، ومن انحرف عن الطريق فإنه يؤدي به إلى الهلاك، وسُمِّي الصراط مستقيماً لأنه ليس به أي اعوجاج، ولا أي انحراف، ثم إنه واضح المعالم لا يخفى على أي إنسان .

■ ■ ■ ■ ■

---

(١) اخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٣٥)، والدرامي (٦٧-٦٨)، والحاكم (٢/ ٢٣٩) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

وأخرجه أيضاً ابن ماجه (١١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنه .

إيمان السـلف

مفهوم الإيمان:

لا شك أن الإيمان الأصلي هو العقيدة الراسخة في القلب، وأن تلك العقيدة لابد أن يكون لها معتمد، فإن الشيء الذي له معتمد يعتمده يكون راسخاً راسياً لا يخاف عليه أن يتزعزع، ولا أن يسقط، كالأعمدة في المسجد أو غيره من البنايات، فإنها تعتمد عليها السُّقُف، فإن كانت على أساس، وعلى قوة قد أرسيت في الأرض، فإن البناء يثبت وينتفع به، وأما إذا لم يكن لها أساس، كأن تكون على وجه الأرض، ولم تكن على أصل تعتمد عليه، فإن المبنى يسقط أو يتصدع، أو ما أشبه ذلك.

فكذلك علم السلف الذي هو عقيدة راسخة، فإن سبب رسوخها هو قوة الدليل الذي اعتمدوه، وهو تلك النصوص الواضحة التي لا خفاء فيها ولا التباس، ذلك لأنهم بنوا أركان عقائدهم على أصول ثابتة تُؤيِّدُها أدلة وأصول نقلية وسمعية.

فالأدلة النقليَّة هي: ما ورثوه عن نبيهم ﷺ، من الآيات ومن الأحاديث.

والأدلة العقلية هي: ما شهدت به فطرتهم، تلك الفطرة السليمة المستقيمة التي لم تتغير بالبدع ولا بالخرافات، ولا بغيرها؛ بل صانها الله من تلك الشبهات والانحرافات، فكان ذلك سبباً من أسباب بقائها على هذه العقيدة ورسوخها، وعدم تزعزعها، ولهذا لم تؤثر فيهم تلك الشبهات كما أثرت في غيرهم، كالمبتدعة والخوارج والمعتزلة.

فعند المعتزلة مثلاً شبهات يعتمدونها، ولكنها شبهات لا يُلتفت إليها، وليست راسخة، بل يحطم بعضها بعضاً!

ولشيخ الإسلام بيت مشهور ذكره في آخر العقيدة الحموية بقوله:

حُججٌ تهافت كالزُّجاج تخالها

حقاً وكلٌّ كاسر مكسور

فحججُهم أو شبهاتهم بمنزلة الزجاج، أليس إذا كان معك زجاجتان: إحداهما في يدك اليمنىٰ، والأخرىٰ في اليسرىٰ، ثم ضربت إحداهما بالأخرىٰ، ألا تنكسر كلتاهما؟! وهكذا حجج المعتزلة.

فالحجج العقلية تنقض بعضها بعضاً، فمثلاً حجج القدرية تنقض حجج الجهمية، وهكذا.

ومثَّلهم أيضاً بعض العلماء كابن القيِّم في (الصواعق المرسلة) في نظم أبيات يقول فيها:

واضرب لهم مثلاً بعميان خلوا

في ظلمة لا يهتدون سبيلاً

فتصادموا بأكفهم وعصيهم

ضرباً يدير رحى القتال طويلاً

حتى إذا ملوا القتال رأيتهم

مشجوجاً او مبعوجاً او مقتولاً

وتسامح العميان حتى أقبلوا

للصلح فازداد الصياح عويلاً

فهذا مثل لحججهم، وأنهم مثل العميان إذا اصطدم بعضهم ببعض، وذلك أنهم لا يهتدون، ولا يدري أحدهم بالآخر، فإذا تصادموا ظن أحدهم أن الآخر تعمده فإنه سيضربه بكفه وبعصاه، فتجد أن كلا منهم سيضرب الآخر!

وهكذا شبهات هؤلاء، فلما كان الحق واضحاً، لم تُؤثِّر فيه تلك الشبهات، ولما كانت تلك الشبهات مبنية على تخرُّصات وظنون لم تقبل؛ بل أبطل بعضها بعضاً، ولهذا كثيراً ما يذكرون أن بعضهم يرد حجته بنفسه، كأولئك المبتدعة، يبتدع أحدهم الحجة ويتخذها دليلاً ثم يأتي إلى نقضها بنفسه أو ينتقضها شيخه، أو تلميذه!!

وهذا دليل على أن تلك الشبهات ليست على علم راسخ.

وأما حجج الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فإنها تقوم على دليل راسخ، ولهذا لم تؤثّر فيها تلك الشبهات، وذلك لثبات عقيدتهم، وقوة إيمانهم، ورسوخه في قلوبهم.

أمثلة على رسوخ إيمان السلف:

لا شك أن هناك من القصص لهؤلاء الصحابة، ذكورهم وإناثهم ما هي دليل على ذلك الثبات، والرسوخ في العقيدة، هذا فضلاً عن علومهم التي علموها وعملوا بها. أليس منهم من فتح البلاد، وجاهد حق الجهاد في سبيل الله تعالى، حتى أظهر الله تعالى بهم الدين في زمن يسير، ففتحوا أكثر المعمورة في زمن يسير، يقل عن ثمانين سنة؟!

لماذا؟ لأن إيمانهم راسخ في تلك القلوب، فاندفعوا بقوة، وقاتلوا ببسالة وبشجاعة، فأظهر الله تعالى الدين على أيديهم، وبلغ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها، وسمع به من قاصي البلاد ودانيها.

ولا شك أن هذا دليل على قوة إيمانهم. فالإيمان القوي هو الذي يَهَبُ الشجاعة لصاحبه، ذلك أنه يعي أن هذه الدنيا ما هي إلا متاع الغرور، وأن الآخرة هي دار القرار.

فإيمانه بالله، وإيمانه بالآخرة، وإيمانه بالجنة والنار، وإيمانه بالثواب؛ كل ذلك يدفعه أن يدفع بنفسه، وأن لا يخاف في الله لومة لائم، فيتكلم بكلمة الحق عند أي إنسان، لا ينافق ولا يداهن، وكذلك ينفق ما عنده في سبيل الله ابتغاء مرضطاته، حتى أنه ليبيت في أهله وعياله ليس له من طعام ثقةً بالله عز وجل!!

ولبيان قوة إيمان السلف وثباته نشير إلى مثالين فقط، إشارة سريعة لبيان قوة إيمانهم واقعاً وعملاً:

١- إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

لما أمر النبي ﷺ الصحابة بالصدقة، جاء أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده! فقال النبي ﷺ : «**ماذا تركت لأهلك؟!**» قال: تركت لهم الله ورسوله![1]

يعني أنني على ثقة بأن الله تعالى هو الذي سوف يرزقهم. أليس هذا دليل على قوة إيمانهم ورسوخه؟!

٢- إيمان الإمام أحمد رضي الله عنه:

أما الإمام أحمد بن حنبل فتقول زوجته أم عبد الله: إن أَفْرَحَ ما يُسَرُّ به أحمد إذا قلت له: إن الدقيق قد انقضى وقد انتهى، فما عندنا من دقيق - الذي هو الطعام! فيقول: «يتعلق الآن رجائي بالله، وأعلم أنه الذي يأتي بالرزق، وأنه الذي يسهل الأسباب».

---

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥).

ذلك أنهم يعلمون أن ما عند الله تعالىٰ هو الباقي . وهذا كله من آثار الإيمان الصحيح السليم الذي من أدلته تلك النصوص الثابتة الصحيحة .

من آثار إيمان السلف:

ومن آثار إيمان السلف أيضاً إظهارهم للحق أمام من عاند، ومن خالف .

فمثلاً: في أول القرن الثالث في عهد الإمام أحمد، تمكن بعض المبتدعة من بعض الخلفاء، ودعوا إلىٰ بدعة التجهم التي هي إنكار الصفات، والقول بأن كلام الله مخلوق، وبأن القرآن ليس بكلام الله، فثبت الإمام أحمد، وصبر علىٰ ما صبر عليه من السجن ومن الضرب ومن الجلد، وما أشبه ذلك .

أليس ذلك دليلاً علىٰ قوة الإيمان؟! ذلك الإيمان الذي رسخ في قلبه، ودفعه إلىٰ الصبر للخوف علىٰ الأمة، فجاهد إذ جاهد، ووقف أمام أولئك الضالين، الدعاة إلىٰ الضلال؛ ليظهر الحق علىٰ الباطل فيضمحل .

فلما ثبت علىٰ ذلك كانت الأمة معه، مُتقدِّمُها ومتأخرها. وشهد له جميع السلف أنه علىٰ الحق، وأنه يؤيده الدليل القوي .

فما الذي حمله علىٰ الصبر، وعلىٰ الأذىٰ، وعلىٰ السجن، وعلىٰ الضرب، وعلىٰ الجلد الشديد القوي أمام أولئك الظلمة من الدعاة إلىٰ الضلال، الذين زيّنوا للخليفة أن يسجنه، وأن يجلده أو يقتله؟!

لا شك أن الذي حمله علىٰ الصبر علىٰ ذلك كله هو ثقته بأنه علىٰ حق، وإيمانه بأنه علىٰ يقين، وأن ما سوىٰ ذلك فإنه باطل، وأن أقوالهم باطلة لا دليل عليها.

وهذا بلاشك هو الإيمان الراسخ .

فمن أراد أن يرسخ الإيمان في قلبه، فليأخذه من معادنه الصافية التي هي كتب السنة، والتي بيّن فيها العلماء عقيدة السلف وأدلتها.

ولْيَعرِف أيضاً شيئاً من سيرة السلف رحمهم الله وبيان عقيدتهم، ولا شك أن عقيدتهم هي عقيدة الفرقة الناجية التي أخبر النبي ﷺ بأنها على الحق، كما في قوله ﷺ: «... وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[(١)] .

وشهادتُه ﷺ بأنهم الفرقة الناجية دليل على أنهم على الصواب، سواء فيما يتعلق بالعقيدة، أو فيما يتعلق بالفروع، وبيان بأن من بعدهم أقل منهم صواباً، وإن كان من يلونهم أخف خطأً ممن بعدهم.

فمن اتبع السلف في العقيدة، وفي العلم، وفي العمل، رُجي له أن يُحشر في زمرتهم. ومن حاد عن الطريق السليم، وسلك طريق البدع، فإنه قد أتى سبيلاً من سُبُل الضلال، أو وقع فيه.

وكذلك من خاض في العلوم غير الشرعية، واشتغل بها عن العلوم الشرعية كمن يشتغل مثلاً بعلم الفلسفة الذي هو مضادٌ لعلم الشريعة فإن العلم الصحيح هو دين الله تعالى، وميراث أنبيائه. فمن اشتغل بما يضاده وبما هو بعيد عنه، فإنه بلا شك قد حرم نفسه العلم الصحيح.

ونحن لا نقول إن الإنسان يجب عليه ألا يتعلم إلا الآيات والأحاديث، وما في معناهما؛ بل يباح له أن يتعلم شيئاً من العلوم الجديدة، ولكن بشرط أن لا

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند(٣/ ١٤٥)، وابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث أنس، وأخرجه الدارمي (٢/ ٢٤١)، وأبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان، وأخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمر .

يضاد بالعلم الصحيح، ولا يبخسه حقه، وأن يعطي العلم الشرعي نصيباً كافياً، حتىٰ يكون علىٰ بصيرة من دينه؛ سواء فيما يتعلق بالاعتقاد، أو فيما يتعلق بالعمل.

نسأل الله أن يجعلنا من أهل الاستقامة، والسير علىٰ طريق السلف، ومن المتمسكين بسنة نبينا ﷺ، ومن السائرين علىٰ منهاجه. والله أعلم وأحكم وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

■ ■ ■ ■ ■



الرسالة السادسة:

العمل الصالح
أهميته وشروط قبوله




تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله المتوحد في الجلال، المتفرد بالكمال، المنزه عن الشبيه والمثال، أحمده وأشكره على جزيل الإنعام والإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من نطق وقال، صلى الله عليه وعلى جميع الأصحاب والآل، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد(١):

فإن الله تعالىٰ خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، وفرض عليهم الإخلاص والصدق في العمل والنية فعلاً وتركاً، ووعدهم علىٰ الامتثال جزيل الثواب، وتوعدهم بأليم العقاب علىٰ المعصية والمخالفة، وقد فطر نوع الإنسان علىٰ معرفة الحق وإيثاره، والنفرة من الباطل والبعد عنه.

ولكن من حكمة الله تعالىٰ أن سلط علىٰ البشر أعداء ألداء يصدون عن سبيل الله، ويدعون إلىٰ الشر والمنكر، ويظهرون الحق بغير مظهره، ويزينون للناس الكفر والفسوق والمعاصي.

* فأول هؤلاء الأعداء إبليس اللعين الذي أبىٰ واستكبر عن السجود لآدم أبي البشر، ثم احتال حتىٰ أخرجه من الجنة، وأقسم بقوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة لفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين، قمت بتفريغها وتصحيحها وصياغتها، ثم أضفت إليها بعض الفتاوىٰ المهمة في الباب لفضيلة الشيخ، ثم عرضتها علىٰ فضيلته فراجعها وصححها وقدم لها وأذن لي بنشرها رجاء أن يعم نفعها. (أبو أنس).

أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

وقد تسلط هذا الشيطان وذريته على نوع الإنسان، وزين لهم سوء أعمالهم، وأوقعهم في الكفر والشكر والجحود، وحال بينهم وبين قبول الحق، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

وقد ذكر ابن القيم في أول المدارج وفي البدائع في آخر تفسير المعوذتين أن شر الشيطان وكيده ينحصر في ستة أجناس أو عقبات:

الأولى: دعوة الناس إلى الكفر والشرك، ومعاداة الله ورسوله، فهو أول ما يريد من العبد، وقد أغوى بذلك خلقاً كثيراً صيرهم من جنده وأعوانه.

فإن يئس من إنسان وأعجزه إيقاعه في الكفر دعاه إلى الثانية: وهي البدع والمحدثات في الدين، سواء في العقائد أو في الأعمال، وهي ذنب لا يتاب منه، فمتى ظفر بالعبد في هذه العقبة استراح منه، فإن البدع بريد الكفر، فيصبح المبتدع داعياً من دعاة إبليس وأعوانه.

فإن أعجزه ولم يقدر على إيقاعه في البدع دعاه إلى العقبة الثالثة: وهي كبائر الذنوب على اختلاف أنواعها، فهي أيضاً بريد الكفر، ولقد أوقع فيها خلقاً كثيراً انهمكوا في المعاصي، فقست قلوبهم، وصدهم عن الحق، ثم فضحهم بين الأمة، وسخر جنده وأعوانه لإفشاء هذه الذنوب، خصوصاً إذا صدرت من القادة والمتبوعين، ممن ينخدع بهم جمهور الناس، ويحتجون بأفعالهم، كأكل الربا، وسماع الغناء، واقتناء آلات اللهو واللعب، وإقرار التبرج والسفور والاختلاط، وموالاة الكفار ومودتهم، وإقرار فواحش الزنا، واللواط، وشرب الخمر، والتغاضي عنها ونحو ذلك.

وقد أغوى الكثير من الجماهير فوقعوا في هذه المنكرات، وزين لهم الشيطان

أعمالهم، فأصبحوا دعاة إلىٰ المعاصي بأفعالهم، وربما بأقوالهم.

أما من أعجز الشيطان وحفظه الله عن مقارفة الكبائر، فإن الشيطان يحرص علىٰ أن يوقعه في العقبة الرابعة: وهي صغائر الذنوب ومحقراتها، وهي مقدمات الكبائر التي قد يتهاون بها الناس، ويتغاضون عن أهلها، مع أنها داعية إلىٰ ما وراءها، وقد ورد في الحديث عن سهل بن سعد، عن النبي ﷺ قال: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل فيهلكنه. ثم ضرب لهن مثلاً بقوم نزلوا بفلاة فحضر صنيع القوم، فجعل هذا يأتي بالبعرة، وهذا يأتي بالعود، حتى جمعوا سواداً كثيراً، فأججوا ناراً وأنضجوا خبزتهم»[1]. رواه أحمد والطبراني، قال الهيثمي في المجمع: ورجاله رجال الصحيح.

ولا شك أن التهاون بالصغائر يصيرها كبائر، كما قال بعض السلف: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، وقال بعضهم: لا تنظر إلىٰ صغر الذنب، ولكن انظر إلىٰ عظمة من عصيته.

فإن عجز الشيطان عن بعض الناس فلم يقدر علىٰ إيقاعهم في هذه الذنوب، طلبهم علىٰ العقبة الخامسة: وهي إشغالهم بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب، ولكن في الإنهماك فيها ضياع الوقت، وفوات العمر دون استغلاله في

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١). والطبراني (١٠/ ٢٦١). قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٨٩، ١٩٠، ٢٤٨): رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داود القطان، وقد وثق. أ.هـ. وحسنه الحافظ في الفتح (١١/ ٢٨٣). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٨٩). والأرناؤوط في شرح السنة (١٤/ ٣٩٩).

وله شاهد من حديث عبدالله بن مسعود عند أحمد (١/ ٤٠٢). جود إسناده الحافظ العراقي. وقال أحمد شاكر (٣٨١٨): إسناده صحيح.

وله شاهد أخر من حديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد (٦/ ٧٠، ١٥١). والدارمي (٢/ ٣٠٣). وابن ماجة رقم (٤٢٤٣). صححه ابن حبان (٢٤٩٧).



الخير والأعمال الصالحة.

وكم توسع في المباحات من الخلق، وأسرفوا في المآكل والمشارب، والمساكن، والملابس، وأضاعوا في ذلك الكثير من الأموال، والأنفس، والأزمنة، وانشغلوا بذلك عن الخيرات، وعن المنافسة في الحسنات، وصارت سبباً لنسيان الدار الآخرة، والاستعداد لها.

أما من أعجز الشيطان عن هذه المرتبة فإنه يشغله بالعقبة السادسة: وهي صرفه عن الأعمال الفاضلة إلىٰ المفضولة، فينفق الأموال في أشياء مفضولة، ويشتغل بأعمال مرجوحة، فيتعلم علوماً لا أهمية لها، ويفوت العلوم النافعة، ويرجح الكسب المشتبه علىٰ الكسب الحلال، ويؤثر العبادة القاصرة علىٰ المتعدية، كالجهاد، والتعليم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيفوته خير كثير.

فهذه حيل هذا العدو اللدود، ومتىٰ عجز عن بعض الناس ولم يقدر علىٰ إيقاعهم في أحد هذه المصائد، فإنه يسلط عليهم أولياءه من الإنس وأعوانه ومن انخدع بوسوسته، فيسخرهم لأذىٰ أولياء الله وأحبائه، فيسومونهم سوء العذاب، بالقتل، والتشريد، والحبس، والإيذاء، والسخرية، والتنفير من أعمالهم، كما حصل لأنبياء الله وأتباعهم في كل زمان ومكان.

* ومن الأعداء أيضاً النفس الأمارة بالسوء، فهي تميل بصاحبها إلىٰ الباطل، وتحول دون قبول الحق والعمل به، ومتىٰ صارت النفس مطمئنة مؤثرة للحق دلت صاحبها علىٰ الصواب، وسارت به نحو سبيل النجاة.

* ومن الأعداء أيضاً الهوى الذي قد يتخذ إلهاً ومعبوداً من دون الله، كما قال تعالىٰ: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٢]. وهو الذي لا يهوىٰ شيئاً إلا ركبه، دون تفكير في عواقبه، وقد ورد في بعض الآثار:

(ما تحت أديم السماء شر من هوىٰ متبع).

* ومن الأعداء أيضاً الدنيا ومتاعها وزخرفها، فإن الدنيا التي ورد ذمها هي المتاع والشهوات، والزينة الظاهرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [القصص: ٦٠]، و قال تعالىٰ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٦، ١٧]، وقد انخدع بهذه الزينة والشهوات الخلق الكثير مع مشاهدتهم لتقلبها بأهلها.

وبالجملة فهذه أسماء أربعة من الأعداء لنوع الإنسان، وقد جمعهم الشاعر بقوله:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى

كيف النجاة وكلهم أعدائي

ولا شك أن تسلط الأعداء علىٰ الإنسان يضعف عمله، ويقلل من اجتهاده، ولكن الله تعالىٰ أعانه علىٰ أعدائه؛ حيث أمره بالاستعاذة من الشيطان الرجيم، وبالاستعانة به عما يعجزه، أو يشق عليه.

فلذلك نقول: إن لله تعالىٰ من خلق أصفياء وعباد مخلصون، حماهم من تسلط الشيطان عليهم، كما قال: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]، واستثناهم إبليس بقوله: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

وحيث أن ربنا سبحانه كلف عباده جميعاً بإخلاص العبادة له وحده، فقد حذر من الإشراك به وإفساد العمل بصرف شيء منه لغير الله، أو الابتداع فيه وإيقاعه علىٰ غير ما يقتضيه شرع الله الذي بعث به رسله، فلذلك نقول: إن من أوجب الواجبات علىٰ المسلم الحرص علىٰ الأعمال الصالحة، وعلىٰ إكمالها والإخلاص فيها، حتىٰ يقبلها الله ويثيب عليها.

وقـــد كنت ألقيت محاضرة في بعض المساجد، تكلمت فيها على وجوب الإخلاص، وبيان ما ينافيه من الرياء، والمقاصد السيئة التي تحبط الأعمال، وعلى وجوب المتابعة والحذر من الابتداع.

وقـد فرغها بعض الإخوان، وبعد تصحيحها وافقت على طبعها ونشرها، رجاء النفع بها لمن أراد الله به خيراً، وأعترف بأنها ناقصة وضعيفة التركيب؛ لأنها ألقيت ارتجالاً، ولكن لا تعدم الفائدة إن شاء الله تعالى، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله الجبرين

٢٥/١١/١٤١٩هـ

تعريف العمل الصالح
وبيان أهمية قبوله

* **العمل الصالح هو**: ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى، من الحسنات والأعمال البدنية والقولية والقربات، وهو يرغب أن يُقبل عمله. والله تعالى إما أن يقبل الأعمال ويثيب عليها، أو يردها ولا يثيب عليها.

والمسلم بلا شك يهمه قبول عمله، ويشق عليه ألا يُقبل عمله، ويدعو ربه دائماً أن يتقبل منه عمله، إقتداءً بالخليل إبراهيم عليه السلام؛ حيث قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، هكذا ابتدأ دعائه بطلب القبول: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ وذلك لأن الله إذا قبل العمل ترتب عليه الثواب، وإذا ردّه حصل خُسران صاحبه وتعبه.

* **روي** عن بعض السلف رحمه الله أنه قال: «لو علمت أن الله تقبل مني حسنة واحدة لتمنيت الموت»، لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾. وهذه الآية وردت في سياق قصة ابني آدم؛ قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧][(١)]، يعني أنه لما كان عمل أحدهما صالحاً تقبله الله، وأما الآخر فَقَدْ فَقَدَ شرطاً من شروط قبول العمل فَرُدَّ عمله، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

(١) ذكر ابن كثير عند تفسير هذه الآية أثراً بسند ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء بمعنى ما ذكر في قبول العمل، وذكر ابن رجب في ختام رمضان من اللطائف نحوه عن فضالة بن عبيد.

* **ولقد** كان السلف رحمهم الله يجتهدون في الأعمال الصالحة، ويبذلون فيها قصارىٰ جهدهم، ففي صلاتهم تجدهم يخشعون ويخضعون، وفي صيامهم يتقون، وهكذا في حجهم، وفي قرباتهم، وفي أدعيتهم، وفي قراءتهم وأذكارهم، وفي صدقاتهم وتبرعاتهم. ثم إذا انتهوا منها وقع عليهم الهم والغم هل قبلت منهم تلك الأعمال أم لم تقبل منهم؟!! وذلك لأنه يترتب علىٰ قبول العمل الثواب، فلذلك تجدهم يهتمون ويحرصون علىٰ قبول أعمالهم.

* **رأى** وهيب بن الورد يوم عيد الفطر بعد رمضان قوماً يضحكون في ذلك اليوم فقال: **(إن كان هؤلاء تقبل صيامهم فما هذا فعل الشاكرين، وإن كان لم يقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين)**. ذكره ابن رجب في آخر وظائف رمضان، وذكر عن ابن مسعود أنه كان ينادي بعد ما تنتهي الأعمال كالصيام والصلاة والحج، فيقول: «**يا ليت شعري من المقبول منّا فنهنيه، ومن المردود منّا فنعزيه**» ثم ينادي بصوته: «**أيها المقبول هنيئاً لك، أيها المردود جبر الله مصابك**». فالمقبول له الهناء، فهنيئاً لك أخي المسلم إذا قبلت حسناتك، وهنيئاً لك إذا قبلت صلاتك، وهنيئاً لك إذا قبل صومك وصدقاتك. فأما إذا ردت عليك ولم تقبل فإنك قد خسرت خسراناً مبيناً، لذلك يجب عليك أن تهتم بقبول العمل، وأن تجتهد في الأسباب والشروط التي تكون سبباً في قبول عملك.

■ ■ ■ ■ ■



شروط قبول العمل الصالح

* **ذكر أهل العلم الشروط التي يقبل بها العمل وهما شرطان:**

الشرط الأول: الإخلاص.

الشرط الثاني: المتابعة.

وقد استدلوا على أهميتهما بقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]. فلم يقل في هذه الآية: أيكم أكثر عملاً؛ بل قال: أيكم أحسن عملاً، وكذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧]. وهكذا لم يقل في هذه الآية أيضاً: أيهم أكثر عملاً، إنما قال: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

* **روي** عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قرأ هذه الآية: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾. فقال: أخلصه وأصوبه، فقيل: ما أخلصه وأصوبه يا أبا علي؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنّة. أ. هـ.

ونظم ذلك الصنعاني في بائيته بقوله:

فللعمل الإخلاص شرط إذا أتى
وقد وافقته سنة وكتاب[1]

(١) من قصيدة في ديوانه يحث فيها على التمسك بالقرآن والسنة.

فهذان الشرطان هما الشرطان الأساسيان لقبول العمل، وهما: الإخلاص، والمتابعة.

الإخلاص هو: أن يكون العمل خالصاً لله تعالىٰ.

والمتابعة: أن يكون صواباً علىٰ سنة النبي ﷺ.

وفيما يلي نتكلم إن شاء الله علىٰ هذين الشرطين بشيء من التفصيل، وذكر الأمثلة علىٰ كل نوع، فإلىٰ المقصود والله المستعان، وعليه التكلان.

■ ■ ■ ■ ■

الشـــــرط الأول

الإخــلاص

تعريف الإخلاص:

الإخـلاص هـو: أن يكون العمل خالصاً لله تعالى. وهو مشتق من الخلوص الذي هو التميز والصفاء والتوحد.

والدين الخـالص هـو: الذي يَسْلَمُ من أن يشوبه رياء، أو يشوبه سمعة، أو يشوبه ما يفسده، أو يختلط به ما يكدره. وبذلك يكون مقبولاً.

* والخلاصة: أن العمل إذا كان خالصاً لله تعالى، بأن يقصد بكل عمل يعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة؛ فإنه حري بأن يقبل عند الله تعالى.

الأمر بإخلاص العمل:

لقد أمر الله تعالى بالإخلاص في جميع الأعمال من عبادات ومعاملات وغير ذلك.

* **قال** تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، فبعدما أمر بالعبادة قيدها بأن يكونوا مخلصين فيها حتى تقبل عند الله عز وجل.

* **وقال** تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

* **وقال** تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ اللَّهَ



أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ⑭ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ [الزمر: ١١، ١٥].

* **وكان** النبي ﷺ يقيد الشهادة بالإخلاص فيقول: «**من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»(١). فقيد هذه الكلمة العظيمة بالإخلاص، فإذا قالها بإخلاص بأن لا يشوبها ولا يخالطها ما يفسدها ويؤدي إلىٰ عدم قبولها، فإنه حري بأن تقبل منه.

* **ولقد** كثرت الأدلة في الأمر بإخلاص العمل، وبيان العمل الذي ليس بخالص وليس بصاف، وهو ما يخالطه رياء أو سمعة، وذلك أن الرياء يجعل العمل مشوباً ومخلوطاً وليس بخالص، ولأجل ذلك فسرت به الآية الكريمة في سورة الكهف؛ لما ذكر الله تعالىٰ العمل الصالح بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ⑩٩ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩، ١١٠].

يقول ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾: أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي ما كان موافقاً لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له. وهذان ركنا العمل المتقبل، لابد أن يكون خالصاً صواباً علىٰ شريعة رسول الله ﷺ. أ. هـ(٢).

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٩٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه: أنه قال: قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه».

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٠٨).

فمن كان يريد النجاة ويريد السلامة ويريد الثواب ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا﴾ أي عملاً خالصاً سالماً مما يخالطه وما يفسده، وليخلص عمله لله ﴿وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ رياء أو سمعة أو تزلفاً أو تزيُّناً أو ما أشبه ذلك.

* **وقد** ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال: الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**»[1]، يعني أنه يبطل أعمال المرائين، وأنه يحيلهم على الذين راءوهم في الدنيا فيقال انظروا:

* **هل** يثيبونكم أي أولئك الذين تزينتم عندهم، ورائيتموهم في الدنيا؟!!

* **هل** تجدون عندهم ثواباً؟!

* **هل** تجدون عندهم جزاءً على أعمالكم؟!

* **وقال** ﷺ: «**من سَمَّعَ سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به**»[2].

* **وقال** ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟**» فقلنا: بلى يا رسول الله، فقال: «**الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩). وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٢). والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٩). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٧): صحيح.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٩). ومسلم برقم (٢٩٨٧). من حديث جندب رضي الله عنه. ولمسلم نحوه عن ابن عباس برقم (٢٩٨٦).

لما يرى من نظر رجل»(١).

* **وكذلك** ورد في الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**(٢).

هذه بعض الأدلة على أن الرياء ينافي الإخلاص، وأن العبد المخلص هو الذي لا يريد بعمله إلا وجه الله؛ سواء مدحه الناس أو ذموه.

النار جزاء من لم يخلص في عمله:

ذكرنا فيما مضى أن الإخلاص شرط مهم في قبول العمل، فإذا خالط العمل شيء من الرياء والسمعة فإن العامل يكون على خطر عظيم؛ بل ورد ما يبين أن الرياء في العمل قد يكون شركاً أكبر، وقد يحبط العمل الذي قارنه، وقد يسبب العذاب، ففي الحديث الصحيح المشهور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه:**

● **رجل استشهد فأتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.**

● **ورجل تعلم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: تعلمت العلم وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك**

---

(١) أخرجه ابن ماجة برقم (٤٢٠٤). وأحمد في مسنده (٣/ ٣٠). وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٩). قال في الزوائد: إسناده حسن. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٧): حسن.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

تعلّمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

● ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلّه، فأتي به، فعرّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها، قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار»(١).

وهؤلاء لا شك أن أعمالهم أمام الناس في الظاهر أعمال صالحة.

* **فإذا رأى** الناس هذا الذي يقرأ القرآن ويرتله، ويتعلم العلم ويظهر العمل به، أحبوه ومدحوه، وقالوا: هذا هو العالم، وهذا هو المعلم، وهذا هو المربي، وهذا هو الفاضل، ولكن الله تعالى مطلع على نيته، فعلم أنه ما تعلم العلم لنفع نفسه، ولا لنفع المسلمين، ولكن تعلم حتى ينتشر له ذكر، وحتى يتناقل الناس أخباره، فيقولون: هذا هو العالم، وهذا هو المعلم، وهذا هو المربي، وهذا هو الحافظ، فيمدحونه في الدنيا، ويكثرون له المدح، ويكثرون له الثناء، ولكن ليس له في الآخرة قصد؛ فلذلك بطل عمله؛ حيث أنه ما أراد إلا مدح الناس وثناءهم.

* **كذلك** أيضاً الآخر المنفق الذي أعطاه الله تعالى أموالاً فبذلها، فصار يتصدق ويُضيِّف، ويطعم الناس، ويكرمهم، ويكثر من الصدقات والنفقات، فيمدحه الناس على هذه الأعمال، ويقولون: هذا هو الكريم، وهذا هو المنفق، وهذا غير بخيل، هذا الذي نفع الناس، ونفع المجاهدين، ولكن الله تعالى يعلم نيته أنه ما قصد الثواب الأخروي، وإنما قصد الذكر الدنيوي، قصد المدحة بين

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٠٥).

الناس، بأن يقولوا: هذا... وهذا... فليس له إلا ما نواه، وليس له إلا الثواب الذي حصله في الدنيا، وهو السمعة الحسنة، والذكر في ما بين الناس، نسأل الله العافية والسلامة.

* **أما الثالث** فهو الذي أظهر الشجاعة، وأظهر الجراءة، وأظهر القوة والبسالة، ودخل حومة الوغى، وقاتل حتى بذل نفسه، وبذل روحه، فقتل، والناس ينظرون إليه ويقولون: ما الذي حمله على ذلك؟! لا شك أن الذي حمله على ذلك الأجر الأخروي، وما حمله على ذلك إلا الجزاء الأوفى، ولكن الله يعلم نيته، ويعلم أن غرضه أن يكثر ذكره، وأن يُثنى عليه، وأن يكثر الذين يمدحونه، والذين يرفعون من شأنه، ويقولن: هو... وهو...، فكان جزاؤه أن أحبط الله عمله، ولم يثب على عمله أدنى ثواب.

* **وهكذا** يقال في كل الأعمال، فالإخلاص يكون في جميع الأعمال، ولا يكون في عمل دون عمل، وإنما الذين ورد ذكرهم في هذا الحديث، وهم: القارئ والمنفق والمجاهد جعلوا كمثال فقط.

احذر من صلاة المنافقين:

ومن الأعمال التي يدخل فيها الرياء والسمعة الصلاة، فهناك من يصلي أمام الناس بخشوع وخضوع وتواضع وحضور قلب، وهكذا نجده يطيل في صلاته، ويواظب عليها؛ فإذا كان في خلوة وفي غيبة عن أعين الناس، وليس عنده أحد، لم يبالِ بالصلاة، فإما أن يكون تاركاً لها بالكلية، أو يُصلي بعضها ويترك بعضها، أو لا يصليها في أوقاتها، أو يصليها نقراً لا طمأنينة فيها، ولا حضور قلب، فلا يؤدي أركانها وواجباتها على الوجه المطلوب كما وردت بها السنة؛ بل ينقرها نقر الغراب، ولا شك أن هذا قد أحبط عمله، وذلك لأنه ما صلى إلا

للناس، أي كأنه إنما يصلي حتىٰ يراه الناس.

ولا شك أن من كانت صلاته علىٰ هذه الصفة؛ فإنه قد اتصف بوصف من أوصاف المنافقين، الذين قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٤-٦]، هكذا توعدهم بالويل، مع أنهم يصلون، ولكن ليسوا مهتمين بصلاتهم، إنما يصلون إذا كان الناس عندهم فيرائونهم بأعمالهم.

وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ واصفاً المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢]، فوصف الله المنافقين بأنهم إذا صلوا فإنما يصلون مراءاة للناس، وأنهم لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالىٰ، ولا ينفقون إلا وهم كارهون، ولا شك أن هذا وصف ذم لهم؛ حيث أنهم لم يُصَلُّوا لربهم؛ بل كانت صلاتهم للناس لا لأجل الله تعالىٰ.

* **وما أكثر** هذا الصنف من الناس؛ فكثيراً ما يتصل بنا بعض الإخوة، وبعض الأخوات في هذا الزمان، تشتكي أو يشتكي فيقول: إن أخي أو أن زوجي لا يصلي، فإذا جاءه زوّار وكان وقت صلاة إستحيىٰ وذهب معهم وصلىٰ، أما إذا لم يأته أحد فإنه لا يصلي، وهكذا إذا سافر مع رفقته لرحلة أو لنزهة، وكان معه بعض الإخوان الذين يستحي منهم أخذ يصلي مراءاة لهم.

* **فماذا** تفيده هذه الصلاة المؤقتة التي يؤديها من أجل الناس لا لله تعالىٰ، ومعلوم أن العمل لابد أن يكون لله لا للناس، فالذي يصلي لأجل أن يقال: فلان يحافظ علىٰ الصلاة، هذا والعياذ بالله صلاته مردوده.

* **وحالة** أخرىٰ وهي أن بعض أهل الخير عندما يتصدقون بصدقات، يشترطون أن يكون الذي يستحقها من المحافظين علىٰ الصلاة، فيأتي بعض الناس

ليطلب هذه الصدقة، فيقال له: أحضر تزكية من إمام المسجد الذي حولك، فإذا علم أنه لا يعطيه إلا إذا كان من المحافظين على الصلاة في أوقاتها، أخذ يحافظ عليها لمدة خمسة أو عشرة أيام في المسجد، وينصب وجهه أمام الإمام، ويسلم عليه بعد الصلاة حتى يعرفه، فإذا عرفه أعطاه تزكية بأنه يصلي، فإذا حصل على تلك التزكية انقطع عن الصلاة وتركها، وهذا النوع من الناس كثير نسأل الله السلامة والعافية.

*** إذاً ما الذي حمله على هذه الصلاة؟!**

لا شك أن الذي حمله على هذه الصلاة إرادة مصلحة دنيوية، وهذا والعياذ بالله صلاته غير مقبولة؛ فإن الذين يصلون من أجل مصالح الدنيا، أو يصلون من أجل المدح رياء وسمعة؛ يظهر أن صلاتهم لا تقبل منهم، وذلك لأنهم يعبدون الناس ولا يعبدون الله تعالى، وقد أخلوا بشرط من شروط قبول العمل، وهو أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى، فإن إرادة وجه الله تعالى بالعمل تقتضي أن يكون قصده الله والدار الآخرة.

ليكن جليسك مخلصاً:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]. هكذا وصف الله عباده بأنهم يدعون ربهم بالغداة والعشي، في أول النهار وفي آخره، لا يريدون إلا وجهه، ولا يريدون إلا رضاه، ولا يريدون إلا ثوابه، لا يريدون سوى ذلك، وهؤلاء المتصفون بهذه الصفات لا تبعدهم عنك؛ بل اجعلهم جلساءك وأخصاءك؛ لأنهم يريدون بذلك العمل وجه الله الكريم، وهم مخلصون فيما فعلوا من العبادات والطاعات.



* وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨]، أي: اجلس مع هؤلاء المخلصين، الذين: يذكرون الله، ويهللونه، ويحمدونه، ويسبحونه، ويكبرونه، ويسألونه بكرة وعشياً؛ سواء كانوا: فقراء، أو أغنياء، أو أقوياء، أو ضعفاء(١).

إياك والمنّة في نفقتك وصدقتك:

حكىٰ الله عن أهل الجنة الذين مدحهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٨، ٩]. أي رجاء ثواب الله ورضاه. وهذا دليل علىٰ إخلاصهم، وأنهم إذا تصدقوا بصدقة أرادوا بها وجه الله تعالىٰ، فلا يتبعون صدقاتهم مناً ولا أذىٰ، ولا يقصدون بها رياء ولا سمعة، وهؤلاء الذين هذه صفاتهم هم الذين يثيبهم الله، ويجزيهم الجزاء الأوفىٰ.

لقد كثر في هذه الأزمنة الذين يبذلون أموالاً كثيرةً، فيتصدقون وينفقون في كثير من أعمال الخير، ومع ذلك فقد تحبط أعمالهم بسبب ما يتبعون صدقاتهم من المن والأذىٰ، روي عن بعض السلف أنه قال: «من أعطاني عطية ثم ذكرنيها فقد دخل في المنة التي تبطل الصدقة، وهي قول الله تعالىٰ: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]». فجعل المنة في الصدقة مما يكون سبباً لإبطال العمل.

* **فنقول:** أيها المتصدق، وأيها المنفق، عليك أن تقصد بصدقتك ونفقتك

---

(١) يقال: ان هذه الآية نزلت في أشراف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود، وليفرد أولئك بمجلس علىٰ حدة، فنهاه الله عن ذلك فقال: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾ [الأنعام: ٥٢]، وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء، فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ...﴾ [الكهف: ٢٨]. أ.هـ. من تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ٨٠).

وجه الله تعالىٰ، والدار الآخرة، رجاء أن يقبل الله تعالىٰ عملك، ويثيبك عليه، أما إذا قصدت الرياء والسمعة وتمدح الناس وغير ذلك فإن ذلك يبطل صدقتك.

*** أيها الأخوة:**

هناك بعض الأمثلة وبعض الأدلة التي تدل علىٰ أن هناك من يرائي بصدقاته ونفقاته، ولا يقصد بها وجه الله تعالىٰ والدار الآخرة، **فمن ذلك**:

* أن هناك من إذا جاءه من يطلب المساعدة وكان من الوجهاء ومشاهير الناس أعطاه ألفاً أو عشرة آلاف أو ما أشبه ذلك، ثم إذا أتاه فقير أو مسكين أو ضعيف من عامة الناس من لا يؤبه له، وربما يكون جائعاً، أعطاه خمسة أو عشرة ريالات فقط؛ بل ربما أعطاه ريالاً واحداً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لماذا زاد في عطية ذلك الكبير وذلك الشهير؟

لأنه يعرف أنه سوف يذكره عند الناس، فيقول: أتيتُ إلىٰ التاجر فلان أو المحسن فلان فأعطاني كذا ومنحني كذا وكذا ووسع عليَّ، فيكون هذا العمل وهذا الصنيع سبباً لإحباط صدقته؛ لأنه ما قصد بها وجه الله، ولم تكن خالصة لله؛ حيث أنه تصدق بصدقةٍ يريد شهرتها، ويريد إنتشار خبرها، ويريد أن يمدح بها في المجالس، ويثنىٰ عليه بين الناس، ولا شك أن هؤلاء علىٰ خطر كبير؛ لأنهم قصدوا بصدقاتهم الرياء والسمعة؛ وقد تبطل صدقاتهم بسبب ذلك ولم يقبلها الله عز وجل.

* **ومثال آخر** يكثر وقوعه أيضاً وهو أن البعض من الناس إذا استضاف أصحابه أو عمل حفلاً أو وليمة أو نحوه ذلك، تجده ينفق عليها عشرة آلاف أو عشرين ألفاً أو نحو ذلك؛ لأنه يدعو إليها الوجهاء، ويدعو إليها أكابر الناس وأثرياءهم ومشاهيرهم، فإن طرق بابه بعض الضعفاء أو المساكين وطلبوا منه قوتاً

أو عشاءً، لم يتكلف ولم ينفق إلا ما يقرب من عشرين أو خمسين ريالاً في إكرامهم، وفي قوتهم؛ لا شك أن مثل هؤلاء يقصدون بذلك الرياء والسمعة، فيدخلون في قوله ﷺ: «من سمَّع سمع الله به، ومن يرائي يرائي الله به»(١).

ومن هذه الأمثلة نعرف أن الرياء هو الذي يسود الناس في هذه الأزمنة، وأنهم يقصدون بكثير من أعمالهم المدحة والثناء بين الناس، وهكذا يقال في كثير من الأعمال الصالحة.

احذر طلب العلم من أجل الدنيا:

ومن الأعمال التي يدخل فيها الرياء والسمعة: تعلم العلم لأجل الدنيا، وما أكثر الذين يتعلمون العلم الذي يبتغى به وجه الله، وليس لهم قصد إلا المصالح الدنيوية، ومن المعلوم أن تعلم العلم وقراءة القرآن عمل صالح؛ لأن الإنسان إذا تعلم:

فأولاً: يقصد بطلب العلم تكملة نفسه؛ لأن الجهل نقص والعلم كمال.

وثانياً: ينوي أن يعمل على نور؛ لأنه إذا عمل وهو جاهل فإن عمله لا يقبل.

وثالثاً: أن يكون من حملة هذا العلم، يشرف بحمله؛ لأنه يكون من حملة القرآن ومن حملة العلم.

ورابعاً: أن ينفع الأمة، ويكون مرجعاً يرجعون إليه، فيفيدهم ويعلمهم ويفقههم، فيكون بذلك قد نفع الأمة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٩). ومسلم برقم (٢٩٨٧). من حديث جندب رضي الله عنه. ولمسلم نحوه عن ابن عباس برقم (٢٩٨٦).

فإذا كانت هذه نيتك، فهنيئاً لك أنك من الذين عملوا صالحاً، ومن الذين يثيبهم الله على تعلمهم.

لكن الأغلب يتعلم لأجل أن يحصل على المؤهل الدراسي، فيقول: أتعلم حتى أحصل على شهادة، ثم يفتخر بهذه الشهادة، ويفرح إذا قيل: هذا يحمل شهادة كذا وكذا، ومع قطعه لهذه المراحل ينسى أو يغفل عن هذا العلم الذي تعلمه، فلا يعمل به ولا يُعلِّمه.

* **ونحن** نرى كثيراً من هؤلاء بعد ما يحصلون على ذلك المؤهل يحرقون كتبهم أو يبيعونها، أي الكتب الدراسية التي تعلموا فيها، فإذا دَخَلْتَ في مكتباتهم الخاصة أو في بيوتهم لا تجد فيها شيئاً من الكتب الإسلامية، وإنما تجد فيها كتب تراجم، أو كتب تاريخ، أو كتباً صناعية أو هندسية أو نحو ذلك، فأين تلك العلوم التي تعلمتموها؟! وأين تلك الكتب التي قرأتموها؟! الجواب: أنها أحرقت أو بيعت!! ولو سألت أحدهم عن حكم من الأحكام لم تجد عنده جواباً، وإذا سألته عن معنى آية من القرآن تجده لا يعرف عنها شيئاً، ولا شك أن مثل هؤلاء يعتبر قد أفسد عمله؛ حيث أنه ما نوى إلا رتبةً أو وظيفةً أو عملاً دنيوياً.

لقد كان السلف رحمهم الله يحرصون على أن يتعلموا العلم لله تعالى، وأن لا يأخذوا عليه عوضاً، فقد قيل أن عبدالله بن المبارك رحمه الله كان تاجراً وكان عنده أموال كثيرة، وكان ينفق على العلماء الذين هم محدثون، فينفق عليهم ويغنيهم عن الأعمال والوظائف الدنيئة، وحتى يتفرغوا للتدريس وتعليم الناس، فبلغه أن أحد العلماء وهو إسماعيل بن عُلَيَّة قد تولى القضاء، فأسف لذلك وقطع عنه صلته التي كان يصله بها، وأرسل إليه أبياتاً يعاتبه فيها، يقول:

يا جاعل العلم له بازياً
يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
وصرت مجنوناً بها بعدما
كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك فيما مضى
عن طرد أبواب السلاطين؟
أين رواياتك في سردها
عن ابن عون وابن سيرين؟
إن قلت أُكرهت فذا باطل
زل حمار العلم في الطين(١)

هكذا شبهه، فلما جاءت هذه الأبيات إلى إسماعيل رحمه الله، جاء إلى الوالي وقال: أقلني من هذا العمل، لا أريدكم ولا أريد عملكم، أنا ما تعلمت لأجل الدنيا، ما تعلمت إلا لأجل الدار الآخرة، فلما ترك العمل عند الوالي أعاد إليه ابن المبارك ما كان يعطيه من النفقة، فهؤلاء هم أهل الإخلاص الذين يتعلمون العلم لله تعالى، لا لعرض من الدنيا.

* **روي** عن بعض السلف أنه سئل فقيل له: ما الذي يذهب العلم من

---

(١) ذكره ابن رجب في شرح حديث سهل «ازهد في الدنيا...» إلخ.

الصدور، فقال: «يُذهبه الطمع، وشره النفس، وتطلب الحاجات إلى الناس»[1]. بمعنى أن الإنسان يكون عالماً متعلماً حافظاً، ثم بعد ذلك تذهب تلك العلوم من ذاكرته، فلا يبقى عنده علم فما الذي أذْهب تلك المعلومات؟!! لا شك أن الذي أذهبها هو طمعه في الدنيا، وطمعه في الوظائف، وطمعه في المناصب وما أشبه ذلك.

من يتولى الوظائف المهمة؟:

قد يقول قائل: فمن الذي يتولى الوظائف الدينية والمناصب المهمة إذا تركها الصالحون؟!

فنقول: إن الوظائف الدينية التي يتوقف العمل فيها على مؤهل لا بأس بالتعلم حتى يتولاها، ولكن يجعل نيته صالحة، لأنه لابد أن يكون هناك من يتولى القضاء، ولابد أن يكون هناك معلمون، ولابد أن يكون هناك خطباء، ودعاة وأئمة، ومؤذنون ونحو ذلك، ولكن ننصح من يتولى مثل هذه الأعمال أن تكون نيته صالحة.

* **فنيتك** إذا كنت معلماً أن تنفع الناس وتفقههم، وتعلم أولاد المسلمين وشبابهم وتنقذهم من الجهل، وتنفق من العلم الذي تعلمته حتى لا يذهب وحتى لا تنساه وقد قيل في العلم:

يزيد بكثرة الإنفاق منه
وينقص إن به كفاً شددت

* **ونيتك** مثلاً إذا تعينت داعية أن تنفع الناس، ولو حصلت على وظيفة،

(١) ذكرها الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة إسماعيل، وذكرها ابن عبدالبر في العلم.

أو على مرتب من بيت المال تنفقه على نفسك وفي حاجاتك .

* **وهكذا** تكون نيتك إذا توليت القضاء أن تنفع نفسك ، وحتى لا يتولى هذا الأمر من ليس بكفء ومن ليس أهلاً له .

* **وهكذا** أيضاً تكون نيتك إذا توليت الحسبة أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تنفع الناس ، فتأمر بالمعروف ، وتحث على فعل الطاعات والأعمال الصالحة ، وإذا رأيت منكراً تنكره وتزيله بقدر استطاعتك ، وتسعى جاهداً لإزالة المنكرات أو التخفيف منها .

* **وهكذا** تكون نيتك إذا توليت إمامة المسجد أو خطبة الجمعة أن تنفع الناس وتستعين بما تأخذه من راتب على مصاريف الحياة .

فهذه كلها من الأمور الضرورية التي لابد من تعلمها لحاجة الناس إليها ، ولكن لابد أن تكون النية صادقة ، وأن تكون صالحة ، حتى لا تكون من الذين قصدهم الدنيا والمصالح الدنيوية .

فإذا كانت هذه نيتك فأنت مثاب إن شاء الله ، فأما الذي ليس له نية إلا المصالح الدنيوية فإنه يُخاف أن يحبط عمله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : **«تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش . . .»**(١) . الحديث .

عبر بالعبودية في هذا الحديث فقال : **«عبد الدينار ، عبدالدرهم ، عبد الخميصة»** . والخميصة : نوع من الأكسية ، والدرهم قطعة من الفضة ، والدينار قطعة من

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٦ ، ٢٨٨٧) .

الذهب، يتعامل بهما، فإذا كان عبداً للدينار والدرهم، فعلاً منه أنه يحب لأجلهما، ويبغض لأجلهما، ويوالي لأجلهما، ويعادي لأجلهما، ويعطي لأجلهما، ويمنع لأجلهما؛ وهكذا البقية يحب لأجلها ويبغض لأجلها، ولهذا وصفه بقوله: «إن أعطي رضي، وإن لم يعطَ سخط».

فمثل هذا كيف تكون أعماله؟!

لا شك أن الواجب على الإنسان أن تكون أعماله هذه وغيرها كلها لله تعالى، حتى يثاب عليها.

المحبة يجب أن تكون لله:

نسمع كثيراً من بعض الناس يقول: أحب فلاناً من الناس، ولا شك أن المحبة عمل قلبي لا يراه أحد، ولكن يجب أن تكون هذه المحبة خالصة لله، فلا تكون من أجل مصالح دنيوية، أو من أجل معصية ونحو ذلك.

والمحبة إذا كانت لله وطاعة لله فإنك تؤجر عليها، أما إذا كانت محبتك لمصلحة دنيوية فليس لك فيها أجر، وإن كانت محبتك لمعصية فعليك وزر.

والمحبة مودة في القلب تندفع نحو الإنسان.

فإذا سألناك: لماذا تحب فلاناً؟! ولماذا تكرمه؟! ولماذا تقدمه؟!

فإن قلت: إنه عبد صالح، ومحافظ على الصلوات، وإنه من حملة كتاب الله، وإنه نزيه العرض لا يطلق لسانه في سب الناس وشتمهم، وإنه قائم بالواجبات ومبتعد عن المحرمات، فلا يغتاب، ولا يلعن، ولا يقذف، ولا يشرب الخمر، ولا يشرب الدخان، ولا يفعل المنكرات، فهنيئاً لك هذه المحبة، ولك أجر عليها إن شاء الله، وهذا دليل على صحة العمل، وأنه مقبول إن شاء



الله .

* **أما إذا قلت:** إنني أحبه لأنه قريبي ، أو جاري ، أو صديقي ، يكرمني وأكرمه ، وأسافر معه ، وأجالسه ، ونحو ذلك ، فهذه محبة دنيوية ليس لك فيها أجر ؛ لأنها محبة عادية ، فإن كان صالحاً فاجعل محبتك لصلاحه زيادة على صداقته وقرابته وجواره وغير ذلك .

أما إذا قلت: أحبه لأنه يساعدني على ما أريد ، فإذا أردت شيئاً ساعدني عليه ، فهو يحضر لي أشرطة الأغاني ، ويحضر لي الأفلام الخليعة ، ويساعدني على شراء الخمور ، وعلى إحضار الدخان ، ويساعدني إذا سافرت إلى البلاد الخارجية للتمتع والترفه وحضور المسارح وأماكن الدعارة وأماكن الخمور ونحو ذلك . فإذا كنت قد أحببته من أجل ذلك فبئس المحبة ؛ لأنك أحببته من أجل المعصية ، فأنت معاقب على هذه المحبة .

وبهذا نعرف أن الناس ينقسمون في هذا العمل ــ وهو المحبة مع أنه عمل قلبي ــ إلى ثلاثة أقسام:

١ ــ منهم من يثاب عليها .

٢ ــ ومنهم من يعاقب عليها .

٣ ــ ومنهم من هو خاسر في محبته فلا يثاب ولا يعاقب .

وهكذا في جميع الأعمال فالناس يتفاوتون ، ولكن المهم في هذا أن يحرصوا على ما يجعل عملهم مقبولاً عند الله ، بأن يكون قصدهم في جميع أعمالهم صغيرها وكبيرها وجه الله والدار الآخرة والإخلاص فيها .

نسأل الله تعالى أن يوفقنا إلى الإخلاص في العمل ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، لا رياء فيها ولا سمعة ، إنه سميع قريب مجيب .



الشرط الثاني
المتابعة

تعريف المتابعة:

المراد بالمتابعة: أن يكون الإنسان في أعماله كلها مقتدياً بالرسول ﷺ، مقتدياً بالدليل الصحيح، فلا يعمل إلا بدليل، فيخرج بذلك من يعمل البدع .

وجوب اتباع النبي ﷺ:

لا شك أن اتباع النبي ﷺ في ما جاء به هو الواجب على كل مسلم، ولأجل ذلك وردت الأدلة في الأمر بالاتباع، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. اتبعوني أي: اعملوا بالسنة؛ واقتدوا بالرسول ﷺ، وسيروا على نهجه، واقتدوا بسيرته؛ سواءً في الأعمال المكتوبة المفروضة، أو في الأعمال المسنونة، أو في المعاملات، أو في المباحات أو ما أشبهها. فالمسلم مأمور بأن يكون عاملاً بالسنة، فيخرج بذلك العمل المبتدع الذي ليس له أصل في كتاب الله ولا في سنة النبي ﷺ.

ولا شك أن مما يجب على العباد محبة ربهم الذي خلقهم وأنعم عليهم، ولكن حصول هذه المحبة وقبولها متوقف على اتباع هذا النبي الكريم ﷺ. وقد جعل الله من ثواب اتباعه محبة الله لمن اتبعه، ومغفرته له، ولكن علامة هذا الاتباع تقليده ﷺ والسير على نهجه، والاقتداء به في سيرته وأعماله وقرباته، وتجنيب كل ما نهى عنه، والحذر من مخالفته التي نهايتها الخروج عن



التأسي به كما في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١).

وجوب طاعة الرسول ﷺ والتحذير من معصيته:

لقد كثرت الأدلة التي تأمر بطاعة الرسول ﷺ، وبالسير على طريقته ومنهجه، وبالإقتداء به، قال الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. الأسوة هو: القدوة، أي اجعلوه قدوتكم، واجعلوه أسوتكم، وسيروا على سنته، واتبعوا طريقته، وتأسوا به، وبذلك تكونون مثابين على أعمالكم، فإذا رأيت الذي يخالف السنة فاعلم بأنه قد ترك شرطاً من شروط قبول العمل ألا وهو المتابعة.

ولا شك أن طاعة النبي ﷺ من علامات الإيمان به، فإن التصديق الجازم برسالته يستلزم طاعته فيما بلّغه عن الله تعالى، فمن خالفه في ذلك أو شيء منه عناداً أو تهاوناً، لم يكن صادقاً في شهادته بالرسالة.

وطاعة الرسول ﷺ قد قرنت بطاعة الله، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذا دليل على أنه يلزمنا أن نطيعه، وأن طاعته علامة على طاعة ربه؛ وذلك لأنه الواسطة بيننا وبين الله تعالى.

وقد رتب الله على طاعة الرسول ﷺ جزيل الثواب، فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

وهكذا توعد على معصيته بالعقوبة الشديدة، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وحكى عن أهل النار قولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا﴾ [الاحزاب: ٦٦].

وورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله»**(١).

ومعنى هذا أنه ﷺ إنما يأمر بما أوحي إليه، فطاعته في ذلك طاعة لربه، قال الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠].

وروى البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كل الناس يدخل الجنة إلا من أبى»** قالوا: يا رسول الله وكيف يأبى؟ قال: **«من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**(٢).

ولا شك أن طاعته هي فعل ما أمر به، وتجنب ما نهى عنه، والتسليم مع ذلك لما جاء به، والرضى بحكمه، وترك الاعتراض على شرعه، أو التعقب والانتقاد لحكمه.

وجوب تقبل كل ما جاء به النبي ﷺ:

لقد أمر الله تعالى بتقبل كل ما جاء عن النبي ﷺ تقبلاً جازماً، فقال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٣٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٢٨٠).



﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وكذلك حذر من مخالفته، فقال تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣]. فانظر كيف حذر الذين يخالفون عن أمره بالفتنة وهي الشرك أو الزيغ، وبالعذاب الأليم.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: «أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الشك أو من الزيغ فيهلك»(١).

تكليف الرسول ﷺ بتبليغ الرسالة:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧]، وهذا تكليف من ربه تعالى، فلا بد من حصوله، مع أن هذا هو وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومحمد ﷺ من جملتهم.

وقال تعالى: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ [الشورى: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ [النور: ٥٤].

وقد شهد له صحابته رضي الله عنهم بهذا البلاغ والبيان، فقالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت(٢).

فنحن نشهد بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلوات ربي وسلامه عليه.

---

(١) ذكره في كتاب التوحيد.

(٢) وردت هذه الجملة في خطبة النبي ﷺ يوم عرفة في حجة الوداع، التي اخرجها مسلم برقم (١٢١٨)ـ ١٤٧. عن جابر رضي الله عنه.

وهذه شهادة من الصحابة رضي الله عنهم بأن الرسول ﷺ تركهم على المحجة البيضاء، وتوفي ﷺ وقد بلغهم كل ما أوحي إليه. لذا رفع ﷺ إصبعه السبابة إلى السماء بعد أن قالوا له هذه الكلمات؛ وقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد. ثلاث مرات.

ونشهد أنه ما تركنا ﷺ إلا وقد علمنا كل شيء، يقول أبو ذر رضي الله عنه: «توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علماً»(١).

وقال ﷺ: «لقد تركتم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»(٢).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم»(٣).

■ ■ ■ ■ ■

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٣) وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في أول الحموية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٢٦) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه. وأخرجه ابن ماجة برقم (٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٨٤٤).

الخاتمة

وبعد هذا البيان المختصر والمفيد لشرطي قبول العمل، الذي أهملهما كثير من الناس، وهما: الأول: الإخلاص، فإذا لم تكن مخلصاً في عملك بأن دخله الرياء والسمعة والمنّة ونحو ذلك، فإن هذا العمل معرض لعدم قبوله، لفقده شرط الإخلاص.

ثم يأتي الشرط الثاني وهو: المتابعة، أي أن يكون العمل موافقاً لما جاء به النبي ﷺ.

فالواجب على كل مسلم أن يجعل نبيه ورسوله ﷺ قدوته وأسوته، وأن يسير على نهجه، وأن يتمسك بسنته التي أوصى ﷺ بالمحافظة عليها وبالتمسك بها في آخر حياته في قوله: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد حبشي، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة»**[1].

هكذا أرشدهم ﷺ، وذلك لأنه عرف بأنه سيأتي بعده مخالفون ومبتدعة يضيفون إلى الشريعة ما ليس منها، ويبتدعون بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان؛ سواء كانت بدعاً اعتقادية أو بدعاً عملية، والذين يبتدعونها يعتبرون قد أخلوا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦، ١٢٧). وابو داود برقم(٤٦٠٧). والترمذي برقم ((٢٦٧٨). وابن ماجة برقم (٤٣).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الأرناؤوط في شرح السنة (١/ ٢٠٥): إسناده صحيح.

بشرط من شروط قبول العمل ألا وهو المتابعة الحقيقية، وهو كون الإنسان سائراً على الطريقة السنية، وكون عمله خالصاً لوجه الله، صواباً على سنة رسول الله ﷺ.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه: «**اللهم اجعل عملي صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً**».

والعمل الصالح هو الذي يكون موافقاً للشريعة وموافقاً للسنة، وأهل الصالحات هم الذين عملوا بما جاءت به الشريعة، وهم أهل النجاة. قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١-٣]. يعني أعمالهم كلها صالحة.

ومتى يكون العمل صالحاً؟!

يكون صالحاً إذا كان خالصاً لله تعالى، وصواباً على السنة النبوية.

فلو ابتدع رجل بدعة وقصد بذلك أن يثاب عليها وهي تشبه الأعمال الصالحة لقلنا: أنت مبتدع، ولا يثيبك ربك؛ حيث أنك أضفت إلى الشريعة ما ليس منها.

فإذا قال:

ما أضفت شيئاً؟

وماذا في هذا العمل؟

هذا عمل ليس فيه شيء ولا بأس به!!

ماذا علينا لو أحيينا ليلة وسميناها ليلة المولد؟!

وماذا علينا إذا صلينا صلاة وسميناها صلاة الرغائب؟!

نقول:

أنت كمن زاد في الصلاة. فقال: أنا أصلي الظهر ستاً، وأصلي المغرب أربعاً، وأصلي الفجر ثلاثاً، وأصلي الجمعة أربعاً، فيكون قد زاد في شرع الله، وهكذا لو قال: أنا أنقل رمضان إلىٰ الشتاء حتىٰ يكون صومه أخف علينا، فمثل هؤلاء لا شك أن عملهم غير صالح، فلا تقبل منهم أعمالهم. والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يتقبل أعمالنا، وأن يكتبها في موازين حسناتنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، لا رياء فيها ولا سمعة، ونسأله تعالى أن يهدي ضال المسلمين، وأن يردهم إلى الحق رداً جميلاً، وأن يجعلهم ممن يحافظون على أوامر الله وسنة نبيهم ﷺ، إنه سميع قريب مجيب، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■



فتاوى مهمة حول
شروط قبول العمل وعلامات قبوله

سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين حفظه الله تعالى:

*** ما معنى الإخلاص في العمل؟ وما حكم العمل إذا أُريد به شيئاً آخر غير عبادة الله؟**

فأجاب: الإخلاص: أن ينوي بالعمل وجه الله تعالى ورضاه، وامتثال أمره وطاعته، وطلب الثواب الذي وعد به؛ وسواء كان ذلك العمل بدنياً أو مالياً أو قولياً؛ فإن أراد بالصلاة أو بالصدقة أو القراءة رضى الله تعالى وطاعته والتذلل له ومحبته؛ فهو مخلص، وكذا إن أراد بها طلب ثواب الله تعالى وجزائه في الدنيا والآخرة، بأن يرزقه الله ويشفيه ويحفظه من كل سوء؛ فهو مخلص، وإن أراد به النجاة من النار ومن عذاب الدنيا ومن الأمراض والعاهات، وأن الله يحفضه وينجيه بسبب هذه الأعمال؛ فهو مخلص، وإن أراد بالصلاة والصدقة والقراءة والذكر ونحوها التمدح والثناء عند الناس، والشهرة بينهم، وانتشار الخبر عنه بأنه عابد قارىء جواد شجاع حتى يتردد ذكره في المجالس؛ فهذا غير مخلص؛ بل هو من المرائين بأعمالهم، ومن سمَّع سمَّع الله به[1]، ويقول الله في الحديث القدسي: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»**[2]، ويقول للمرائين: **«اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون، فانظروا هل تجدون**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٩). ومسلم برقم (٢٩٨٧). من حديث جندب رضي الله عنه. ولمسلم نحوه عن ابن عباس برقم (٢٩٨٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

عندهم من ثواب أعمالكم شيئاً؟»[1]، فالرياء يحبط الأعمال، والإخلاص تصح به الأعمال، والله أعلم.

وسئل فضيلته حفظه الله:

*** ما شروط قبول العمل؟**

فأجاب: العمل الصالح هو الموافق للشريعة والسنة النبوية، ولابد فيه من إخلاص النية، فهذان شرطان لقبوله، وقد قال الفضيل بن عياض في قوله تعالىٰ: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، قال: أخلصه وأصوبه. قيل: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتىٰ يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله وحده، والصواب أن يكون علىٰ السنة.

وفي ذلك قال الصنعاني رحمه الله:

فللعمل الإخلاص شرط إذا أتى
وقد وافقته سنة وكتاب

فالإخلاص أن يريد به وجه الله تعالىٰ والدار الآخرة، لا يريد بالعمل التمدح عند الناس، ولا الثناء عليه، ولا ذكره في المجالس بكثرة الأعمال، ولا يريد به مصلحة دنيوية من مال أو منفعة أو منصب، إلا أن يكون تابعاً كالإمام في الصلاة، لا يكون قصده المكافأة، والعضو في الأمر بالمعروف يجعل المرتب تابعاً

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩). وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٢). والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٩). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وقال المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره. وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٧): صحيح.

لا أساساً، والمدرس ينوي مع الوظيفة نفع المسلمين. . . إلخ.

وأما الموافقة فيخرج بذلك العمل المبتدع فإنه لا يقبل؛ سواء ابتدع أصله: كصلاة الرغائب، وإحياء ليلة المولد، والسماع عند الصوفية، أو غيّر فيه وزيد في هيئته أو نقص منه، كتأخير الفطر إلىٰ الإظلام، والتلحين في القراءة والتشدد في إخراج الحروف، والأدعية المبتدعة، ورفع الصوت في الخطبة بالصلاة علىٰ النبي ﷺ من الخطيب والمأمومين، وزيادة حي علىٰ خير العمل في الأذان ونحو ذلك. والله أعلم.

وسئل فضيلته حفظه الله:

*** ما علامات قبول العمل الصالح؟ وكيف يعرف الإنسان أن عمله مقبول إن شاء الله؟ وهل لذلك أمارات حتى يجتهد الشخص أكثر؟ فإن كان مخطئاً أو مقصراً سأل وعالج النقص أو التقصير؟**

فأجاب: على الإنسان أولاً: أن يخلص عمله؛ فلا يقصد به سوىٰ وجه ربِّه الأعلىٰ، ولا يهمّه أن رآه أحد من الناس، أو لم يروه، ولا أن مدحوه أو ذموه.

كما أن عليه ثانياً: أن يكمِّل العمل الذي يتقرب به إلىٰ الله، ويعمله علىٰ الوجه المطلوب الوارد في كتب الأحكام؛ فلا يؤخره عن وقته، ولا ينقص من صفته، ولا يزيد فيه زيادة متصلة تغيره عن وضعه.

وعليه ثالثاً: أن يجتهد في العمل الصالح، وأن يكثر من النوافل والقربات وأنواع الطاعات؛ التي يكمل بها ما في الفرائض من الخلل والنقص.

وعليه رابعاً: أن يعالج نفسه علىٰ محبة العبادة والإقبال عليها، والتلذذ بأنواع الطاعات، بحيث يقبل علىٰ العبادة بقلبه وقالبه، ويخشع فيها ويخضع؛ ليجد فيها راحة بدنه وسروره وفرحه ونشاطه وقوته.

ثم عليه خامساً: أن يحمي نفسه عن المخالفات والسيئات وسائر المعاصي والمحرمات؛ سواء أعمال القلب أو اللسان أو البدن ونحو ذلك من الأعمال، وبعدها يجد غالباً إقبالاً على الطاعة، ومحبة لها ولأهلها، وبغضاً للمعاصي وأهلها، وذلك من علامات القبول للأعمال، والله أعلم.

وسئل وفقه الله:

*** ما الوسيلة لإخلاص العمل أو إصلاح النية؟ أرشدونا وفقكم الله؟**

فأجاب: من المعروف أن الإخلاص من شروط التوحيد، ومعناه أن يعتقد المسلم أن عمله لله، وأن لا يريد به حظاً عاجلاً، ولا مدحاً، ولا ثناءً من أحد، وإنما النية والدافع الذي في قلبه هو إرادة وجه الله.

وقد وردت الأدلة على ذلك كقوله ﷺ في الجهاد: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**(١). يعني أن الذي يقاتل حمية، أو عصبية، لا تكون نيته صحيحة. كذلك نية التوحيد، ففي الحديث: **«من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»**(٢). بأن تكون نيته الطاعة والقربة إلى الله.

وبين ما يضاد ذلك، ففي الحديث قوله ﷺ: **«من سمّع سمّع الله به، ومن راءى**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨١٠)، ومسلم برقم (١٩٠٤). من حديث أبي موسى رضي الله عنه. ولفظه: قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»** وهذا لفظ البخاري.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٩٩). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظه: أنه قال: قيل: يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **«لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه، أو نفسه»**.

راءى الله بــــه»(١). يعني: من حسّن صوته بالقراءة ونحوها ليمدح، فإن الله لا يمدحه. كذلك من صلّىٰ صلاة بخشوع وخضوع، أو تصدق بصدقة، أو ما أشبه ذلك، أو أنفق في سبيل الله رئاء الناس فإن الله تعالىٰ يفضحه؛ لأن هذا من الرياء الذي يحبط الأعمال.

وبالجملة فالإخلاص هو أن تريد بعملك وجه الله، وأن لا تقصد به مدحاً ولا ثناءً ولا حظاً دنيوياً.

وسئل حفظه الله:

*** رجل يطيب له أن يراه الإمام والجماعة ومعارفه يصلي ويقرأ القرآن، ويطيب له السمعة الطيبة في ذلك. علماً أن أساس توجهه وتمسكه بالعبادة إخلاصاً لله، لا يبتغي بذلك إلا وجه الله جلّت قدرته، هل هذا العمل من النفاق لا سمح الله؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.**

فأجاب: لا يكون من الرياء، ولا يكون نفاقاً إذا كان مخلصاً لله تعالىٰ، ولا يضره أن يحب السمعة الطيبة، ورؤية الناس له، وهو في عبادة من العبادات، وذلك أن هذه تعتبر بشرىٰ المؤمن، وعليه تحقيق الإخلاص لله تعالىٰ، وأن لا يريد بكل عمل سوىٰ وجه الله، وابتغاء الثواب منه، وأن لا يهمه مدحُ الناس أو ذموه إذا كان أمره صحيحاً وعمله خالصاً لله وحده، وأراد بالسمعة الحسنة أن يكون قدوة في الخير، وأن يدعىٰ له وينال الأجر بما يحصل له من أدعية المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٩٩). ومسلم برقم (٢٩٨٧). من حديث جندب رضي الله عنه. ولمسلم نحوه عن ابن عباس برقم (٢٩٨٦).



وسئل عفا الله عنه:

* أنا رجل أحافظ على الصلوات الخمس مع المسلمين ولله الحمد والمنّة، ولكن يأتيني الشيطان دائماً ويخيل إليَّ أن صلاتي رياء، وأعتقد أنها مجرد رياء وليست إخلاصاً لله سبحانه وتعالى، وتكثر الشكوك عندي في هذا الأمر، كيف التخلص من ذلك؟ وما نصيحتكم لي جزاكم الله خيراً؟

فأجاب: لا تلتفت إلى هذه الأوهام والتخيلات التي هي من الشيطان، أخلص نيتك، واعرف أنك تريد وجه الله، وتعبد الله، ولا تريد مدح الناس، فإذا كنت لا تريد أن يمدحك الناس وإنما تريد وجه الله تعالى، فإنك مخلص، والله تعالى يقبل منك عبادتك، ولا تلتفت إلى هذه التوهمات التي يريد الشيطان بها أن يكدر عليك حياتك، وأن تملّ من هذه العبادة حتى تتركها، فإن الشيطان يحرص على أن تكثر معك هذه الوساوس حتى تترك العبادة، وهذا مطلبه والعياذ بالله.

وسئل وفقه الله تعالى:

*موظف يعمل في الدولة أكثر من عشرين عاماً، يخلص في العمل، وينضبط فيه، ويحسن الخلق، من أجل إرضاء المسئولين ومرأى مديره، ومن أجل أن يستلم رواتبه كاملة دون حسم، ومن أجل الترقيات.

كل هذه التصرفات محصورة في هذا الحال، ليس لله من ذلك شيء، لكن هذا الموظف يعبد الله، ويخلص أعمال الخير لله تعالى خارج عمله، ويصلي ويصوم ويتصدق ويزكي ويحج ويتلو القرآن ويقرأ التفسير، ويعمل في كل أوجه الخير مخلصاً لله تعالى موافقاً لشريعته، فما يقول فضيلتكم جزاكم الله خيراً في حاله أثناء دوامه، هل هذا جائز أم شرك أم ماذا؟ أفيدونا؛ وماذا يعمل؟ وهل عليه آثام ما مضى من سنين العمل بالوظيفة؟!

فأجاب: معلوم أن العمل الوظيفي لا يسمى عبادة، وليس هو من القربات التي لا تصلح إلا لله تعالى، فالإنسان يعمل في وظيفته لأجل الراتب ولأجل استحقاقه ما بُذل له ونحو ذلك، فالنية فيها لا تسمى قربه، لكن إذا عرف أنها أمانة بينه وبين الله تعالى، وأن الله هو المطلع عليه، فراقب ربه في هذا العمل حتى يكون ما يأخذه حلالاً بدون شبهة، فله أجر هذا الإخلاص، ولو كانت نيته أن لا يحسم عليه شيء من الراتب ونحو ذلك؛ وحيث أن هذا الموظف يقوم بواجباته الدينية ويؤدي ما فرض الله عليه، ويبتعد عن المحرمات؛ فإنه يمدح على ذلك، والله يضاعف لمن يشاء، والله واسع عليم.

■ ■ ■ ■ ■




الرسالة السابعة:

المسلم
بين عام مضى وعام حل




تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه . . . **وبعد:**

فإن شغل الوقت، واستغلال الزمان، وحفظ الليل والنهار عن الضياع، علامة العقل والذكاء، وإدراك أهمية ما خلق له العبد، وما طلب منه في هذه الحياة.

وهذه محاضرة ألقيتها ارتجالاً في بعض المساجد، حول أهمية العمر والشباب، والتحذير من التفريط في العمر، وإضاعته فيما لا يعني أو ما يضر، وبيان أهم ما يصرف فيه الوقت، ومتى يربح العبد بشغل وقته، ويجد له ثمرة محمودة.

وقد نسخها بعض الشباب من الشريط، وأراد نشرها رجاء أن تعم الفائدة، والله المسئول أن يرزقنا العلم النافع، والعمل الصالح، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

١٣/ ١/ ١٤١٣هـ

■ ■ ■ ■ ■



المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، نبينا محمد ﷺ، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد[١]:

فقد جعل الله مرور الأيام والليالي آية وعبرة لأجل الاتعاظ والتذكر، وأمرنا أن نستغلها، ونعمل فيها، وألا نضيع شيئاً منها سدىٰ، وأن نعتبر بمرورها؛ حيث أنها سرعان ما تتقلص وتنقضي والناس في غفلتهم!

ومعلوم أن عمر الإنسان ينقضي بمرور هذه الأيام وهذه الأعوام، فيتقلص يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام! حتىٰ يموت وينتهي دوره في هذه الحياة الدنيا. **ولكن**:

* **هل** علم الناس الحكمة من خلق هذه الأيام والليالي؟!

* **وهل** اعتبر الناس بمرور الأيام والليالي؟!

ولعلنا في هذه الرسالة المختصرة، أن نبين شيئاً مما نستحضره حول الحكمة من خلق الأيام والليالي والاعتبار بمرورها، وفضل بعض الشهور والأيام في الكتاب والسنة، فإلىٰ المقصود، والله المستعان، وعليه التكلان.

---

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة لفضيلة الشيخ عبدالله بن جبرين، ألقاها في إحدىٰ المناسبات، ثم سجلت، وقد قمت بتفريغ الشريط وتهذيب النص وتصحيحه وتخريج الآيات والأحاديث ونحو ذلك، ثم عرضتها علىٰ فضيلة الشيخ فراجعها وصححها وأضاف عليها، ثم أذن لي بنشرها لتعم فائدتها، نسأل الله تعالىٰ أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب (أبو أنس).

الحكمة من خلق الليل والنهار

لقد ذكر الله عز وجل الحكمة من خلق الليل والنهار وتعاقبها على هذا المقدار في عدة آيات منها:

* قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

فأخبر سبحانه وتعالى بالحكمة من جعل الشمس ضياء ـ بمعنى: مضيئة ـ ليتقلب العباد من وقت طلوعها إلى غروبها في منافعهم وأعمالهم. وجعل القمر نوراً يضيء في الليالي المظلمة للحاجة إليه.

وقدر للقمر منازل، ينزل كل ليلة بمنزلة إلى أن تنتهي منازله، لنعلم عدد السنين والحساب: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

* وقال جل وعلا في آية أخرى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢]. فآية الليل هي القمر محا الله ضوءه حتى لا يكون كضوء الشمس، وجعل نوره مكتسباً مستمداً من ضوء الشمس، وكذلك جعل الشمس ضياء ـ أي: مضيئة ـ والحكمة في ذبك كما يقول المولى عز وجل: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾.

ولا شك أن لنا مصالح في تعاقب الشمس والقمر:



● فالشمس يُعرف بها مقدار الليل والنهار، ومرورها، وظهورها وطلوعها يعرف به عدد الأيام، والأسابيع.

● أما القمر فنعرف به عدد السنين، وعدد الأشهر، لكونه آية ظاهرة جعلها الله علامة يعرف به ابتداء الشهر وانقضاءه. وإذا عرفنا الأشهر عرفنا السنوات فيكتسب الإنسان بتعاقبها عظة واعتباراً.

* وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ [الإسراء: ٦٢]. ومعنىٰ قوله: ﴿خِلْفَةً﴾، أي: يأتي الليل والنهار أحدهما بعد الآخر، فكلما انقضىٰ ليل جاء بعده نهار، وهكذا إلىٰ ما شاء الله.

* وقد أخبر سبحانه وتعالىٰ نبيه بالحكمة في خلق الأهلة، لما سأل الصحابة رضي الله عنهم ـ نبيهم ﷺ عنها فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. فبين الحكمة من الأهلة أنها مواقيت للناس، والمواقيت هي التي تعرف بها الأشياء والأحداث التي تمر في الأيام والشهور والسنين، فيعرف الناس وقت صيامهم، وحجهم، وإخراج زكاتهم، ويعرفون أيضاً موعد حلول الآجال، كالديون، والعُدَدُ، كعِدَّةِ المرأة المطلقة والمفارقة أو المتوفي عنها زوجها، وما أشبه ذلك.

ولو لم يُجعل للناس هذه المواقيت اليومية والأسبوعة والشهرية والسنوية بتجدد الليل والنهار، لدخل عليهم حرج شديد في معاملاتهم وعباداتهم، ولما انتفعوا بشيء في حياتهم، ولصارت حياتهم فوضوية؛ لذلك يقول تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ [القصص: ٧١].

* وفي آية أخرىٰ يقول تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

كما يقول سبحانه في آية ثالثة: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣]. أي لتسكنوا وتريحوا أنفسكم في الليل، وتبتغوا من فضله في النهار.

فالليل غالباً ما يكون وقت الراحة والسكون والهدوء، كما أن السعي والانتشار يكون في النهار، وهذا هو الأصل.

لذلك خلق سبحانه هاتين الآيتين: الليل والنهار؛ فلو كان الوقت كله ليلاً لما انتفع الناس وتقلبوا في حوائجهم، ولو كان كله نهاراً لما حصلوا علىٰ زمن يريحون فيه أنفسهم، ولكن من رحمته أن جعل ليلاً ونهاراً، فذلك من تمام نعم الله علينا.

■ ■ ■ ■ ■

العبرة والعظة من
مرور الأيام والليالي والشهور والسنين

نحن نرىٰ غروب الشمس، وغروب القمر، واجتماعها أحياناً وتفرقهما!

ففي أول الشهر نرىٰ الشمس والقمر مجتمعين ساعة غروب الشمس، ويبدو القمر في هذه الليلة، وهكذا في الليلة التالية! ثم بعد أيام يكونان متفرقين، فالشمس في المغرب، والقمر في المشرق أو العكس!

وعندما نرىٰ اجتماعهما وتفرُّقهما نجد في هذا عظة وعبرة؛ حيث يجتمعان في وقت متقارب، ثم يتفرقان ويتباعدان في وقت متقارب أيضاً!

وهذا يدل علىٰ أن الذي يصرفهما ويسيرهما هو الله سبحانه وتعالىٰ، المستحق لأن يعبد، وأن يحمد، وأن يثنىٰ عليه، وأن يعرف حق معرفته، وأن يطاع حق طاعته؟!

كذلك ما يحدثه الله ـ العلي القدير ـ في الأيام والسنين، من تقلبات في الطقس، من الحر والبرد، والطول والقصر، وهبوب الرياح والعواصف، واعتدال الجو، أليس في هذا عظة وعبرة لنا؟!

كذلك تغير حال الطقس في شهر معين من عام إلىٰ عام، فمن الذي يغير ذلك؟! أليس هو الله سبحانه وتعالىٰ، الذي يغير حال الزمان دون أن نملك نحن شيئاً؟! ثم بعد فترة قليلة قد يعود الحال إلىٰ وضعه الطبيعي.

وهذا الحر الشديد، وهذا البرد القارص، من الذي أحدثهما في توقيتات معينه؟

إن الشمس والقمر موجودتان صيفاً وشتاءاً، ومعلوم أن لكل منهما تأثير، ومع ذلك لم يخفف وجودهما من شدة الحر، ولا من شدة البرد.

وذلك دليل على أن الذي قدر ذلك وقيضه هو الخالق وحده، فليس لأحد تصرف فيه.

وهذه الرياح التي تهب شمالاً وجنوباً، وشرقاً وغرباً، الله تعالى هو الذي يثيرها، ولو اجتمعت كل المخلوقات ليسكّنوها إذا ثارت وتسلطت ما استطاعوا!!

ولو سكنت تلك الرياح، وأرادوا أن يثيروها، وأن يرسلوها لما استطاعوا ذلك!!

ومع ذلك فأحياناً تأتي ببرد قارص شديد، وأحياناً تأتي بسموم شديدة الحرارة، وهي ريح واحدة، وليس لأحد فيها تصرف!

إذاً فعلى الإنسان أن يعتبر بما يتعاقب عليه من التغيرات في الأيام والشهور، ويأخذ من ذلك موعظة وذكرى.

ويجب على المسلم معرفة الشهور العربية فيعرف ما في كل شهر من الوظائف والفضائل، وهكذا يعرف السنة الشمسية التي تضم الفصول الأربعة، وهي: الربيع والصيف والخريف والشتاء، ويعرف أن كل فصل ثلاثة أشهر، ويعرف أن لكل فصل من هذه الفصول سماته المناخية من حرّ شديد وبرد شديد والوسط بينهما، ولا شك أن أفضل الفصول وأزهرها هو فصل الربيع.

فإذا عرفنا هذه الفصول وهذه المواسم وتغيرها من حين إلى آخر، أليس في هذا عظة وعبرة؟!

إن الواجب علينا أن نأخذ العظة العبرة بدخول الشهر وخروجه ودخول السنة وخروجها.

فنتذكر كيف ينقضي الشهر؟! وكيف تنقضي هذه السنوات؟! وكيف يتقلص عمرنا يوماً بعد يوم؟ ونحن في غفلة وسهو ولهو عن هذا!!

إننا أصبحنا في هذه السنوات الأخيرة لا نشعر بمرور السنين؛ بل يدخل العام ثم ينصرم، ولا نشعر بمروره؛ لأننا في نعيم وسرور وابتهاج، والذي يكون كذلك لا يشعر بمرور الأيام، ولا يستطيلها؛ بل يستقصرها.

روي عن بعض الحكماء أنه قال: «إن أيام السرور قصار، وأيام الحزن طوال»، وهذا شيء محسوس وملموس، فالذي يعيش في رغد من العيش، وما تشتهيه النفس وتتمناه، وينعم بالملذات، لا يشعر بمرور الزمان ولا بطول الوقت؛ بل تطلع الشمس عليه وتغرب وكأنها ساعة، ويدخل الشهر ويخرج وكأنه يوم، ويدخل العام وينقضي وكأنه شهر أو أقل من شهر، وذلك لأنه لا يحس بما يشغله أو يؤلمه!!

أما لو كان على خلاف ذلك في ضرر وضيق من العيش، وتعب شديد؛ فإنه يستطيل العام ويتمنى انصرامه، ويحس في ذلك من أمضى الأيام في تعب وكدح ونصب، فلا ينقضي العام إلا بعد جهد وسآمة، فكأن اليوم شهراً أو أشهر.

* **أيها الأخوة:** انظروا إلى الأولين المتقدمين من آبائكم وأجدادكم كيف كانت تمر بهم الأيام؟ كانوا لا يمر بهم العام إلا وقد ذاقوا له حلاوة وذاقوا له طلاوة، لقد مرت بهم في وقتهم عبر وعظات ولعل سبب ذلك أنهم كانوا يعملون، ويكدحون، ويتعبون، ويسافرون، ويضربون الأخطار، ويسهرون الليالي، ويشتغلون بأنفسهم، فلا ينقضي العام إلا وقد تعبوا وأحسوا بالتعب

والنصب، ونحو ذلك.

ومثلهم في هذه الأزمنة من هو في ضرر ومشقة وتعب، كالسجين الذي يدخل السجن، وقد حكم عليه بسجن شهر مثلاً فإن هذا الشهر يكون عليه طويلاً، ويتمنىٰ أن يتقلص بسرعة، فاليوم عنده كأنه شهر، ويحس بأن النهار طويل جداً.

وهكذا المريض المتألم الذي يحس بآلآم في رأسه أو في جسده، فاليوم عنده طويل، ويتمنىٰ أن ينقضي وينقص بسرعة، بخلاف من هو في بهجة وسرور في مآكله ومشاربه وملذاته ومتنعماته، فإنه لا يحس بمرور الأشهر ولا بطول الزمان أبداً.

ونحن وإن كنا لا نستطيل الأيام لما نعيشه من رفاهية، إلا أنها تحسب علينا، وتحسب من أعمارنا، وتُنقِص من آجالنا! لذا فإن علينا أن ننتهزها، ونستغلها، ولا نتركها تمر مر الكرام، دون أن نشغلها بما يعود علينا بالنفع.

* **أليس** هذا العام الذي مضىٰ تنقص به آجالنا؟

* **أليس** كل يوم يقربنا إلىٰ الآخرة، ويبعدنا من الدنيا؟!

* **أليست** هذه أوقات تسير ونحن في غفلة، ولا ندري ما منتهاها؟!

فيجب علينا أن ننتبه إلىٰ ذلك، ونعلم أننا سائرون وإن كنا علىٰ فُرُشِنا.

يقول بعض الحكماء: «من كانت الأيام والليالي مطاياه سرن به وإن لم يسر». أي لو كان نائماً علىٰ فراشه، فإنه سائر جاد بالسير مجتهد فيه، مثل سير المدلج الذي ركب مركبة وأسرع السير.

ويقول الشاعر:

نسير إلى الآجال في كل ساعة
وأيامنا تطوى وهن مراحل

والمراحل هي: منازل المسافرين، فالمسافرون كانوا يرحلون على الإبل، ويقطعون النهار سيراً وينزلون في آخره على مكان يسمونه مرحلة، وهي شبه أماكن الاستراحة للمسافرين في هذه الأيام، فهكذا الأيام والليالي مراحل، كل يوم يعد مرحلة.

ويقول بعض الحكماء: «الناس كلهم سائرون إلى الله، فمنهم من هو في كل يوم يزداد حسنات، ويَقْرُبُ من ربه مراحل، ومنهم من هو في كل يوم يزداد سيئات، ويبعد عن ربه مراحل». فجميعنا تتعاقب علينا هذه الأيام، وهذه الليالي، وتقربنا إلى الآجال، فهي مطايانا التي نسير عليها، وتقربنا إلى ذلك اليوم الموعود. كل يوم يقربنا من الآخرة مرحلة، ويبعدنا عن الدنيا مرحلة، وكل يوم ينقص من آجالنا. يقول الشاعر:

إننا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى يدني من الأجل

فكل يوم يدني من الأجل، ومع ذلك نفرح بمرور هذا اليوم! ونفرح بمرور هذا الشهر! ونفرح بمرور هذه الأعوام.

لماذا؟!

إن ذلك إنما يحدث لأننا في غفلة عما خلقنا له، وكل همنا أن نعمر هذا الوقت، ونحرص على أن نحظى بما يكون سبباً في انقضاء هذه الأيام في شهواتنا وفي مرادنا، لا نفكر إلا في مطالبنا، وفيما نتمناه.

ما ورد في فضائل الشهور القمرية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وهذه الشهور الاثنا عشر شهراً كانت معروفة قبل الإسلام وبعده بأسمائها، ولا اختلاف فيها بين العرب، وإن كان العجم يسمون الشهور بأسماء غير ما ورد في الشرع واللغة.

وهذه الأشهر الظاهرة هي الأشهر القمرية التي يعرف بها مرور سنة هلالية كاملة، وهي التي نعرف بها عدد السنين والحساب.

أما الأشهر الشمسية فهي أيضاً اثنا عشر شهراً، ولكن ليس لها علامات بارزة كعلامات الأشهر القمرية، وتعرف أيضاً قبل الإسلام وبعده بالأشهر الشمسية، ولكنها تعرف بالحساب بطريقة خاصة.

وبالجملة فإن هذه الأشهر التي تمر بنا فيها مواسم وفضائل، ولكل شهر مزيته وفضيلته، وفيما يلي نذكر جملة من الفضائل الواردة في الأشهر القمرية:

أولاً: فضل شهر الله الحرام:

شهر الله الحرام هو أول الشهور العربية، وكانت العرب لا تستحل القتال فيه، ولهذا سمي بالمحرم؛ لأنهم كانوا لا يستحلون القتال فيه.

وقد صرح النبي ﷺ أنه من الأشهر الحرم، فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض، السنة**

اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[١].

* **وقـد** وردت في هذا الشهر بعض الفضائل الثابتة في السنة النبوية ومن ذلك:

١ـ **فضل الصيام فيه**: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصيام بعد رمضان، شهر الله المحرم**» [رواه مسلم][٢].

وعن جندب بن سفيان رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إن أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم**»[٣].

٢ـ ومن فضائل هذا الشهر صيام اليوم العاشر منه وهو الذي يسمى (يوم عاشوراء). فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**»[٤] قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ. وفي رواية: «**لأن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع**»[٥].

---

(١) اخرجه البخاري برقم (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١، ٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٠٧٨، ٧٤٤٧)، ومسلم برقم (١٦٧٩).

(٢) اخرجه مسلم برقم (١١٦٣).

(٣) اخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٩١) وأورده الهيثمي في المجمع (٣/ ١٩١) والمنذري في الترغيب والترهيب رقم (١٥٢٨). وقال رواه النسائي والطبراني بإسناد صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢١)، وصحيح الترغيب والترهيب رقم (١٠٠٦).

(٤) اخرجه مسلم برقم (١١٣٤)ـ(١٣٣).

(٥) اخرجه مسلم برقم (١١٣٤)ـ(١٣٤).

وعزم الرسول ﷺ صيام يوم التاسع إنما هو لمخالفة اليهود، وقد أمر ﷺ أصحابه بذلك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يوماً أو بعده يوماً»[١].

وقد بين النبي ﷺ أن صيام عاشوراء يكفر السنة الماضية، عندما سئل عن صيامه فقال: «يكفر السنة الماضية»[٢] [رواه مسلم].

* **وقد** وردت في هذا الشهر جملة من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وبعض الأمور المبتدعة التي لم تثبت عن النبي ﷺ، ونحن إذ ننبه عليها ليحذر المسلم من الوقوع فيها، ومن ذلك:

١ـ الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء، وهذا من البدع المنكرة، وبعضهم يتطيب ويكتحل ونحو ذلك طوال الشهر.

٢ـ ومن البدع المنكرة في هذا الشهر قراءة دعاء يوم عاشوراء، ودعاء أول السنة وآخرها.

٣ـ كذلك من البدع الاغتسال يوم عاشوراء، وأن من اغتسل في هذا اليوم لم يمرض إلا مرض الموت.

وغير ذلك من البدع والمنكرات التي لم يتسع المجال لذكرها.

ثانياً: فضل شهر صفر:

صفر هو الشهر الذي بعد محرم، وقد كانت العرب تتشاءم به، فلا يعملون

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٤١) واللفظ له، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٤/ ٢٨٧). والسيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٤٥). وأورده الهيثمي في المجمع (٣/ ١٨٨، ١٨٩) وقال: رواه أحمد والبزار وفيه محمد بن ليلىٰ وفيه كلام. أ. هـ. وقال أحمد شاكر (٢١٥٤): إسناده حسن.

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١١٦٢).

ولا يسافرون فيه اعتقاداً منهم أن فيه بلاء وضرر، فأبطل النبي ﷺ عاداتهم السيئة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولاصفر»(١). أي لا تشاءموا بصفر.

قال ابن رجب رحمه الله: (وكثير من الجهال يتشاءمون بصفر، وربما ينهون عن السفر فيه، والتشاؤم بصفر هو جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بالأيام كيوم الأربعاء، وقد روي أنه يوم نحس مستمر في حديث لا يصح... وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة، وقد قيل أن أصله أن طاعوناً وقع في شوال في سنة من السنين، فمات فيه كثير من العرائس، فتشاءَم بذلك أهل الجاهلية، وقد ورد الشرع بإبطاله، قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنى بي في شوال، فأي نسائه كان أحظى عنده مني؟ وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال، وتزوج النبي ﷺ أم سلمة في شوال أيضاً...)ا. هـ(٢).

ويجب الحذر من بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة الواردة في هذا الشهر، ومن ذلك حديث: (من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة) قال الصنعاني: موضوع. كذا قال العراقي(٣).

وعلى المؤمن الحذر من التشاؤم بهذا الشهر، وغيره من الشهور والأيام والأعوام؛ لأن الزمان كله خلق الله تعالى.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٧٥٧).

(٢) انظر لطائف المعارف ص ٧٤، ٧٥.

(٣) انظر الفوائد المجموعة للشوكاني ص٤٣٨.



ثالثاً: فضل شهر ربيع الأول:

يرىٰ جمهور العلماء أن النبي ﷺ ولد في شهر ربيع الأول يوم الاثنين، كما يذكر أهل السير أن وفاته كانت يوم الاثنين من هذا الشهر أيضاً.

ولا خلاف أنه عليه الصلاة والسلام ولد يوم الاثنين عام الفيل، لقوله ﷺ عندما سئل عن صيام يوم الاثنين، فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه ويوم بُعثت أو أنزل عليَّ فيه**»(١).

ولا شك أن مولده ﷺ رحمة للعالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وقد تحققت هذه الرحمة بعد مبعثه ﷺ، فأصبحت خير أمة أخرجت للناس بعد أن كانت تتخبط في دياجير الظلام.

ثم كانت وفاته صلوات ربي وسلامه عليه في هذا الشهر، فكانت كالصاعقة علىٰ أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وشعروا أنهم فقدوا أرواحهم، وأن الدنيا قد أظلمت، وماتحملوا وقع الخبر الفادح، فمنهم من اقعد ولم يستطع أن يتحرك، ومنهم من عقد لسانه فلم يستطيع أن يتكلم، ومنهم من لم يصدق الخبر لهوله وشدته.

وفي هذا الشهر ابتدع الناس بدعة كبيرة ومعصية عظيمة، ألا وهي بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، فيحتفل الناس في هذا الشهر من كل عام بمولده ﷺ، وهذا الاحتفال الذي يفعلونه أمر محدث لم يفعله النبي ﷺ، ولا الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ولا أحد من التابعين عليهم رحمة الله المشهود لهم بالخيرية.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٦٢) ـ (١٩٧، ١٩٨).

واعلم أخي المسلم أن خير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ورحم الله القائل:

وكل خير في اتباع من سلف
وكل شر في ابتداع من خلف

ثم اعلم أنه لا يوجد دليل صحيح وصريح على هذا الاحتفال، ولا على الأمور التي يفعلها كثير من الناس في هذه الموالد.

ثم اعلم أيضاً أننا عندما ننكر الاحتفال بالمولد النبوي لا يعني ذلك عدم حبنا للرسول ﷺ، كما يفهم ذلك بعض الجهال، فإن حبه ﷺ يكون باتباعه والاقتداء بسنته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد كانت للمسلمين في هذا الشهر عدة انتصارات سجلها التاريخ، ومن ذلك:

غزوة بني النضير(٢)، وغزوة دومة الجندل(٣)، ومعركة حطين(٤)، ومعركة مؤتة(٥)، وغيرها من الانتصارات.

تنبيه:

واعلم وفقك الله لهداه أن شهر ربيع الثاني لم يرد فيه أي فضل، وكل ما ورد

---

(١) وقعت في السنة الرابعة للهجرة من شهر ربيع الأول. وكانت نتيجتها إجلاء يهود بني النضير عن المدينة.

(٢) وقعت في السنة الخامسة للهجرة من شهر ربيع الأول.

(٣) وقعت في ٢٥ ربيع الآخر عام ٥٨٣هـ.

(٤) وقعت في ٥ ربيع الآخر عام ٨ هـ. وكانت بين المسلمين والروم.

هو خاص بشهر ربيع الأول.

* وهكذا لم يثبت أي فضل لشهر جمادىٰ الأول وجمادىٰ الآخرة، لا في حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع.

رابعاً: فضل شهر رجب:

شهر رجب من الأشهر الحرم كما ثبت ذلك في الحديث عن النبي ﷺ.

وشهر رجب من الشهور التي كثرت فيه البدع والمنكرات، واشتهرت في فضله الأحاديث الموضوعة والضعيفة.

ومن ذلك: ما اشتهر عند كثير من الناس كثرة الصيام والقيام فيه، ولم يثبت في ذلك حديث صحيح عن النبي ﷺ.

قال ابن رجب رحمه الله: (لم يثبت شيء في صيام رجب). وقال النووي: (لم يثبت في صوم رجب نهي ولا ندب، ولكن أصل الصوم مندوب إليه).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة؛ بل موضوعة، لا يعتمد أهل العلم علىٰ شيء منها. وليست من الضعيف الذي يروىٰ في الفضائل؛ بل عامتها من الموضوعات المكذوبات).

ومن البدع والخرافات في هذا الشهر أيضاً ما يلي:

١ـ **بدعة صلاة الرغائب**: وهي صلاة تتكون من اثنتي عشرة ركعة، تؤدىٰ بعد صلاة المغرب في أول جمعة من رجب، تُصلىٰ بست تسليمات، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثاً، والإخلاص اثنتي عشر، وبعد الفراغ يصلي علىٰ النبي ﷺ سبعين مرة ويدعو بما شاء.

وهذه الصلاة بدعة منكرة، وصلاة باطلة، وقد أنكرها العلماء المعتبرين.

٢ـ الاحتفال بليلة السابع والعشرين من شهر رجب: لاعتقادهم أنها ليلة الإسراء والمعراج، وهذا بدعة منكرة، لم يفعلها أفضل الخلق ﷺ، ولا أصحابه الكرام من بعده رضي الله عنهم أجمعين.

أضف إلىٰ ذلك إحياءهم هذه الليلة بأن يضيفوا إليها بدعاً أخرىٰ، وذلك بتخصيصها بالقيام، فنسأل الله السلامة والعافية.

٣ـ ومن البدع في هذا الشهر أنهم يذبحون ذبيحة يسمونها (العتيرة)، وقد قال ﷺ: «**لا فرع ولا عتيرة**»[1].

وهذه كانت من أعمال الجاهلية؛ حيث كان أحدهم يصوم رجب ويعتر فيه، ويشبه ذلك اتخاذ هذا الشهر عيداً فيأكلون فيه الحلوىٰ ونحو ذلك، فكل هذا من البدع المنكرة، والضلالات والخرافات التي يجب علىٰ المسلم أن يبتعد عنها.

خامساً: فضل شهر شعبان:

كان النبي ﷺ يصوم شهر شعبان إلا قليلاً، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**لم أره ـ أي: النبي ﷺ ـ صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان، كان يصوم شعبان كله، كان يصوم شعبان إلا قليلاً**»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ أن يصومه: شعبان، ثم يصله برمضان**»[3].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**شعبان بين رجب**

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤٧٤). ومسلم برقم (١٩٧٦). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٧٠)، ومسلم برقم (١١٥٦)ـ(١٧٦) واللفظ له.

(٣) أخرجه ابو داود برقم (٢٤٣١). وانظر صحيح الجامع (٤٦٢٨). وصحيح الترغيب والترهيب (١٠١٤).

وشهر رمضان، يغفل الناس عنه، ترفع فيه أعمال العباد، فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم»[١].

ومن البدع المنكرة المشهورة في هذا الشهر هو: تخصيص ليلة النصف من شعبان بالصلاة والقيام، ونهاره بالصيام، وقد ذكر أهل العلم أن الاحتفال بهذه الليلة بدعة لم يرد فيها شيء صحيح.

سادساً: فضل شهر رمضان:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٢].

وقد تظافرت الأحاديث في بيان فضله ومنزلته بين الشهور، ونذكر من ذلك قوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٣]، وفي رواية: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٤]. وفي رواية: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٥].

وقال ﷺ: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»[٦].

ومن فضائل هذا الشهر أن فيه العشر الأواخر، وهي أفضل أيام الشهر؛ بل

---

(١) قوّاه ابن حجر في الفتح (٤/ ٤٥٣). وقال الألباني في صحيح الجامع (٣٧١١): حديث حسن. وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم (١٨٩٨).

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٨)، ومسلم برقم (٧٦٠). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٧)، ومسلم برقم (٧٥٩). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه البخاري برقم (٣٥)، ومسلم برقم (٧٦٠). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم برقم (١٠٨٠).

أفضل أيام العام، وفيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

والأحاديث في فضل هذا الشهر وفضل صيامه وقيامه كثيرة، ولكن نكتفي بما ذكرنا.

وقد وردت بدع كثيرة في هذا الشهر عند السحور والإفطار، وصلاة التراويح وليلة القدر، ومن أراد التوسع فيها ومعرفتها فليراجع كتب العلماء الذين كتبوا في هذا الموضوع وفصلوا فيه.

سابعاً: فضل شهر شوال:

ومن الفضائل المشهورة في هذا الشهر، أن أول يوم من أيامه يكون عيد الفطر المبارك، وقد شرع الله للمسلمين عيدان في السنة هما: عيد الفطر المبارك، وعيد الأضحىٰ، ولم يشرع للمسلمين غيرهما.

وفي هذا الشهر يشرع صيام ستة أيام منه بعد رمضان، لقوله ﷺ: **«من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»**[1]. ويجوز صيامها متوالية ومتفرقة.

ومن المعلوم أن هذا الشهر هو أول شهر من أشهر الحج التي هي: شوال وذو القعدة والعشر الأول من ذي الحجة، وفي هذه الأشهر يشرع للناس التوجه إلىٰ أداء مناسك الحج والإحرام بالحج.

كما يشرع الإتيان بعمرة في هذا الشهر لمن نوىٰ الحج متمتعاً، ويتحلل منها، ثم يُحرم بالحج يوم التروية.

وفي هذا الشهر يقع كثير من الجهال في بعض البدع التي يتناقلونها دون علم

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١١٦٤).

ومعرفة، ومن هذه البدع صلاة ليلة عيد الفطر مائة ركعة بالفاتحة والإخلاص عشر مرات.

ومن البدع في هذا الشهر أيضاً: أن أهل الجاهلية كانوا يتشاءمون من النكاح فيه. قال ابن رجب رحمه الله: (وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة، وقد قيل أن أصله أن طاعوناً وقع في شوال في سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس، فتشاءَم بذلك أهل الجاهلية.

وقد ورد الشرع بإبطالة، قالت عائشة رضي الله عنها: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال، وبنىٰ بي في شوال، فأي نسائه كان أحظىٰ عنده مني؟ وكانت عائشة رضي الله عنها تستحب أن تدخل نساءها في شوال. وتزوج النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها في شوال أيضاً. . .)[1] . أ. هـ.

ثامناً: فضل شهر ذو القعدة:

هذا هو الشهر الثاني من أشهر الحج، الذي يبدأ فيه الناس بالسفر إلىٰ أداء مناسك الحج، وخاصة سكان البلاد البعيدة الذين يأتون عن طريق البر والبحر.

وهو أيضاً من الأشهر الحرم التي حرم الله القتال فيها، وقد سبق بيان ذلك.

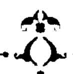
وفي هذا الشهر يشرع الإتيان بعمرة لمن نوىٰ الحج متمتعاً ويتحلل منها، ثم يُحرم بالحج يوم التروية.

وقد كانت عُمَرُ النبي ﷺ كلها في هذا الشهر. فعن أنس رضي الله عنه قال: اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمَرٍ كلهن في ذي القعدة إلا التي في حجته[2].

---

(١) أنظر لطائف المعارف ص ٧٤، ٧٥.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٨٠). ومسلم برقم (١٢٥٣) ـ (٢١٧).



تاسعاً: فضل شهر ذو الحجة:

شهر ذو الحجة وهو الشهر الثالث من أشهر الحج، وهو أيضاً من الأشهر الحرم، وفيه تؤدىٰ معظم شعائر الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام، وفريضة عظيمة من الفرائض، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ومما يدل علىٰ فضل الحج، وأن له منزلة عظيمة، قوله ﷺ: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»(١). وقوله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(٢).

وفي هذا الشهر أيام فاضلة وعظيمة وهي العشر الأوائل منه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر» فقالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ولم يرجع من ذلك بشيء»(٣).

فيستحب صيام هذه الأيام، وقيام لياليها، وكثرة الصدقة فيها، والإحسان إلىٰ الفقراء والمساكين.

كما يستحب في هذه الأيام الإكثار من التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد.

وفي هذا الشهر يسن أن يضحي يوم العيد أو أيام التشريق، وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨١٩)، ومسلم برقم (١٣٥٠). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٩٦٩).

وفي هذا الشهر يوم عظم وهو يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذي الحجة، وصوم عرفة يكفر سنة ماضية وسنة باقية، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة؟ قال: «يكفر السنة الماضية والباقية»[1].

وصيام يوم عرفة خاص بغير الحاج فالأفضل له أن يفطر ذلك اليوم ليتقوىٰ علىٰ العبادة، والأحاديث في فضل هذا اليوم كثيرة ولكن نكتفي بما ذكر والله أعلم.

■ ■ ■ ■ ■

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (١١٦٢).

الاستغلال الأمثل للوقت

إذا عرفنا أن هذه الأيام وهذه الليالي التي تمر بنا لها فضائل ومواسم، فإن علينا أنا نستغلها فيما يفيد، ويجب أن نحرص أن نستغل كل وقت يمر بنا في عمل صالح نجده عند الله سبحانه وتعالىٰ، ذلك أن هذا اليوم يودع ما عُمل فيه، كما روي عن بعض السلف أنه قال: (إن هذه الأيام والليالي خزانتان ـ يعني مملؤتان ـ بما يخزن فيهما، وإنهما في يوم القيامة تفتحان، فالمسلمون والمحسنون يجدون في خزائنهم العزة والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة).

فالواجب أن نستغل كل يوم يأتي علينا فيما يفيدنا، لأنه يوم جديد، لم يأتنا من قبل، وإذا تقلص وانتهىٰ لا يعود إلينا، فكل يوم مضىٰ فإنه لا يعود، وسوف يشهد علينا.

يقول الشاعر:

مضى أمسك الماضي شهيداً معدّلا

وأعقبه يوم عليك جديد

فَأَمْسُكَ الذي قد مضىٰ لا حيلة لك في رده، وهذا اليوم يوم جديد فاستغله ولا تفرط فيه، ولا تستعمله في لهو وباطل فإنه شهيد عليك!!

يروىٰ أن كل يوم ينادي: (يا ابن آدم، إني يوم جديد وإني بما تعمل فيّ شهيد، فاغتنمني فإني لا أعود). فإذا كان كل يوم ينادينا أن نستغله، ونحرص علىٰ أن نعمل فيه عملاً صالحاً.

* فكيف بكل أسبوع؟!

* وكيف بكل شهر؟!

* وكيف بكل سنة؟!

* وكيف بالسنوات التي مرت علينا؟

* هل حاسبنا أنفسنا عما عملنا فيها؟

وهذا من واجبك أيها المسلم أن تحاسب نفسك عن كل يوم يمر بك.

وعلينا أن نتسائل:

* هل نحن في هذا اليوم خير منا بالأمس؟

* هل نحن في هذا العام خير من العام الذي قبله؟

* هل نحن في هذا السنوات خير منا أو دون ذلك؟

فإذا كنا قد تزودنا خيراً في هذا اليوم أو في هذا الشهر، فإن ذلك علامة السعادة والفلاح.

روي عن بعض السلف، أنه قال: «من كان يومه مثل أمسه فهو مغبون، ومن كان يومه دون أمسه فهو محروم، ومن لم يتفقد الزيادة في عمله فهو في نقصان».

وهذا صحيح، لأنك في هذا العام قد نقص عمرك، وقربت من الأجل، وقربت من الآخرة.

أفلا تغير من حالك؟!

ألا تزداد حسناً إلى حسن؟!



ألا تزيد وتضاعف من أعمالك الصالحة؟!

ألا تتفقد نفسك؟!

ألا تحاسب نفسك على ما تمر به؟!

يجب علينا أن نحاسب أنفسنا في كل يوم، هل تزودنا؟! أم فرطنا؟! أم ماذا عملنا؟!

إن محاسبة النفس لا تكون على ما اكتسبنا من الأموال، أو على ما جمعنا من الأرباح، وما أشبه ذلك؛ بل إن محاسبة النفس تكون على ما تزودنا به من حسنات وما اقترفناه من سيئات.

هذه هي المحاسبة التي حث عليها أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، حيث يقول: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر».

فإذا عرفنا نفاسة هذه الأيام وأنها من الأعمار، فإن الذين يستطيلونها ويملّون من طوال الوقت، ويشعرون بالفراغ ـ كما يقولون ـ، ويشغلون أوقاتهم ويضيعون أيامهم وأعمارهم، لا شك أنهم ما عرفوا قدر هذه الأزمنة، وما عرفوا أنها رأس مالهم، فما رأس مال المسلم إلا أيامه ولياليه التي تمر به.

ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»**[1].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه. وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قال الأرناؤوط في جامع الأصول رقم (٧٩٦٩): وهو كما قال. وقوله: «عن أربع» ليست عند الترمذي. =

● فإذا كنت في سن الشباب فإنه يأتي بعده كهوله.

● وإذا كنت في سن الكهولة، فسيعقبها شيخوخة وشيبة، فلا تدوم لك الحال.

● وإذا كنت في صحة فلا تعتقد دوامها، فترقب لما يكون ضدها، واغتنم الوقت الذي أنت فيه، فإنك لا تدري ما العاقبة.

فنحن ـ كما يقول بعض الحكماء ـ: «بين أمس قد مضىٰ، لا ندري ما الله حاكم فيه، وبين يوم آت لا ندري هل ندركه؟!

فليس لك إذاً غير هذه الساعة التي أنت فيها، فاغتنمها ولا تضيعها، لأنك لست علىٰ يقين، هل تستكمل تلك الليلة؟ أو هذا الشهر؟ أو بقية العام؟ ولست علىٰ يقين بأنك تعيش ما تأمله.

ولكن قد زيّن الشيطان لكثير من أهل الغفلة الأمل، ومدد لهم الأجل، حتىٰ فرطوا وأهملوا.

وقد حُدثت كثيراً عن بعض الناس إذا رأوا الشباب المتدين، أنكروا عليه ذلك.

* وقالوا: كيف تتدين ؟!

= وأخرجه الترمذي برقم (٢٤١٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه. وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه. وقال الأرناؤوط في جامع الأصول رقم (٧٩٧٠): وهو حديث حسن، ويشهد له الذي قبله ـ اي حديث أبي برزة ـ.

وفي الباب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وصحح الحديث الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٤٦) والترغيب والترهيب رقم (١٢٢، ١٢٣، ١٢٤).

* كيف تعفي لحيتك وأنت في سن الشباب؟!

* كيف تحافظ على السنن؟ وعلى قيام الليل، وأنت في سن الشباب؟

ويقولون له: متع نفسك بما تشتهيه وتتمناه إلى أن يأتي زمن التفرغ للعبادة - أي زمن الهرم - .

ويقولون: لا تحرم نفسك لذاتها ومشتهياتها.. إلى آخر هذا الكلام حتى يفتنوهم!

فاحذر أيها المسلم من هذه الأوهام، التي يصدرها بعض الجهلة الذين ينكرون على المتدينين والمتطوعين تدينهم، ويلمزونهم ويعيبونهم بأنهم متشددون ومتزمتون ومتعصبون، ومعهم غلو ومعهم كذا وكذا.

ولا شك أن هذه الأوهام من الشيطان، ولا يقولها إلا من قست قلوبهم، وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وأوهمهم بأنهم إذا تمتعوا بشهواتهم الفانية أمكنهم فيما بعد - إذا صاروا شيوخاً - أن يتوبوا، وأن يصلّوا النوافل، وأن يتورعوا عن المحرمات؛ وما أشبه ذلك. ونسوا هؤلاء المساكين هجوم هاذم اللذات ومفرق الجماعات، الذي لا يميز بين شاب وغيره، فيحول بينهم وبين تحقيق أمانيهم.

وهذا لا شك أنه من آثار الذنوب والمعاصي التي رانت على القلوب، فقست قلوبهم من آثار ذنوبهم، ثم بعد ذلك لما أرادوا التخلص منها وأرادوا الالتحاق بركب الصالحين صعب عليهم ذلك، وتمنوا التوبة، ولكن هيهات، هيهات!!

فالذنوب إذا رانت على القلوب عميت بصيرتها، فلم تستطيع التخلص مما استمرت عليه طوال حياتها واعتادت ذلك، فتبقى عليه إلى أن يأتي الأجل.

فالإنسان يجب أن يحافظ على وقته شيخاً كان أو كهلاً، شاباً كان أو صبياً، يحافظ على وقته فلا يضيعه، ويستغله فيما ينفعه، ويعلم أنه هو رأس ماله الذي يتبعه الربح.

فإذا كان التاجر يحافظ على رأس ماله أكثر من محافظته على ربحه، أفلا يحافظ الإنسان على رأس ماله الذي هو وقته أشد من محافظته على الربح؛ لأنه تتوقف عليه نجاته يوم القيامة.

فالعمر إذاً هو رأس مال الإنسان، وهو الذي سيسأل عنه، ويحاسب عليه، قال الله تعالى يخاطب أهل النار: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. أي مددنا لكم أعماركم، وقد أمهلناكم وأعطيناكم سنين تتمكنون فيها من العمل، فلماذا لم تتذكروا، ولم تتعظوا؟ ولماذا لم تقبلوا على العمل الصالح؟! بل غرتكم الأماني، وخدعكم الأمل، وغركم بالله الغرور!!

أفلا تخاف أن يعاتبك الله؟ ويقول: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾؟ يعني أعطيناكم أعماراً، يقول بعض العلماء: إنها عشرون سنة أي نعمركم عشرين سنة، ومنهم من قال: ثلاثين سنة أو ستين سنة، وكل ذلك لا شك أنه عام، فإن العمر هو الذي يتمكن فيه الإنسان من معرفة الحق، ومن معرفة الطريق السوي، والصراط المستقيم. كل هذا داخل في هذه الآية؛ سواء كان العمر قصيراً أو طويلاً.

ولكن لا شك أن من منّ الله عليه وأمد له في الأجل، فإن الحجة عليه تكون أكبر، والمسئولية أعظم، وذلك لأنه قد قطع أياماً وأعواماً، وتمكن فيها من العمل، أما من كان عمره قصيراً، فإنه يفوته الكثير من الأعمال؛ وبكل حال لا عذر لأحد أن يفرط في أوقاته؛ بل إن عليه أن يستغل أوقاته ويحاسب نفسه حتى لا يضيع عمله عليه.

كذلك عليه أن يغتنم الوقت الذي هو فيه قبل أن يأتيه ما يغيره، فإن الشباب يأتي بعده الشيخوخة، والغنى يأتي بعده الفقر، والصحة يأتي بعدها المرض ونحو ذلك.

ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: **«اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»**[1]. اغتنمها فإنها تتغير، فالصحة لا تدوم، ربما يأتي بعدها مرض فتتمنى أنك تقربت وعملت وكسبت، ولكن حال بينك وبين ذلك هذا المرض.

كذلك إذا كنت في غنى ثم أتى بعده الفقر، قلت: يا ليتني تصدقت، ويا ليتني زكيت، ويا ليتني عملت، ويا ليتني انفقت في وجوه الخير، ولكن هيهات فإن الغنى أتى بعده الفقر، فلا تجد ما تتصدق به، لأنك فرطت وقت الإمكان.

وكذلك الشيخوخة التي تأتي بعد الشباب، وقد فرطت في وقت الشباب، قلت: ليتني قرأت القرآن وحفظته، أو ليتني قمت في الليل وصمت في النهار، لـمَّا كنت أطيق الصيام والقيام وما أشبه ذلك.

ولكن لا ينفعك ذلك بعد ما يمضي زمانه.

فما دمت في زمن الشباب والصحة، فاغتنم فراغك قبل أن ينشغل بالك، ويأتيك ما يصرفك عن عمل الطاعات والأعمال الصالحة.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤٨) والخطيب في اقتضاء العلم العمل (ص١٠١) مرسلاً من حديث عن عمرو بن ميمون الأودي.

وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٦) موصولاً من حديث ابن عباس. وصححه ووافقه الذهبي. وقال الأوناؤوط في تحقيق شرح السنة (١٤/ ٢٢٤): إسناده صحيح.



وقت الفراغ
بين الأزمة والحل

يعيش الكثير من الشباب والعاملين وغيرهم أوقات فراغ طويلة لسبب أو لآخر، ولكن كيف يتسنىٰ لهؤلاء قضاء أوقات الفراغ؟

نحن لا نقول لهم: اعتكفوا في المساجد، وترهبنوا فيها، وانقطعوا عن ملذات الدنيا وشهواتها، وعن الانبساط في الحياة؛ بل نقول لهم: لا يشغلنكم السعي في الدنيا عن العمل للآخرة.

فلا تجعلوا الوقت كله للعمل في الدنيا؛ بل اجعلوا منه نصيباً أوفر وأكبر للآخرة.

يقول بعض العلماء: (إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل).

فمتىٰ اشتغل المسلم بالآخرة ضمن الله تعالىٰ له رزقه في الدنيا، كما في بعض الآثار: (يا ابن آدم: أنت محتاج إلىٰ نصيبك من الدنيا، وأنت إلىٰ نصيبك من الآخرة أحوج، فإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبك من الآخرة، وإن بدأت بنصيبك من الآخرة مر علىٰ نصيبك من الدنيا فانتظمه انتظاماً).

ومعنىٰ ذلك أن الإنسان عندما يعمل للآخرة يجلب الله له الرزق، ويسهل له الاكتساب، ويرزقه من حيث لا يحتسب، وإن كان عليه بذل الأسباب التي تسبب له وجود ما هو بحاجة إليه.



أيها الأخوة: في أي شي يشغل الناس هذه الأوقات ؟ !

* إن من الناس : من شغلته الدنيا بحيث يقضي ليله ونهاره في كدحه وكده لأجلها، فلا يريح نفسه ولا يعطيها ملذاتها ولا شهواتها؛ بل تجده يتصل بهذا، ويذهب إلى ذلك، ويفتح دفتراً لحساب كذا، وينظر في ربحه في هذا اليوم، وينظر في نفقته وماذا طرأ عليها، فلا يهنأ بمطعم ولا مشرب، ولا لذة ولا راحة، قد أنهك قواه في هذه الدنيا.

ولا شك أنه وإن فتحت عليه الدنيا وزهرتها، وإن كثر عنده المال وأنواع الممتلكات، فإنه لم ينتفع بها، ولم يرح نفسه؛ بل كلما زادت ممتلكاته ازداد همه، وازداد غمه، وازداد تعبه ونحو ذلك.

ومن كان على هذه الصفة فإنه دنيوي، كأنه إنما خلق للدنيا، لا يتفرغ لينتفع نفسه حتى في مشتهياتها، فضلاً عن عبادة ربه.

* فمتى يتفرغ هذا الإنسان لقراءة القرآن؟ !

* ومتى يتفرغ لتدبر كلام الله؟ !

* ومتى يتفرغ لأذكار التسبيح والتحميد، وغيرها؟ !

* ومتى يتفرغ للأدعية والأوراد في أول النهار وفي آخره وفي الأوقات والمناسبات؟ !

* ومتى يتفرغ لأداء نوافل العبادات؟ !

* ومتى يتفرغ لصيام النفل؟ !

* ومتى يتفرغ لصلاة الرواتب؟ !

* ومتى يتفرغ لأداء مناسك الحج والعمرة وغيرها؟ !

إنه دائماً منشغل في دنياه قد أتعب نفسه .

فهذا الإنسان حياته وبال عليه ، ولو كسب ما اكتسبه فإنه لا ينتفع بذلك ، ولا أراح نفسه ، فضلاً عن كونه قد فوت عليه مصالحه الأخروية .

* وهناك صنف آخر من الناس لم يشغلوا جميع وقتهم في الدنيا ، إنما شغلوا جزءً منه ، وبقي لديهم أوقاتاً أخرىٰ لم يشغلوها ، فقد يمر عليهم نصف النهار وهم في فراغ ، وقد يمر عليهم كل الليل أو جلّه ، وهم ليس لديهم عمل ، وليس عندهم ما يشغلهم ؛ سواء في أمور الدنيا أو أعمال الآخرة .

وهذا القسم من الناس لا شك أنهم جهلة ؛ لأنهم يقضون هذا الفراغ الذي يمر بهم وتضيق به نفوسهم وتخرج به صدورهم ، يقضونه في ما لا نفع منه أو في ما يعود عليهم بالضرر .

فتجدهم يقولون : نحن نشتكي من الفراغ ، فماذا نفعل؟! إننا نحب أن نشغل هذا الفراغ ، حتىٰ لا نشعر بطول النهار ولا بطول الليل ولا بمرور الساعات الطويلة ، ونحن جالسون دون أن نفعل شيئاً ؛ لأنه لو جلس أحدنا علىٰ سريره أو علىٰ كرسيه صافاً يديه ليس في شغل فإنه يضيق صدره ، وتتراكم عليه الأوهام وتكثر عنده الوساوس ، لذا فنحن نريد أن نشغل وقتنا بما نرفه به أنفسنا ، فانظر يارعاك الله إنهم يريدون شغل أوقاتهم ؛ ولكن مع الأسف يريدون شغلها بشيء لا نفع فيه أصلاً ، أو بشيء فيه ضرر عليهم .

ذلك أنهم يفوتون هذا الوقت الثمين الذي ينبغي أن يستغلوه فيما يفيدهم ويعود عليهم بالنفع ، فترىٰ كثيراً منهم يعكفون علىٰ اللعب واللهو .

* فكثير من كبار السن ومتوسطي العمر والشباب ونحوهم يقضون الليل كله أو نصفه أو ثلثه في اللعب بالأوراق ، ويقولون إنها لا تشغلنا عن صلاة ، ولا

تشغلنا عن عبادة! ، ولا تشغلنا عن كذا وكذا .

إذاً فماذا تستفيدون من هذا اللعب الذي تقضون به أوقاتكم؟ أليس لهواً؟ أليس لعباً؟!

ألم يذم الله الحياة بكونها لهواً ولعباً، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦]. إن ذلك ذم لمن اتخذها لعباً ولهواً.

فلا ينبغي لكم أن تشغلوا أوقاتكم الثمينة الذي أنتم محاسبون عليها بهذا اللعب الذي هو باطل، أو شبه باطل، أو تتخذون هذا اللعب والعياذ بالله سبباً لكسب المال بطرق محرمة، كالذين يلعبون بما يسمىٰ بالقمار والميسر، وذلك حرام؛ فإنهم عندما يلعبون بهذه الأوراق ونحوها يتفقون علىٰ أنه إذا أصاب كذا فله كذا، وإذا أصيب بكذا فعليه كذا ونحو ذلك، فيؤخذ من أحدهم مال ويعطىٰ للآخر، وهذا لا شك أنه أخذ للمال بغير حق، وهذا هو الميسر الذي حرمه الله وقرنه بالخمر، ولا شك أن هؤلاء خسروا حياتهم .

كذلك الذين يقضون ساعات متتابعة من ليل أو نهار علىٰ النظر في أفلام فاتنة، أو صور عارية، أو مقالات فاتنة أو ملهية أو شاغله، أو علىٰ سمر باطل، أو شرب خمور أو دخان، ويتفكهون في ذلك ويتلذذون، وقد يقضون ليلهم ونهارهم في غيبة ونميمة وقيل وقال، وهؤلاء قد فرطوا في حياتهم، ولم ينتفعوا بها، وازدادوا سوءاً، لأن هذه الأفعال لا شك أنها محرمة، وأنها معصية وذنب.

وقد يقول بعضهم: نحن نرفه عن أنفسنا ونسليها، ونتنعم بما نحب أن نتنعم به، ومع ذلك يمكننا أن نتوب ونأمن علىٰ أنفسنا أن نقع في محظور ، وما أشبه ذلك.

فيقال لهم: وما يدريكم أن لا تقعوا في هذه المحظورات؟ فإن الذي ينظر إلىٰ

الصور العارية، والأفلام الخليعة، ونحوها لا يأمن أن تنبعث منه شهوة شيطانية تدفعه بقوة إلىٰ أن يقارف هذه الذنوب التي رآها تُقترف أمامه.

ولا شك أن هذا بالإضافة إلىٰ كونه قد أضاع وقته، واستجاب لدعوة نفسه الأمارة بالسوء، ودفعها إلىٰ ما هو محرم، أو وسيلة إلىٰ المحرم.

فماذا استفادوا من هذه الأوقات، وهذه الليالي التي أضاعوها في هذه المحرمات؟ وقد جمعوا بين تفويت الخير بضياع الأوقات، واقتراف الشر بفعل الذنوب والمعاصي صغيرها وكبيرها.

وهناك صنف ثالث من الناس وهو خير الأصناف، والذي نحث الأخوة أن يكونوا منهم.

فنقول أيها الأخوة: أيامنا هذه إذا شعرنا بأنها رأس مالنا فإنه يتعين علينا أن نحسن استغلالها فيما ينفعنا.

فإذا كنت تملك وقت فراغ ـ كأن تكون في عطلة دراسية مثلاً، أو بعد انتهاء عملك الوظيفي ـ، فإن كان هذا الوقت في أول الليل، أو في أول النهار أو آخره، فإنه يحسن أن تستغله بالشيء الذي يفيدك، كأن تقرأ القرآن الكريم، وتحفظ منه القدر الذي تستطيع، أليس ذلك طاعة؟

فهؤلاء الذين يقولون: نحس بالفراغ.

نقول لهم: لماذا لا تحفظون كتاب الله؟

لماذا لا تجعلون اجتماعكم هذا دراسة لكتاب الله تعالىٰ؟

فيأخذ أحدكم مصحفاً يقرأ فيه، ثم يتلوه آخر، فإذا ما ملّوا أو ضجروا من كثرة تردادهم لسورة، اشتغلوا بمعرفة معانيها واشتغلوا بكتب التفسير، وسألوا

عن معناها، فإذا ما حفظوا اللفظ عرفوا المعنىٰ حتىٰ يفيدوا أنفسهم؛ لأن الفائدة إنما تتم من معرفة اللفظ، ومعرفة المعنىٰ.

وهناك أمور أخرىٰ يمكنهم أن يشغلوا أوقاتهم بها، فيشغلون أوقاتهم مثلاً بالذكر وبالأدعية والتسبيح والتكبير فيحفظونها، ويتأملون معانيها فيعرفون معنىٰ: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا إله إلا الله وغير ذلك.

فإن أغلب الذين يعمرون تلك المجالس لا يعرفون معاني: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إنما يتكلمون بها ولا يدرون معناها!

فلو جعلوا لهم وقتاً يتعلمون فيه معاني هذه الكلمات، لكان خيراً لهم.

وهكذا إذا دعو الله تعرفوا علىٰ معاني هذه الأدعية وتأملوها، فلا يمضي زمان إلا وقد استفادوا علماً كثيراً.

وهؤلاء أيضاً بحاجة إلىٰ التفقه في الدين، ويدل علىٰ ذلك كثرة ما يقعون فيه من الأخطاء الكثيرة.

فقد يتعدىٰ أحدهم سن الستين أو السبعين وهو لم يحج، ومع ذلك لم يتعلم كيفية أداء المناسك، فإذا ما حج وقع في مخالفات، وارتكب شيئاً من المحظورات، وترك شيئاً من المأثورات، وقدم وآخر!!

فلماذا لم تجعل لك وقتاً تتعلم فيه قبل أن تذهب لأداء المناسك؟!

وهناك أعمال أخرىٰ يحتاج المسلم إلىٰ معرفتها، فهناك مثلاً من عنده أموال زكوية وهو لا يعرف أحكام الزكاة ومصارفها، وكيفية إخراجها ومقدارها ونحو ذلك، ومع ذلك فلا أحد يشغل نفسه بهذه الموضوعات! فتمر عليه الأيام

والشهور والأعوام وهو لا يعرف الأحكام الضرورية والواجبة فضلاً عن السنن والمستحبات .

كذلك بالنسبة إلىٰ فعل المحرمات ونحوها ، فإن الكثير من الناس لا يعرفون بعض المحرمات فيقعون فيها ، أو يقعون في المكروهات وهم لا يشعرون! وذلك لأنهم فرطوا حيث لم يتعلموا ، والواجب عليهم أن يتعلموا الشرور حتىٰ يتجنبوها كما يتعلموا الواجبات ليفعلوها كاملة ، كما أمرهم الله تعالىٰ ، وبذلك يكونوا قد حققوا ما خلقوا له .

والحاصل أن هذه الأوقات والأيام والليالي التي تمر بنا ونحن في فراغ ، كيف مع ذلك لا نستغلها ونعمل فيها الأعمال الصالحة التي ننجوا بها عند الله تعالىٰ ، ونسلم من مسؤولية تضييع الأوقات ، وكذلك تفويت الفرص والمناسبات ، والوظائف اليومية أو الشهرية أو الأسبوعية أو نحوها ، فتفوت علينا ونحن لم نستغلها ، ولم نعرف قدرها ، فنتأسف بعد ما تمضي ، وذلك أن الكثير من الناس يتأسفون علىٰ العمل بعد ما يمضي وقته .

فإذا فوت إنسان مصلحة في زمن من الأزمان ، ثم سئل عنها ، وقد فاتت ، قال : ليتني تذكرت ، ليتني عرفت ، حتىٰ أستغل ذلك الوقت ، وأعمل فيه عملاً صالحاً يقربني إلىٰ الله !

فيندم حيث لا ينفع الندم!

لماذا لم تتعلم قبل ذلك ، وتسأل وتحقق حتىٰ تعرف أنك مسئول عن ذلك ، فتهتم بالعمل قبل أن يفوت أجله .

وخلاصة ما قلنا : أن الواجب علىٰ المسلم أن يحاسب نفسه ماذا سيعمل غداً؟ فإذا انقضىٰ اليوم يحاسب نفسه أيضاً : ماذا عمل فيه؟ !

فإذا ما مر عليه أسبوع أو شهر أو سنة، يتذكر ما مر به من حوادث وأعمال، وتذكر ما فات وما حدث من وقائع وحوادث ليأخذ من هذا عبرة وعظة.

إن الذي ينفعنا حق المنفعة هي الأعمال الصالحة، ونحن وإن كنا مأمورين أن نشتغل بدنيانا غير أن ذلك مشروط بقدر ما نحتاج إليه، وألا نجعلها شغلنا الشاغل، فإن العمل للآخرة هو الأصل.

فإذا ما عملنا للآخرة فإن الله تعالىٰ يرزقنا، ويسهل لنا أسباب الرزق، ويدفع عنا المكاره.

وبذلك نكون قد حفظنا أوقاتنا، واستغللناها بما يفيدنا.

نسأل الله أن يرزقنا الاستعداد للقائه، والتأهب للحساب عند الوقوف بين يديه، ونسأله أن يرزقنا الانتباه لأنفسنا، وحفظ أيامنا وليالينا، والانشغال بما يقربنا إليه.

كما نسأله أن يقينا من شرور أنفسنا، ومن نزغات الشيطان، وأن يهبنا منه رحمة، إنه هو الوهاب، والله أعلم، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■

فتوى مهمة

في هذه الأيام نودع عاماً من أعمارنا

سئل فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن جبرين بمناسبة العام الهجري الجديد السؤال التالي:

في نهاية عام وعلى مشارف عام جديد، فهل من كلمة توجهونها لإخوانكم بهذه المناسبة؟ وبم توصون إخوانكم في هذه الفترة؟

فأجاب فضيلته حفظه الله ورعاه قائلاً: الحمد لله وحده وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله وصحبه وبعد:

فإن مرور السنين سنة بعد سنة ينذر العاقل بقرب الأجل، وانقضاء الحياة الدنيا، وذهاب الأعمار، فيحمله أن يكون دائماً وأبداً مستعداً للموت، ولما بعد الموت، وذلك أن هذه الحياة تتكون من ساعات ودقائق وأيام وأسابيع وأشهر وأعوام، فاليوم يهدم الشهر، والشهر يهدم السنة، والسنة تهدم العمر، ومع ذلك فإن الكثير في غفلة عن ذلك؛ بل ربما يتبادلون التهاني بالعام الجديد، ويعدونه يوم فرح وسرور؛ حيث أنهوا فيه عاماً من أعمارهم، وقد قال الشاعر:

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم يدني من الأجل

وقد امتن الله تعالىٰ علىٰ عباده بأن أحياهم، ومد لهم في الأعمار، بما يتمكنون به من العمل، ويستغلونه في أسباب النجاة، كما قال تعالىٰ: ﴿أَوَ لَمْ

نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. وذلك تذكير منه تعالىٰ لعباده بالأعمار الطويلة التي أضاعوها في اللهو واللعب، وكان الأولىٰ بهم حفظ هذه الأعمار واستعمالها في الطاعات والقربات، حتىٰ يحمدوا العاقبة، ويعرفوا أهمية هذه الأوقات، وعظم شأنها.

ولقد استهان الكثير من الناس بأعمارهم وأوقاتهم الثمينة، فأفنوها فيما لا أهمية له، أو ما هو ضار لهم في دينهم ودنياهم، فكثيراً ما نرىٰ ونسمع عن أناس من العقلاء والأذكياء يستطيلون الليل أو النهار؛ وحيث لا عمل ولا شغل لهم وقت الدوام، أو المرابطة، فيصرفون هذا الوقت النفيس في اللعب بما يسمىٰ بالبلوت، وربما بالقمار والميسر، أو في سماع الأغنيات الملحنة المطربة، أو في النظر في الأفلام والصور الفاتنة الخليعة.

● وقد يعتذرون بأنهم يقطعون الزمان، ويشغلون الأوقات، حتىٰ يتقلص النهار وينقضي الليل دون الإحساس بطوله في غير عمل.

● وقد يعتذرون بأنهم يتركون اللعب عند حضور وقت الصلاة، حتىٰ أنهم يؤدونها في الجماعة، أو أنهم ينشغلون به عن القيل والقال والغيبة والنميمة.

والجـــواب: أن الوقت ثمين؛ سواء وقت صلاة أو غيره، فإضاعته في هذا اللعب غبن وحسرة، وضياع، وخسران مبين، وليس من الضروري أن يشغلوه في لعب أو غيبة ونحوها، فإن السكوت أفضل من الكلام الباطل المحرم، وأن الكلام الطيب أفضل من السكوت، لقول النبي ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»**[1].

فنقول لهؤلاء العابثين بأعمارهم والمفرطين في سنواتهم: تذكروا أنكم

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٥). ومسلم برقم (٤٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مسؤولون عن أوقاتكم ومحاسبون على أعماركم، فقد قال النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»(١).

فانظر كيف ذكر العمر جميعه ثم خص الشباب، مع أنه من العمر؛ حيث اعتاد الشباب محبة اللهو واللعب والمرح والطرب، وإضاعة وقت الشباب الذي هو زهرة العمر، في مباريات، ومشاهدة ما يعرض في الإذاعات المرئية والمسموعة، مما يذهب الوقت الثمين سبهللاً، وكان الأولى بهم أنهم يبخلوا بأيامهم أشد من بخلهم بأموالهم، وأن يقضوا أوقاتهم في تعلم العلم النافع، وقراءة القرآن وتحفظه، وفي الذكر والدعاء بأنواعه، وفي الانشغال بالمباحات من الأقوال والأعمال، وفي العمل الصالح وما يعود على المرء بخير في دينه ودنياه، وبذلك يسلم له دينه ويحفظ عليه وقته.

وليتذكر أن العاقل ليس عنده وقت فراغ؛ بل سوف يجد ما يسد فراغه ويستغل وقته، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧]. والأمر يعم كل فرد من الأمة. والنصب هو: التعب في الأعمال الصالحة، من صلاة، وقراءة، وتعلم، وذكر، وفكر، وتذكر لنعم الله تعالى، وتفكر في آلائه، وحرص على القيام بشكره على ما اسداه من الأنعام والأفضال.

كما يتذكر أن مرور الأيام والليالي منذر بقرب الآخرة، فإن العبد كل يوم يرحل مرحلة تقربه من الآخرة، وتبعده عن الدنيا، قال الشاعر:

نسير إلى الآجال في كل ساعة

وأيامنا تطوى وهن مراحل

(١) انظر تخريجه مفصلاً ص ٢٤٦، ٢٤٧.

ومـا أقـبـح الـتـفـريـط في زمن الـصـبـا
فـكـيـف بـه والـشـيـب للـرأس شـاعـل

فالأيام والساعات مراحل ومطايا، تسير بالإنسان، وإن كان على فراشه، كما قال بعض السلف: «من كانت الأيام والليالي مطاياه سرن به، وإن لم يسر». فإذا عرف ذلك حرص على استغلال كل يوم وشغله بما يعود عليه بالفائدة.

وقد روي في بعض الآثار: (أن هذه الأيام خزائن للناس، يقفل كل يوم بما عمله العبد فيه، ثم في الآخرة تفتح هذه الخزائن، فالمحسنون يجدون في خزائنهم العزة والكرامة، والمفرطون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة).

ونعود فنقول: إن على العبد أن يأخذ عبرة وموعظة في هذه الأزمنة، كيف تمر الأيام والأشهر والسنين مسرعة؛ وكأنها دقائق وثوان؟! وذلك لما نحن فيه من الرفاهية والخير، دون الإحساس بملل أو سآمة.

وقد قيل: «إن أيام السرور قصار، وأيام الحزن طوال». فإن المريض والسجين والمهموم يستطيل الزمان، ويتمنى غروب شمس كل يوم؛ بخلاف من هو في رفاهية وسرور.

والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

■ ■ ■ ■ ■

المحتويات



■ ■ ■ ■ ■